القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة السابعة والثلاثون العدد 11114 الأحد 22 آذار (مارس) 2026 – 03 شوال 1447 هـ
Volume 37 - Issue 11114 Sunday 22 March 2026

نهائي أبطال أوروبا:
ريمونتادا وتسونامي وإفلاس

جبلة العراقية:
حكاية لم تسقط من التاريخ

حوار: خميس عطية نائب
رئيس البرلمان الأردني

المؤرخ الفلسطيني وليد
الخالدي: رحيل «راهب القضية»
46

الحدود السورية ـ اللبنانية
أمام اختبار جديد
28

ليبيا: واقع حقوقي
خارج إطار القانون
18

الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية: جبهات الطاقة والمضائق

بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على شنها، لا يلوح حتى الساعة أن الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية ضد إيران تنذر بنهايات حاسمة أو حتى واضحة، سواء بخصوص الأهداف العريضة والغائمة التي حددتها واشنطن وتل أبيب، أو لجهة اتساع الجبهات لتشمل على الأرض مناطق في لبنان والعراق وسورياً، أو انتقالها تلقائياً إلى حروب الطاقة وأسعار برميل النفط والتباعد بين واشنطن والدول الأوروبية والحلف الأطلسي بصدد مضيق هرمز واستهداف منشآت الطاقة.

(الحدث، 15.2)

Price List ■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

حدث الأسبوع – إيران

العالم يهتز لضرب منشآت الطاقة وترامب يعاني أزمات متتالية في حرب إيران

لندن – «القدس العربي»:
محمد نون

واجه الرئيس الأمريكي دونالد ترامب ثلاث صدمات كبرى متتالية خلال الأسبوع الثالث من الحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران والتي بدأت صباح السبت في 28 شباط/فبراير 2026.

الصدمة الأكبر كانت تلك الهزة التي تعرضت لها أسواق الطاقة العالمية بعدما قامت الطائرات الإسرائيلية باستهداف حقل بارس الغازي الإيراني المشترك مع حقل الشمال القطري، ثم قيام القوات المسلحة الإيرانية بالرد السريع من خلال قصف منشآت للطاقة في عدة دول خليجية، ثم أتبعتها بهجمة صاروخية طالت منشأة حيفا للطاقة في إسرائيل.

أما الصدمة الثانية فتمثلت في رفض حلف الناتو وحلفاء واشنطن خارج الحلف، طلب ترامب المساعدة في تأمين الملاحة البحرية في مضيق هرمز عبر إرسال سفنها الحربية لمنع إيران من الاستمرار في إغلاقه بشكل شبه كامل بعدما سيطرت عليه.

وجاءت الصدمة الثالثة عبر الاستقالة المدوية لرئيس مركز مكافحة الإرهاب في الإدارة الأمريكية جو كينت من منصبه، متهماً إسرائيل بجر الولايات المتحدة إلى هذه الحرب، وأن إيران لم تكن خطرا وشيكا.

إسرائيل تشعل النار في بارس

ووجد الرئيس دونالد ترامب نفسه في مواجهة الصدمة الثالثة التي أصابت الأسواق العالمية بسبب تداعيات الضربة العسكرية الجوية التي نفذتها إسرائيل يوم الأربعاء 18 آذار/مارس الجاري على حقل بارس الجنوبي الإيراني، ومن ثم رد إيران باستهداف منشآت حيوية للطاقة في الخليج ثم في إسرائيل ما أدى إلى ارتفاع أسعار النفط والغاز العالمية وأثار مخاوف بشأن تأثير ذلك على الاقتصاد العالمي برمته.

وعندما قررت إسرائيل وبموافقة أمريكية استهداف حقل غاز بارس الجنوبي، أرادت إحداث زلزال في الاقتصاد الإيراني، لأن هذا الحقل هو درة التاج للغاز في إيران، ويقع في مياه الخليج بين إيران وقطر، وهو أكبر حقل غاز طبيعي بحري في العالم، حيث تقدر الاحتياطات التي يحويها بنحو 51 تريليون متر مكعب من الغاز القابل للاستخدام، وهو ما يكفي لتلبية احتياجات العالم 13 عاما.

وهذا الحقل رفع مكانة إيران في السوق العالمية كأكبر منتج للغاز في الشرق الأوسط وثالث أكبر منتج في العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا.

ووفقا لإحصاءات منظمة البلدان المصدرة للبترول «أوبك» فإن إجمالي احتياطيات إيران المؤكدة من الغاز الطبيعي تبلغ 34 تريليون متر مكعب.

ويحتوي حقل بارس على بنى تحتية هامة، حيث قامت إيران بتطويره على مراحل، تضم كل منها منصات بحرية وخطوط أنابيب ومنشآت معالجة برية مجمعة حول مدينة عسلوية الساحلية الإيرانية.

وتشير بيانات منتدى الدول المصدرة للغاز إلى أن حقل بارس الجنوبي يوفر معظم الغاز الذي تستخدمه إيران، والذي بلغ 276 مليار متر مكعب في 2024. وإيران واحدة من أكبر مستهلكي الغاز في العالم.

ووفقا لمجلة «أرغوس» التجارية، يمثل حقل بارس الجنوبي ما بين 70 في المئة و75 في المئة من إجمالي إنتاج إيران من الغاز. ويستهلك أكثر من 90 في المئة من إنتاج إيران محليا، إذ تعتمد الأسر الإيرانية بشكل كبير على الغاز في الطهي والتدفئة.

ووفقا للوكالة الدولية للطاقة، استحوذ القطاع السكني على 41.5 في المئة من إجمالي الاستهلاك النهائي للغاز في 2023، تلاه القطاع الصناعي 36 في المئة.

ويستخدم الغاز أيضا ضمن المواد الخام في مصانع البتروكيميائيات لإنتاج البلاستيك والأسمدة.

وأظهرت بيانات صادرة عن وحدة في معهد الطاقة أنه يتم توليد نحو 85 في المئة من الكهرباء في إيران بواسطة محطات توليد الكهرباء التي تعمل بالغاز.

غير أن إنتاج الغاز المحلي غير كاف لتلبية ذروة الطلب في الصيف، ما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائي.

وعندما تعاني إيران نقصا في إمدادات الغاز الطبيعي، يمكنها حرق الديزل وزيت الوقود في محطات الطاقة الحرارية التابعة لها.

ولا تمتلك إيران قدرات لتسييل الغاز الطبيعي كتلك الموجودة في قطر، لذا يتم تصدير الغاز الإيراني فقط عبر خطوط الأنابيب إلى الدول المجاورة.

وصدرت البلاد في 2024 نحو 15 مليار متر مكعب من الغاز، بشكل رئيسي إلى تركيا والعراق.

وينتهي عقد الغاز طويل الأجل المبرم مع تركيا في منتصف 2026، ومن المتوقع تجديده بكميات أقل.

ونظرا لتلك الأهمية الحياتية لهذا الحقل بالنسبة لإيران، فإنه صار هدفا للضربات الإسرائيلية خلال هذه الحرب، وأيضا خلال الحرب السابقة التي استمرت 12 يوما في حزيران/يونيو الماضي عندما استهدفت غارات إسرائيلية أربع وحدات من المرحلة 14 التي تبعد بنحو 200 كيلومتر من منشآت الغاز القطرية.

إيران تشعل منشآت خليجية

الرد الإيراني على غارات إسرائيل على حقل بارس، حصل يوم الأربعاء الماضي على الخليج، ثم جرى استكماله يوم الخميس على منشأة حيفا في إسرائيل.

ففي الخليج، وضعت وكالة «الاناضول» حصيلة لمجمل الضربات التي أصابت مراكز للطاقة، حيث تعرضت 8 منشآت رئيسية للطاقة في 5 دول عربية لهجمات إيرانية منذ بدء العدوان الإسرائيلي الأمريكي على إيران في 28 شباط/فبراير، في تصعيد طال منشآت تُعد من ركائز سوق الطاقة العالمي.

وشملت الهجمات مواقع في الإمارات وقطر والبحرين والسعودية والكويت، وأسفرت عن اندلاع حرائق وأضرار مادية متفاوتة، إلى جانب تعليق مؤقت للعمليات في بعض المنشآت، وإعلان «القوة القاهرة» أو خفض الإنتاج في حالات أخرى.

ويوم الأربعاء في 18 آذار/مارس، أعلنت دولة الإمارات العربية المتحدة سقوط شظايا نتيجة اعتراض صواريخ استهدفت منشأة حبشان للغاز وحقل باب النفطي، دون تسجيل إصابات، مع تعليق العمليات مؤقتًا.

ويمثل مجمع حبشان للغاز نحو 80 في المئة من إجمالي احتياجات الإمارات اليومية من الغاز، ويعد من أكبر منشآت معالجة الغاز في العالم، فيما يشكل حقل باب النفطي ركنًا أساسيًا للاقتصاد الإماراتي.

أما في قطر فقد أعلنت وزارة الدفاع 18 آذار/مارس، عن سقوط صاروخ في مدينة رأس لفان الصناعية شمالي قطر، ما أدى إلى اندلاع حريق في مرافق الغاز الطبيعي المسال ومصنع تحويل الغاز إلى سوائل، قبل السيطرة عليه دون إصابات.

وتسبهم منشآت رأس لفان بنحو خُمس الإمدادات العالمية من الغاز الطبيعي المسال، ما يجعلها مركزًا استراتيجيًا للطاقة عالميًا، وأعلنت الشركة لاحقًا «القوة القاهرة» لتعليق التزاماتها التعاقدية مؤقتًا.

وبعد هجوم إيران على أكبر مجمع للغاز الطبيعي المسال في العالم في قطر، قالت الدوحة إن إصلاح الأضرار قد يستغرق خمس سنوات.

وقال الرئيس التنفيذي لشركة قطر للطاقة سعد الكعبي لرويترز إن الشركة المملوكة للدولة قد تضطر إلى إعلان حالة القوة القاهرة على عقود طويلة الأجل مع إيطاليا، وبلجيكا، وكوريا الجنوبية والصين.

وأضاف الكعبي أن الهجوم دمر وحدتي إنتاج للغاز الطبيعي المسال، مما قد يتسبب في انخفاض صادرات قطر بنحو 17 في المئة لمدة تتراوح بين ثلاث وخمس سنوات.

وتم الإعلان في الكويت بتاريخ 19 آذار/مارس عن تعرض وحدتي تشغيل في مصفاتي ميناء عبد الله وميناء الأحمدي لهجمات بطائرات مسيرة، ما أدى إلى اندلاع حرائق تمت السيطرة عليها لاحقًا.

كما أعلنت الكويت خفضًا احترازيًا لإنتاج النفط وعمليات التكرير بسبب التهديدات الإيرانية المستمرة وأمن الملاحة في مضيق هرمز.

أما في السعودية فقد تعرضت مصفاة «سامرف» في ميناء ينبع لمحاولة هجوم بطائرة مسيرة في 19 آذار/مارس، فيما أوقعت محاولات سابقة في 2 و4 من الشهر نفسه أضرارًا محدودة لبعض الوحدات دون تأثير على الإمدادات.

وسبق ذلك في البحرين، وبتاريخ 5 آذار/مارس، اندلاع حريق محدود في إحدى وحدات مصفاة «بابكو إنرجيز» نتيجة هجوم صاروخي، مع استمرار العمليات بشكل طبيعي، قبل إعلان «القوة القاهرة» على بعض العمليات نتيجة الاعتداءات الإيرانية المستمرة

وغداة هجمات الأربعاء الماضي، ارتفعت أسعار النفط بنحو 7 في المئة لتتجاوز 114 دولارا للبرميل، وقفزت أسعار الغاز الأوروبية بأكثر من 23 في المئة لتسجل 66 يورو لكل ميغاواط/ساعة.

كذلك ارتفعت أسعار الطاقة يوم الخميس الماضي حيث صعدت أسعار الغاز في أوروبا بما يصل إلى 35 في المئة وقفزت أسعار النفط نحو 10 في المئة قبل أن تتقلص مكاسبهما.

وجاء العراق كأحد أبرز المتضررين من قصف حقل بارس الإيراني حيث قال مسؤول عراقي رفيع المستوى لرويترز إن تدفق الغاز الإيراني إلى العراق توقف بعد هجوم إسرائيل يوم الأربعاء، إذ حولت إيران الغاز إلى السوق المحلية.

وأمام كل هذه النتائج الكارثية، قال الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، الخميس الماضي، إنه أخبر رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو بعدم مهاجمة حقول النفط والغاز الإيرانية.

وكان مسؤولون أمريكيون وإسرائيليون أكدوا أن ضرب حقل بارس كان بموافقة أمريكية، لكن ترامب ونتنياهو عادا لنفي حصول هذا التنسيق، تفاديا للحرج الذي وقع فيه ترامب.

صدمة الناتو: هذه ليست حربنا

واشتكى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب من عدم تقديم دول حلف شمال الأطلسي «ناتو» الدعم لبلاده فيما يتعلق بالحرب على إيران، قائلا: «أعتقد أن الناتو يرتكب خطأ غبيا للغاية». وانتقد ترامب الناتو وبعض الدول الأوروبية التي أعلنت أنها لن تدعم الولايات المتحدة، لا سيما في مسألة مضيق هرمز، معتبرا أن هذه الدول «قدمت اختبارا سيئا» فيما يخص أمن المضيق.

وبينما شدد ترامب على أن الولايات المتحدة ليست بحاجة لأحد لضمان بقاء مضيق هرمز مفتوحا، إلا أنه أعرب عن خيبته تجاه موقف الحلف قائلا: «أشعر بخيبة أمل كبيرة تجاه الناتو. نحن لسنا بحاجة إليهم، لكن كان ينبغي عليهم أن يكونوا هناك».

وأشار ترامب إلى أن أوروبا بأكملها أيدت بدء الهجمات على إيران، لكن حين وصل الأمر إلى الدعم العسكري لم يدعم أحد، مؤكدا شعوره بـ«الخيبة» مرارا في هذا الصدد.

وذكّر الرئيس الأمريكي بالدعم الكبير الذي قدموه للناتو طوال الحرب الروسية الأوكرانية، قائلا: «ساعدناهم في أوكرانيا لكنهم لم يساعدونا في إيران».

وأفاد ترامب بأن دول الخليج وإسرائيل فقط هي من قدمت الدعم بشأن فتح مضيق هرمز، مضيفا: «هناك دعم كبير من الشرق الأوسط. قطر والسعودية والإمارات والبحرين، وبالطبع إسرائيل، يقدمون دعما قويا».

وفي وقت سابق، حذر ترامب من أن فشل حلفاء الناتو في تأمين مضيق هرمز سيكون «سيئا للغاية لمستقبل الناتو».

وأكد أن الولايات المتحدة تنفق تريليونات الدولارات من أجل الناتو، مضيفا: «أشعر بخيبة أمل تجاه الناتو. هذا الموضوع بالتأكيد يجب أن نفكر فيه، لا أحتاج للكونغرس لاتخاذ هذا القرار (الانسحاب من الناتو)، يمكنني اتخاذه بنفسي. لكن إذا كنت تقصد إعادة التفكير، فأنا لا أفكر في ذلك الآن، ليس في ذهني شيء حاليا». من جهة أخرى، أوضح ترامب أن بريطانيا أرادت تقديم الدعم للولايات المتحدة في وقت متأخر جدا، وأن هذا لا يعني لهم شيئا. وقال: «أشعر بخيبة أمل تجاه رئيس الوزراء كير ستارمر، فقد قال إنه يستطيع إرسال طائرتين بعد انتهاء الحرب».

ولم يتمكن أقرب حلفاء ترامب من تحمل انتقاداته اللاذعة، فرد عليه المستشار الألماني فريدريش ميرتس بلغة غير معهودة بين الحليفين حيث اتسمت بالصرامة والوضوح، ومعروف أن ميرتس هو من بين القلائل في الاتحاد الأوروبي الذين تربطهم علاقات جيدة مع الرئيس الأمريكي. وقال ميرتس في مقر المستشارية في برلين يوم الاثنين الماضي موجها حديثه إلى ترامب إن «هذه الحرب ليست شأنا يخص حلف (شمال الأطلسي) الناتو». وحذر خلال لقائه مع رئيس الوزراء الهولندي روب بيتن من أنه لا ينبغي لمنطقة الشرق الأوسط والخليج أن «تنزلق إلى حرب أبدية بأهداف غير واضحة».

وأضاف ميرتس أن «محاولة إنهاء القيادة الإيرانية عبر القصف لن تنجح على الأرجح، وذلك استنادا إلى مجمل التجارب التي شهدناها خلال السنوات والعقود الماضية».

وكان المستشار صرح عقب بدء الهجمات الإسرائيلية والأمريكية على إيران، وقبيل زيارته للبيت الأبيض، بأن الوقت الحالي: «ليس هو الوقت المناسب لتلقين شركائنا وحلفائنا الدروس».

واستاء الحلفاء في الأطلسي من مواقف ترامب التي أطلقها في مقابلة مع صحيفة «فايننشال تايمز» حيث حذرهم بمستقبل «سيئ جدا» إذا لم يسهم الحلف في تأمين نقل النفط عبر مضيق هرمز. وجاء رد ميرتس بأن الناتو تحالف دفاعي وليس تحالفاً للتدخل. وأكد أنه أسهم في تلبية مطالب ترامب المشروعة بشأن تحسين تمويل الناتو، مضيفا: «لذلك أتمنى أن نتعامل مع بعضنا البعض داخل الحلف بالاحترام اللازم».

استقالة كينت: إسرائيل هي المحرض

وتلقى الرئيس ترامب ضربة من داخل البيت الأبيض حيث يحكم، إذ استقال جوزيف كينت مدير المركز الوطني لمكافحة الإرهاب في الولايات المتحدة يوم 17 آذار/مارس، بسبب الحرب على إيران، ليكون بذلك أول مسؤول رفيع المستوى في إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب يستقيل جراء الحرب، رغم أنه منذ وقت طويل أيد مبدأ «أمريكا أولا»، ويعارض التدخلات العسكرية الأمريكية في الخارج.

ولم يكتف كينت بالاستقالة، بل جعلها مدوية في تناقضها مع الموقف المتكرر لترامب بشأن التهديد الإيراني، وكذلك في اتهامه لإسرائيل وبعض اللوبيات بتوريط الولايات المتحدة في الحرب.

وقال في بيان استقالته: «إن طهران لم تكن تشكل تهديدا وشيكا للولايات المتحدة». وأضاف في رسالة موجهة إلى ترامب نُشرت على وسائل التواصل الاجتماعي: «لا يرتاح ضميري إلى تأييد الحرب الدائرة في إيران. لم تشكل إيران أي تهديد وشيك لأمتنا، ومن الواضح أننا بدأنا هذه الحرب نتيجة ضغوط من إسرائيل وجماعات الضغط الأمريكية المؤثرة».

وظهر سريعا مدى الحرج الذي شعر به ترامب حيث قالت المتحدثة باسم البيت الأبيض كارولاين ليفيت في بيان إن رسالة كينت إلى ترامب تضمنت «ادعاءات كاذبة».

وأضافت «كما قال الرئيس ترامب بوضوح وصراحة، كانت لديه أدلة قوية ومقنعة على أن إيران كانت ستهاجم الولايات المتحدة أولا. هذه الأدلة تم جمعها من مصادر وعوامل عديدة».

ترامب والخيار الصعب

وهكذا فإن تلك الصدمات الثلاث التي جاءت بها نتائج الحرب على إيران، باتت تحاصر ترامب في صراع يرفع الكلفة على دول الخليج الحليفة لواشنطن، ويطيح بالحجج والوعود الاقتصادية التي رفعها خلال حملته الانتخابية التي أعادته إلى سدة رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية لولاية ثانية.

وتجاه ذلك ينتظر المتابعون معرفة الاتجاه الذي سيسلكه الرئيس ترامب، فهل يكتفي بما حققه من ضربات لإيران ويعلن انتهاء الحرب، أم يواصل الضغط العسكري للمراهنة على استسلام إيران.

لكن وعلى مدى الأسابيع الثلاثة الأولى من عمر الحرب، تبدو إيران أنها امتصت أقوى الضربات من اغتيال قادتها الكبار، إلى تدمير الكثير من مقدراتها وقدراتها العسكرية، وهي تنسج رغم ذلك معادلة جديدة عنوانها السيطرة على ممرر 20 في المئة من الطاقة العالمية عبر مضيق هرمز، واستمرار احتفاظها بقوة صاروخية ضاربة، ما زالت صواريخها تطال قلب تل أبيب، هذا إضافة إلى إحياء قوة حلفائها الإقليميين وخاصة فصائل المقاومة في العراق وحزب الله الذي يقاتل على جبهة الجنوب في لبنان، وجماعة أنصار الله الحوثيين في اليمن الذين قد يدخلون الحرب في أي لحظة ويقومون بإقفال مضيق باب المندب على البحر الأحمر.

هذه الوقائع كانت تخشاها الإدارة الأمريكية وإسرائيل، ولا يبدو أن الحرب كفيلة بتبديد تلك الخشية، لا بل يبدو أنها تزداد يوما بعد آخر، فعلى رغم إعلان ترامب تدمير الدفاعات الجوية الإيرانية، فإن البنتاغون اعترف بإصابة طائرة مقاتلة أمريكية يوم الخميس الماضي فوق إيران، وتأكيد الجانب الإيراني إصابة الطائرة بالدفاعات الجوية الإيرانية. فعلى الرغم من إعلان ترامب عن تدمير البحرية الإيرانية، إلا أن تلك البحرية هي التي ما زالت تغلق مضيق هرمز، وتفرض شروطها على المرور فيه، دون أن يجد ترامب لذلك علاجا.

ومع الحديث الأمريكي عن إمكانية مهاجمة جزيرة خارك الإيرانية للسيطرة على 90 في المئة من صادرات النفط الإيرانية، إلا أن ترامب قال إنه لن يرسل جنودا على الأرض.

وعلى رغم إعلان رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو القضاء على القوة الصاروخية الإيرانية، لكن أنظمة الدفاع الجوي الخمسة بما فيها القبة الحديدية ومقلاع داوود الإسرائيلية ومنظومات الثاد الأمريكية، ما زالت عاجزة عن صد كل الصواريخ الإيرانية، حتى أنه اضطر يوم الخميس الماضي لعقد مؤتمر صحافي في مبنى محصن تحت الأرض خشية من الصواريخ الإيرانية.

أما المراهنة على تحرك داخلي من الشعب الإيراني للإطاحة بنظام الجمهورية الإسلامية، فهو رهان صار من الماضي بعدما أثبت الإيرانيون أن دفاعهم عن مصير ووحدة بلدهم، يجعلهم يتجاوزون الخلافات الداخلية.

ويبدو أن تلك العطيات مجتمعة هي التي دفعت مديرة المخابرات الوطنية الأمريكية تولسي جابارد إلى القول يوم الأربعاء الماضي: «النظام في إيران لا يزال متماسكا فيما يبدو، لكنه تضرر بشدة جراء عملية ملحمة الغضب (التي تشنها أمريكا وإسرائيل على إيران)»، وأضافت جابارد، في كلمتها الافتتاحية في الجلسة السنوية للجنة المخابرات في مجلس الشيوخ بخصوص التهديدات العالمية للولايات المتحدة، أنه «ومع ذلك، لا تزال إيران ووكلاؤها قادرين على مهاجمة مصالح الولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط ويواصلون القيام بذلك».

حروب أمريكا ومبدأ النفخ في قربة مثقوبة

صبحي حديدي

عن سابق إدراك بسيط لمقادير الضلال والتضليل و«الزعبرة»، كما كان يحلو للراحل الكبير رياض الترك أن يردد عند توصيف سياقات مماثلة، في تصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بصدد تافه الأمور مثل عظائمها؛ ضئيلة، جدّ محدودة ومنتقصة وأقرب إلى اللغو المسرح، أقواله التي تشرح أهداف الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية الراهنة ضدّ إيران.

وليست الحال، غنيّ عن القول، أفضل من حيث الوضوح أو التماسك أو التجانس، لدى كبار معاونيه في الإدارة، سواء على أصعدة دبلوماسية في الخارجية، أو حربية/ عسكرية في البنتاغون، أو اقتصادية تخصّ توريدات الطاقة وأكلافها. لا جديد، كذلك لدى تابعه في العدوان، وإمّعته، مجرم الحرب بنيامين نتنياهو؛ الذي اعتاد على خلائط شتى من «زعبرة» الخطاب وتوحش الحقد وعربدة التكاذب...

العناوين العريضة لتلك الأغراض، كما صدحت بها حناجر ترامب ورجاله، وردد أصداءها نتنياهو ومجرمو الحرب في دولة الاحتلال الإسرائيلي، سردت سلسلة أغراض: كسر برنامج إيران النووي، وإضعاف قدراتها العسكرية عموما والصاروخية خصوصاً، والحدّ من نفوذها الإقليمي، وتأديب أذرعها في المنطقة، وطبقاً لصياغات مختلفة، ركيكة غائمة تارة وأكثر ركاكة وجلافة طوراً، ألمح ترامب وأوضح نتنياهو أنّ ذروة هذه الأهداف سوف تكون تشجيع الشعب الإيراني على الانتفاض وإسقاط نظام الحكم.

ومنذ 28 شباط (فبراير) الماضي، تاريخ ابتداء العدوان المشترك على إيران، ولا تستنكف هذه السطور عن توصيفها بحرب تستهدف الشعب والمنشآت العلمية والصناعية والثروات الوطنية والبنى التحتية والمدارس والصروح الثقافية والتاريخية، قبل آيات الله والملالي ورموز السلطة؛ تقلبت هذه الأغراض من حيث المنطوق، وتذبذبت من حيث ارتباطها بوقائع ما يتحقق بصدد «بنك الأهداف» على الأرض سواء ضدّ إيران أو دولة الاحتلال أو بلدان الجوار، أو اتساع نطاقها ليشمل لبنان بأسره ومناطق في العراق وفي جنوب سوريا، فضلاً عن ألفاظ ترامب المقذعة بحقّ الشركاء «الجبناء» في أوروبا والحلف الأطلسي.

وكان في وسع البشرية أن تصغي إلى ترامب وهو يستغفل العقول علانية، ومن دون أدنى إحساس بحجم الوقاحة، في تصريح من هذا الطراز، مثلاً، حول أنّ برنامج إيران للصواريخ بعيدة المدى «يمكن أن يهدد أفضل أصدقائنا وحلفائنا أنفسهم في أوروبا، وقوّاتنا المتمركزة عبر البحار، ويمكن سريعاً أن يصل إلى الوطن الأمريكي». ذلك أنّ ثلاثة أسابيع انقضت على تلك الكذبة، فلم يتضح أن صواريخ طهران بلغت أوروبا بالفعل، فكيف بهايسة أمريكا ما وراء المحيط؛ وبالتالي لم يتهدد أصدقاء واشنطن وحلفاءها إلا على صعيد انفلات أسعار الطاقة من عقالها، واستقبال شتائم ترامب ووعيده وتهديده.

وبعد أقلّ من أسبوع على شنّ الحرب، أعلن ترامب أنها قد تدوم ثلاثة أسابيع أو أربعة؛ ثم عدّل المدّة إلى «ما يستغرقه الزمن، لا بأس لدينا، ما تتطلبه» العمليات، لأنّ الذخيرة الأمريكية «لا حدود لها فعلياً»، ويمكن للحرب «أن تدوم إلى الأبد»؛ وفي غضون هذا التخبط، كان قد وعد صحيفة «ديلي ميل» البريطانية بتوقيت، ومنح «نيويورك تايمز» الأمريكية توقيتاً مختلفاً، وإذا لم تكن الحال مفاجئة من هذا الرئيس الأمريكي تحديداً، فإنّ تشدّقه حول إنهاء المهمة يعيد إلى الذاكرة تصريحات الرئيس الأسبق جورج بوش الابن بعد الحرب على العراق سنة 2003؛ وكلا الرئيسين نافخ في قربة مثقوبة، حتى إذا كان ترامب أَنْفَخُ من سلفه.

صحيح، من جانب آخر، أنّ خسائر إيران، البلد والشعب قبل النظام والأجهزة، فادحة وجسيمة وتتجاوز البشر والشجر والحجر، لأنها أيضاً تزرع المزيد من بذور الشقاق بين شعوب المنطقة وتواريخها الماضية والحاضرة والمستقبلية؛ ولكن ليس أقلّ صحّة أنّ هذه الحرب الأمريكية ـ الإسرائيلية تدوّن فصلاً جديداً في سجلّ إمبريالي حافل، يدمّر ويسحق ويمحق... ولا يتوقف عن النفخ في القربة إياها!

ترامب في مأزق: الحرب على إيران ومخاوف التدهور دوليًا واقتصاديًا

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

قال محللون أمريكيون إن الحرب على إيران، التي بدأت في 28 شباط/فبراير الماضي، تمثل تحديًا استثنائيًا للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، مؤكّدين أن هذه الحرب كانت دائمًا حربه الشخصية، وانتقامية، وغير مخططة استراتيجيًا بشكل واضح مع اتهامات واضحة بدور مريب لإسرائيل في توريط الولايات المتحدة بالحرب. وأشار المحللون إلى أن الاعتماد على القوة العسكرية وحدها كان السمة المهيمنة للسياسة الأمريكية، وهو ما أدى إلى نتائج كارثية على الصعيدين الاقتصادي والسياسي.

ولاحظ العديد من المراقبين أن نجاح ترامب السابق في عمليات فردية، مثل الضربة الجوية لمواقع إيران النووية في حزيران/يونيو، واعتقال رئيس فنزويلا وزوجته في كانون الثاني/يناير، أعطاه شعورًا بالقدرة المطلقة، لكنه في الوقت نفسه جعله عرضة لمواجهة عواقب التورط المباشر في حرب واسعة النطاق. وأضافوا أن التوغل الأعمق في إيران خلال الأسابيع الثلاثة الماضية كشف ضعف التخطيط الاستراتيجي للرئيس ومستشاريه، حيث لم تُحقق العمليات أي تقدم ملموس، بل زادت من التعقيد والتوتر الدولي.

واستنتجوا أن الحرب أدت إلى تقسيم خصوم الولايات المتحدة وإيران على الساحة العالمية. فقد أدى إغلاق مضيق هرمز الحيوي إلى اضطراب الأسواق العالمية، وارتفع سعر النفط بنسبة 40 في المئة تقريبًا، في حين ارتفع سعر البنزين في الولايات المتحدة بما يقارب دولارًا واحدًا للغالون، وهو ما دفع ترامب إلى محاولة الترويج لفكرة أن التكاليف القصيرة ستعود بالنفع على المدى الطويل، لكن المحللين اعتبروا أن هذا التفسير غير مقنع على الإطلاق.

وكانت استراتيجيات ترامب غير واضحة منذ البداية، وأوضحوا أن محاولاته كانت أشبه بمحاولة «رمي كل شيء على الحائط على أمل أن يثبت شيء». وبيّنوا أن الاقتراحات التي قدمها، مثل تقديم ضمان تأميني بقيمة 200 مليون دولار للسفن المارة عبر المضيق أو حماية الناقلات بالقوة العسكرية دون جدول زمني محدد، أظهرت فوضى الإدارة وعدم فهم المخاطر الواقعية على الجنود والمعدات، وفقا للخبراء.

ولم تجد دعوة ترامب لقادة العالم للانضمام إلى «فريقه» لإعادة فتح المضيق صدى كبيرًا. فالاستشار الألماني فريدريش ميرز وصف القرار بأنه غير مدروس، وأكد أن أوروبا لم تُستشر ولم يُطلب منها تقديم المساعدة، فيما شدد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على أن فرنسا لن تشارك أبدًا. وأوضح محللون أن رفض بريطانيا إرسال سفن حربية إلى المنطقة، وتأكيد أستراليا واليابان عدم المشاركة، يعكس عزلة الإدارة الأمريكية سابقًا وفشلها في بناء تحالف دولي.

وأشار محللون إلى أن الحرب كانت شخصية بامتياز بالنسبة لترامب، وأن الهدف الأساسي كان اغتيال المرشد الأعلى الإيراني، آية الله علي خامنئي، وهو ما يعكس البعد الانتقامي للصراع. وأكدوا أن محاولة تقديم تبريرات «أخلاقية»، أو «نبيلة» للغزو لم تصمد أمام تحليل الوقائع، وأن الاعتماد على الحجج مثل حماية الشعب الإيراني أو منع هجمات محتملة على الأصول الأمريكية لم يخفف من الانتقادات المتزايدة على صعيد الرأي العام الأمريكي.

وكانت الأزمة الاقتصادية الناتجة عن الحرب حادة بشكل غير مسبوق، حيث أدت إلى زيادة أسعار النفط والغاز واضطراب الأسواق، وهو ما زاد الضغوط على الاقتصاد الأمريكي. وأوضحوا أن محاولات ترامب السيطرة على الرسائل الإعلامية من خلال الهجوم على وسائل الإعلام واتهامها بنشر «أخبار كاذبة»، ومراجعة تراخيص بعض القنوات، فشلت في تهدئة القلق العام حول الأزمة المتصاعدة.

وقال محللون إن استطلاعات الرأي الأخيرة أظهرت تراجع دعم قاعدة ترامب للحرب. وأظهرت بيانات مؤسسة Quincy Institute for Responsible Statecraft بالتعاون مع مجلة The American Conservative أن 79 في المئة من مؤيدي ترامب يريدون إنهاء الحرب بسرعة، رغم الدعم الأولي الذي كان في حدود 75 في المئة قبل أقل من شهر. وأضاف المحللون أن 58 في المئة من المؤيدين يعارضون إرسال قوات أمريكية للقتال على الأرض في إيران، فيما يشعر أكثر من نصف المؤيدين بالقلق من ارتفاع أسعار الوقود، ما يعكس الانقسام داخل قاعدة ترامب الانتخابية.

وخلص محللون آخرون إلى أن الإدارة الأمريكية تواجه مأزقًا مزدوجًا: داخليًا وخارجيًا. داخليًا، يضغط ارتفاع الأسعار وخسائر الأرواح على الرأي العام الأمريكي، بينما خارجيًا، تباعد الحلفاء التقليديين عن المشاركة في العمليات على قيادة تحالف دولي. وأكد المحللون أن هذا التباعد يعكس آثار تكرار التجارب السابقة، مثل حرب العراق، حيث شعرت الدول الأوروبية بأنها لم تُستشر وتُركت لإدارة الغواطب.

وأكد خبراء آخرون أن تراجع الدعم الشبابي لمؤيدي MAGA للحرب يعكس تغييرًا ملموسًا في المزاج السياسي الداخلي. فقد أيدى 46 في المئة من الناخبين بين 18 و29 سنة معارضتهم للحرب، وهو ما قد يشكل ضغطًا مستقبليًا على أي إدارة محتملة لترامب، إذا قررت الاستمرار في النزاع أو تصعيده. وقالوا إن أفضل خيار في الوقت الحالي هو الناجمة عن ارتفاع أسعار الوقود وزيادة الضغط على الأسواق العالمية ستستمر في التأثير على الاقتصاد الأمريكي والعالمي ما لم يتم التوصل إلى تسوية عاجلة. وأكدت التحليلات أن استمرار الحرب في الوضع الراهن سيزيد من عزلة الولايات المتحدة دوليًا وتعقيد إدارة الأزمات المستقبلية، خاصة في ظل غياب استراتيجية واضحة لإنهاء الصراع.

وشددت التقييمات على أن الحرب على إيران أصبحت مثالًا على إخفاق السياسة الخارجية الأمريكية في إدارة النزاعات الكبرى، حيث أدى التدخل المباشر دون خطة واضحة وغياب التشاور الدولي إلى كارثة مستمرة. وترى المصادر أن تجاهل ترامب للعواقب المحتملة وتركيزه على أهداف شخصية وانتقامية أدى إلى صعوبات داخلية وخارجية غير مسبوقة في السنوات الأخيرة.

واختتمت الاستنتاجات الأمريكية بأن الحلّ الأمثل في الوقت الحالي هو إنهاء الحرب سريعًا، لإيقاف التصعيد العسكري والاقتصادي والسياسي، وحماية الاقتصاد الأمريكي ومنع المزيد من الخسائر البشرية. وحذرت من أن أي تأخير في اتخاذ القرار سيزيد الأزمة تعقيدًا ويضر بمكانة الولايات المتحدة على المستوى الدولي.

أدبية إسرائيلية في لحظة قراءة وتأمل للواقع النازف الحالي
إسرائيل دولة عنيفة محاطة بأعداء... تغّذي الكراهية وسفك الدمّ

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

انتقدت أدبية إسرائيلية بارزة تجليّات التوحش ودعم القوة المفرطة في إسرائيل، وحملت على وسائل الإعلامية العبرية المتجندة لها والمتطابقة مع سياسات وتجوهات حكومة الاحتلال التي تنتقل من حرب لأخرى في السنوات الثلاث الأخيرة. في مقال نشرته صحيفة «هآرتس» تقول الشاعرة وكاتبة النصوص التلفزيونية اليهودية حملت نيلي أوشروف على تصريحات الساسة والمسؤولين الإسرائيليين في الإئتلاف والمعارضة آخرها السفير الإسرائيلي في الأمم المتحدة داني دانوني الذي قال للإذاعة العبرية الرسمية الجمعة إن وقف الحرب الآن سيخدم إيران. ودعا دانوني لمواصلة استخدام القوة مع إيران ومع كل من تسوّل له نفسه بتهديد إسرائيل معتبرا إياها السبيل الوحيد للبقاء والتطور متماثلا مع ذلك مع رئيس حكومة الاحتلال نتنياهو الذي فاضل بين جنكيز خان وبين السيد المسيح. ودعا دانوني الإسرائيليين للصبر ومواصلة دعم قرار الحرب وقال إن دولا في الخليج تتصل بحكومة إسرائيل وتطالبها بالاستمرار بالحرب على إيران وعدم وقفها. في هذا المضمار يؤكد المحلل لشؤون الطاقة طارق عواد من مدينة الناصرة داخل أراضي 48 ضمن حديث لراديو الناس الذي يبث من المدينة ذاتها أن إسرائيل تدخل أوباحا كبيرة بسبب ارتفاع أسعار الغاز نتيجة تعطل صناعات الطاقة تقريبا في دول الخليج، وقال إن هذه المداخيل تتصاعد مع استمرار الحرب وتعوّض إسرائيل خسائر المادية. كما انتقدت نيلي أوشروف برامج الأخبار والترفيه التلفزيونية العبرية وقالت إن برنامج افتتاح الموسم من «الأخ الكبير» في القناة 12 العبرية حقق نسبة مشاهدة تراكمية بلغت 77 في المئة في مساء إطلاق الموسم الجديد، بالتزامن مع برنامج «السباق إلى المليون» ودوري أبطال أوروبا، وسط تجاهل للدم المسفوح والدمار الهائل في كل المنطقة. وتتابع في توجيه سهامها لبلادة إحساس الإسرائيليين: «تمت تصفية أربعة مسلحين، أعلنت مراسلة القناة 14 العبرية بفخر، وفي الاستوديو فُتحت شمبانيا مجازية. قلب كل إنسان سويّ ينكسر عند سماع نبأ مقتل أفراد عائلة بني عودة بشكل مروّع على يد قواتنا المتخفية الشجاعة، لكن لا مجال للمقارنة مع حجم الصدمة التي أثارها الخبر الصاعق عن إلغاء عطلات الفصح في الخارج. هذا حقًا ما قتلنا، نحن الإسرائيليون. فصح بلا سفر إلى الخارج؟ من المفارقة أن التجربة المثلى للإسرائيليين في عيد يرمز إلى عودتهم إلى أرض الآباء هي الهروب إلى الخارج، لكن الواقع الإسرائيلي زاخر بالمفارقات. مثل بكائنا على ما يفعله بنا الإيرانيون في حربٍ نحن من بدأها».

فنّ الهرب

وتقول إن الإسرائيليين لا يكتفون برثاء الذات على طريقة «القوزاق المظلوم» بل يطوّرون فن الهروب من الواقع إلى مستويات متقدمة والإجازة في الخارج هي، بطبيعة الحال، قمة هذا الهروب – فرار جسدي، جغرافي، ثقافي ونفسي من كل هذا العبء الإسرائيلي – لكن للهروب وجوهًا كثيرة: «في الأسبوع الثاني من الحرب الإيرانية الثانية سُجّلت نسب مشاهدة قياسية للقنوات التلفزيونية 77 في المئة إجمالاً في مساء عُرض فيه افتتاح الأخ الكبير، حلقة جديدة من السباق إلى المليون ومباريات دوري أبطال أوروبا. وذلك بعد أسبوع فقط من حدث تلفزيوني ضُخّ له بحملة مكثفة في هيئة البث – الكشف عن أغنيتنا لليوروفيجن– والذي أتاح لملايين الإسرائيليين أن يطلقوا أخيرًا أنفاسهم المكبوتة، هذه المرة من دون إرشادات ناطق أشيب مهيب من قيادة الجبهة الداخلية التابعة للجيش. أضيفوا إلى ذلك نشرات أخبار تتجنب الحقيقة كما لو كانت صاروخًا إيرانيًا متشظيًا، وستحصلون على ملاذ محصّن من مشاهدة مئات المئات. مزيج الأريكة، جهاز التحكّم والمثلجات هو خلطة رابحة. يا لها من حربٍ حلوة وتُبوها لنا».

الهروب امتياز الضحية فقط

وهنا برأيها تكمن المفارقة: «بينما نغدق على أنفسنا بسخاء كل أشكال الهروب من الواقع، ننسى أن هذا الهروب هو، في الأصل، امتياز الضحية وحدها. وحده يملك الحق الكامل في البحث عن أي ملاذ يخفف عنه آلمه. أما إسرائيل، فرغم الألم الفادح الذي عاشته في السابع من أكتوبر، فهي ليست ضحية فحسب. عليها أيضًا مسؤولية كاملة عن المعاناة التي لحقت بمواطنيها الأبرياء، وبالطبع عن المعاناة الهائلة التي تسببت بها، والتي ستواصل التسبب بها، لأبرياء آخرين». وتقول إن إسرائيل ليست دولة ضعيفة بل إنها دولة قوية،عنيفة، وتمارس القمع منذ عقود. وتمضي في قول حقيقة يهرب ويتهرب منها الإسرائيليون بشكل عام: «صحيح أنها محاطة بأعداء، لكنها تفعل كل ما في وسعها لتغذية الكراهية وسفك الدماء. الحرب الأخيرة التي بادرت إليها تُرسّخ أكثر صورتها كقتوة الحي، إسرائيل المصفّية، التي لا ترى أحدًا سوى نفسها، بينما ينشغل أبناؤها، بالمناسبة، بقتل الفلسطينيين في الضفة».

وتؤكد نيلي أوشروف أن الإسرائيليين فقدوا تمامًا القدرة على تمييز المفارقة، والأسوأ من ذلك أنهم فقدوا إنسانيتهم منوهة أن الصحافية الإسرائيلية مراسلة صحيفة «هآرتس» العبرية في رام الله عميرة هاس، هي صحافية بارزة حافظت على شرف المهنة طوال سنوات الاحتلال والحروب. وتقول هاس روت في حديثٍ معها في تل أبيب أن أصعب ما يعيشه الفلسطينيون في الضفة هو فقدان إنسانية الإسرائيليين: «كنا نعرف أن فيكم شيئًا من الصواب. أنه إذا اعتُقل طفل، سينتهي الأمر بخير. أن فيكم بشرًا. اليوم، هذا اختفى». على خلفية هذا ترى نيلي أوشروف أيضا أن الهروب من الواقع الذي يمنحه الإسرائيليون لأنفسهم هو تعبير عن عملية نزع الإنسانية التي مرّوا بها. «كثير يغرق في البحر حولنا ونحن ننشد نشيدًا، ونحن ننشد، نسافر، ونأكل المثلجات. وربما يكون الهروب هو أصل الداء. فهو يُضعف ويُبلّد ويُغيب. يمنعنا من الفعل، من النظر إلى الواقع بعيون مفتوحة، من مواجهة الحقيقة، ومن البحث عن القدرة على التغيير».

وتخلص نيلي أوشروف للقول عن توّحش الإسرائيليين وهروبهم من أنفسهم ومن الحقيقة: «نشيد الهروب هو تلك الأغنية التي نحبها كثيرًا، والتي هي، في الوقت نفسه، زائفة؛ ودائمًا سيكون لي فقط خير، خير أكثر. وأكثر. من المحزن أن نتذكر أن النشيد الذي كان يُفترض أن يليق بإسرائيل هو: لأنني ما زلت أؤمن بالإنسان، وبروحه – روحٍ جسورة».

ما قبل التفاوض الشائك: كيف تُرسَم الحدود بالنار بين إسرائيل وحزب الله؟

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

لم يكن عيد الفطر المبارك في لبنان سعيداً بقدر ما كان مغمساً بدماء الضحايا الأبرياء وبنزوح نحو مليون لبناني من الجنوب والضاحية والبقاع بغير حق من دون أي أفق للحل في المستقبل القريب. ولم يقترن عيد الفطر بتحقيق هدنة كما اقترح رئيس الجمهورية العماد جوزف عون تمهيداً للبدء بمفاوضات مباشرة بين لبنان وإسرائيل.

وبعد ثلاثة أسابيع على الحرب بين إسرائيل و«حزب الله» التي اندلعت في 2 آذار/مارس الحالي، انتقل الطرفان المتحاربان إلى محاولة فرض وقائع ميدانية على الأرض قبل بدء أي مسار تفاوضي تلبية لمبادرة رئيس الجمهورية. وتشير مجموعة من المؤشرات إلى أن الحرب انتقلت من مرحلة الضربات المحدودة إلى مرحلة التصعيد العملياتي الواسع. ومن أبرز هذه المؤشرات: إصدار المتحدث بإسم الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدرعي إنذارات بعمليات إخلاء واسعة جنوب نهر الزهراني، بعد أن أخليت منطقة جنوب نهر الليطاني، وتكثيف أوامر الإخلاء كما الضربات الجوية على بيروت والضاحية الجنوبية والبقاع، وتعزيز الانتشار العسكري الإسرائيلي على جبهة الشمال، واستمرار إطلاق الصواريخ والمسيّرات من لبنان بوتيرة يومية نحو تل أبيب وحيفا والجليل.

وانتقل الجيش الإسرائيلي إلى مرحلة جديدة من الاعتداءات تتمثل بقصف الجسور فوق نهر الليطاني لقطع المعابر وإعاقة حركة الامدادات لـ «حزب الله» من شمال النهر إلى جنوبه، في وقت يجهد «الحزب» لتأخير التقدم البري للجيش الإسرائيلي على محور بلدة الخيام برفض أي مسار يفضي إلى استسلامه أو إلى نزع سلاحه. وخرج أمينه العام الشيخ نعيم قاسم ليعلن «أن الميدان هو الذي يحسم المعركة، وأن المقاومة مستمرة في ميدان الشرف مهما بلغت التضحيات»، لافتاً إلى «أن الحل المتاح هو إيقاف العدوان والانسحاب من الأراضي المحتلة والإفراج عن الأسرى وعودة أهل القرى والمدن إلى بيوتهم مع بدء الإعمار، وإيماكننا ذلك». وجدد قاسم العهد للجمهورية الاسلامية الايرانية بقوله «مستمرون معًا بولايتنا لقائدنا آية الله السيد مجتبى الخامنئي».

من هنا، بدأ «الحزب» الذي حظرت الحكومة أنشطته العسكرية والأمنية باعتماد نمط قتالي يسعى إلى منع إسرائيل من تحقيق حسم سريع أو فرض واقع ميداني على بيروت والضاحية الجنوبية والبقاع، وتعزيز الانتشار وإظهار قدرته على الفعل والتأثير رغم الضربات الواسعة مستفيداً من امتلاكه صواريخ «كورنيت» ضد الدروع والتحصينات، إضافة إلى الطبيعة الجغرافية الجبلية والمتداخلة في الجنوب اللبناني، ومن العمق اللبناني الذي يمنحه هامش حركة أوسع من ذلك الذي واجهته حركة «حماس» في غزة، كما مستفيداً من مشاركة إيران في الحرب ومن سعيها إلى ربط لبنان بأي اتفاق جديد لوقف إطلاق النار لا يوحي بهزيمة كالاتفاق الذي حصل في 27 تشرين الثاني/نوفمبر 2024 والذي أعطى لإسرائيل حرية الحركة في لبنان كلما شعرت بتهديد.

مبادرة عون

إنطلاقاً من هنا، يتم تعامل «حزب الله» مع مبادرة رئيس الجمهورية التي أطلقها لوقف التصعيد العسكري الإسرائيلي خلال اجتماع افتراضي للاتحاد الأوروبي وبعد التشاور مع الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي أوفد وزير خارجيته جان نويل بارو للبحث في كيفية دعم المبادرة التي تلقى برودة إسرائيلية وأميركية على الرغم من تكليف رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو وزير الشؤون الاستراتيجية رون ديرمر بترؤس الوفد التفاوضي مع لبنان.

ونقل الوزير بارو إلى الرئيس عون خلاصة التحرك الذي يقوم به الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون لوقف التصعيد العسكري في لبنان في ضوء استمرار الاعتداءات الإسرائيلية والقتال على أراضيه، معرباً عن استعداد فرنسا للعمل من أجل وضع حد للتصعيد العسكري، من خلال اقتراحات يتم التداول بها مع الأطراف المعنية، انطلاقاً من المبادرة التفاوضية التي أعلنها الرئيس عون والتي وصفها الوزير الفرنسي بـ«الشجاعة» وتلقى دعم المجتمع الدولي، لأنها عبّرت عن إرادة ثابتة في قيام دولة قوية ترفض الانجرار إلى حرب لم تبدأها.

ومن المفيد التذكير بأن هذه المبادرة تتألف من أربع نقاط مترابطة؛ أولاً، إرساء هدنة كاملة ووقف الاعتداءات الإسرائيلية البرية والجوية والبحرية على لبنان؛ ثانيًا، تقديم دعم لوجستي عاجل للقوى المسلحة اللبنانية؛ ثالثًا، تولّي هذه القوى فورًا السيطرة على مناطق التوتر الأخيرة، ومصادرة السلاح الموجود فيها، بما في ذلك سلاح حزب الله ومخازنه ومستودعاته وفق المعلومات المتوافرة؛ رابعًا، أن يبدأ لبنان وإسرائيل، بالتزامن مع ذلك، مفاوضات مباشرة برعاية دولية، للتوصل إلى تنفيذ تفاصيل هذه البنود.

وإذا كانت المبادرة الرئاسية لقيت ترحيباً وتأييداً من العديد من القوى السياسية التي رأت فيها خطوة عملية لتثبيت قرارات الحكومة حول حصرية السلاح وحظر أنشطة الحزب العسكرية والأمنية، إلا أن رفض «حزب الله» أي مسار يُوحي بأنه مدخل لنزع سلاحه أو للاستسلام وضع عقبة أمام المبادرة خصوصاً أن لا رئيس الجمهورية ولا رئيس الحكومة نواف سلام يملكان القرار بنزع سلاح «الحزب» بعد تجربة جنوب نهر الليطاني التي أظهرت عدم تعاون الحزب مع الجيش اللبناني لتنظيف المنطقة من الأسلحة والصواريخ التزاماً باتفاق وقف الأعمال العدائية. وهذا ما جعل رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي شارك وزراؤه في الموافقة على قرار مجلس الوزراء بحظر أنشطة الحزب واعتباراها خارجة عن القانون يفرمل اندفاعته ويمتنع عن تسمية شخصية شيعية ضمن الوفد المفاوض، ودفع هذا الموقف بالرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط إلى العدول عن تسمية درزي ضمن الوفد المفاوض بعدما جرى إيراد إسم السفير اللبناني السابق في روسيا شوقي بو نصار. كل ذلك، بموازاة ضغط من «الحزب» وتلويح باستعادة انتفاضة 6 شباط/فبراير 1984 التي جاءت ردا على اتفاق 17 أيار/مايو الذي لم يبرمه الرئيس الأسبق أمين الجميل وبالعمل على تطيير حكومة نواف سلام.

حكومة «فيشي»

ولا يخفي كثيرون رغبة «حزب الله» في استدراج الأفرقاء المحليين إلى مواجهة داخلية تعويضاً عن خسائره في الجنوب. وكانت تهديدات نائب رئيس المجلس السياسي للحزب محمود قماطي مباشرة من خلال قوله «إن المواجهة المباشرة مع هذه السلطة السياسية حتمية بعد انتهاء الحرب»، مشبهاً إياها بـ «حكومة فيشي» التي كما قال «كانت تعتقل المقاومين وتعدمهم إلى أن انتصرت المقاومة بقيادة ديغول وأعدمت الحكومة وحاكمتها»، متمنياً «ألا تضع الدولة نفسها في هذا الموقع». وشجب قماطي «اعتبار الحزب غير قانوني وما يتم من اعتقال لمقاومين وأستدعاء إلى القضاء ومصادرة سلاح»، قائلاً «نصبر قليلاً ولكن إلى أمد لأن لدينا أولوياتنا».

وإذا كان رئيس حزب «القوات اللبنانية» سمير جعجع أكد «أن حزب الله لن يجد من يشتبك معه إلا الجيش والقوى الأمنية»، فإن رئيس الحكومة نواف سلام انتقد «الهروب إلى الأمام ورمي الدولة بسهام التقصير في حق أهلها سعياً لحرف الأنظار عن خطيئة إقحام البلد في الحرب ونتائجها المدمرة»، رافضاً «الخطاب التخويني والتهديدي، لأنه محاولة لفرض الصمت على اللبنانيين حتى لا تطرح الاسئلة التي لا يريد أصحاب هذا الخطاب الإجابة عنها»، مستهجناً «التلويح بالعنف، والتهديد بالقتل والاعدامات، والتحريض على الفتنة والحرب الأهلية».

وليست المرة الأولى التي يهدد فيها «حزب الله» الداخل اللبناني بعد كل حرب، فهو بعد حرب تموز/يوليو 2006 نفذ اجتياحاً لبيروت في 7 أيار/مايو وهدّد الجبل، ثم نفّذ حركة القمصان السود التي أدت إلى تأجيل الاستشارات النيابية في القصر الجمهوري والاتيان بالرئيس نجيب ميقاتي بدلاً من الرئيس سعد الحريري عام 2010، كذلك فإنه بعد تفجير مرفأ بيروت هدّد المحقق العدلي القاضي طارق البيطار بـ «القبع» ونظم تظاهرة مسلحة على الطيونة.

وإذا كانت هذه الوقائع تؤشر إلى شيء فإلى زعزعة الصف الحكومي حيث بدأت قوى سياسية تطالب بإقالة وزيري «حزب الله» من الحكومة محمد حيدر وركان ناصر الدين وصولاً إلى إجراءات قضائية بحق قماطي للتأكيد أن لا عودة إلى الوراء وأنه لا يجوز بعد اليوم قلب الوقائع أو رمي المسؤولية على الدولة.

وفي هذا الإطار، تُطرَح علامات استفهام حول الموقف الحقيقي للرئيس بري الذي يستمر في صيامه تجاه ما أقدم عليه «حزب الله»، داعياً في عيد الفطر إلى «التماس الوحدة والتضامن والتماسك بين النازحين الصامدين والمضيفين لأنها سبيل الخلاص لحفظ لبنان». ولا شك أن دعوة الرئيس بري تعكس قلقه كما قلق كثيرين من تطور الاشكالات التي بدأت تحصل في بعض المناطق وخصوصاً في بيروت وعرمون بعد كل غارة تتعرض لها هذه المناطق وتحميل أبناء المنطقة النازحين باستجلاب الخطر إليهم. والخوف الأكبر هو أن تطول أزمة النزوح ولا تكون العودة مسهّلة إلى قرى الجنوب كما حصل عامي 2006 و2024 ما سيتسبب بتغيير ديموغرافي لاسيما في المناطق المسيحية التي لا تريد أن تدفع ثمن مغامرات أي حزب، تماماً كما هو حال القرى المسيحية الحدودية التي يتمسك أهاليها بالبقاء في بيوتهم وعدم النزوح عنها والذين يرفضون استخدام قراهم منصة لإطلاق الصواريخ ويطالبون الجيش اللبناني بمنع دخول المسلحين إلى أراضيهم.

غير أن الجيش اللبناني الذي سبق أن انتشر في جنوب نهر الليطاني أعاد توضعه في عدد من النقاط بما يتناسب مع الظروف المعقدة ولاسيما في المناطق التي شهدت تقدمًا للجيش الإسرائيلي أو باتت تحت ضغط ناري مباشر، وذلك تجنبا للانجرار إلى مواجهة مباشرة مع أي من طرفي الحرب.

أمير قطر يبحث مع ملك الأردن والرئيس المصري تطورات الأوضاع في المنطقة

الدوحة ـ «القدس العربي»:
حامد محمد

جاء عيد الفطر على دولة قطر هذا العام في ظروف استثنائية وسط إجراءات احترازية فرضتها الأوضاع الراهنة في المنطقة، عقب الهجمات الإيرانية المتكررة على الدولة، والتي استهدفت منشآت حيوية، ما انعكس على مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة.

وأدى المسلمون في قطر صلاة العيد وسط تشديدات من الجهات المعنية بأخذ الحيطة والحذر من تكرار الهجمات الإيرانية، فقررت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عدم إقامة صلاة عيد الفطر في المصليات والأماكن المفتوحة حفاظاً على سلامة المصلين في ظل الظروف الراهنة، على ألا تتجاوز مدة الصلاة والخطبة في الجوامع المعتمدة 15 دقيقة.

وأهابت وزارة الداخلية بأولياء الأمور توجيه أبنائهم بالبقاء ضمن النطاق العائلي خلال أيام عيد الفطر المبارك، وعدم السماح لهم بالخروج إلى الأحياء السكنية أو التنقل مشيًا بين المنازل للمعايدة، تجنّباً لما قد يترتب على ذلك من مخاطر محتملة على سلامتهم.

وأكدت الوزارة على أهمية الاكتفاء بالزيارات والفعاليات العائلية المحدودة والالتزام التام بالإرشادات والتوجيهات الصادرة عن الجهات المختصة داعية الجميع إلى التحلي بالمسؤولية المشتركة بما يعزز السلامة العامة ويضمن قضاء العيد في أجواء آمنة ومطمئنة.

كما دعت الوزارة إلى إقامة حفلات الزواج ومجالس العزاء في القاعات والأماكن المغلقة فقط، وتجنب إقامة المناسبات في الخيام أو المواقع المكشوفة، مشددة على أهمية التقيد بالتعليمات الصادرة عن الجهات المختصة، مع الامتناع عن أي ممارسات قد تعرض الأفراد أو المجتمع للخطر.

تضامن عربي وعالمي

وعلى الصعيد الدبلوماسي، بحث الشيخ تميم بن حمد آل ثاني أمير قطر، مع الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي، آخر التطورات في المنطقة في ظل استمرار العدوان الإيراني على قطر وعدد من دول المنطقة.

وجدد الرئيس المصري التضامن الكامل لبلاده مع دولة قطر، مؤكداً دعمها للإجراءات التي تتخذها لحماية سيادتها وأمنها وسلامة مواطنيها.

وأكد الجانبان رفضهما لأي أعمال عسكرية توسع دائرة الصراع، وشددا على أهمية تكثيف الجهود الإقليمية والدولية لخفض التصعيد، والعمل عبر القنوات الدبلوماسية للحفاظ على الأمن والاستقرار في المنطقة.

كما التقى أمير قطر، ملك الأردن عبد الله الثاني ابن الحسين، وبحثا تطورات الأوضاع في المنطقة في ضوء التصعيد الراهن واستمرار العدوان الإيراني السافر الذي استهدف قطر والأردن وعدداً من دول المنطقة.

وأكد أمير قطر تضامن بلاده مع الأردن إزاء كل ما تتخذه من إجراءات للدفاع عن سيادتها وأمنها وضمان سلامة مواطنيها، فيما أكد ملك الأردن تضامن بلاده ودعمها الكامل لكل ما تتخذه دولة قطر من إجراءات للحفاظ على سيادتها وأمنها واستقرارها.

وأكد الجانبان رفضهما لهذه الاعتداءات، وشددا على ضرورة الوقف الفوري لكافة الأعمال العسكرية التي من شأنها توسيع دائرة الصراع وتعريض أمن الدول وشعوبها للخطر، كما شددا على أهمية تكثيف الجهود الإقليمية والدولية لخفض التصعيد واحتواء التوتر القائم، والعمل عبر القنوات الدبلوماسية والحوار لمعالجة الأزمات القائمة بما يسهم في تجنيب المنطقة مزيداً من التدهور ويعزز فرص الأمن والاستقرار فيها.

وتطرق الجانبان كذلك إلى عدد من القضايا الإقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك، مؤكدين أهمية مواصلة التنسيق والتشاور بين البلدين، لاسيما في ظل التطورات الراهنة وتداعياتها على أمن المنطقة واستقرارها.

وتلقى أمير قطر عددًا من الاتصالات الهاتفية من قادة العالم، الذين أعربوا عن تضامنهم مع بلاده، فتلقى اتصالاً من كير ستارمر رئيس وزراء المملكة المتحدة الصديقة.

وعبر رئيس وزراء المملكة المتحدة خلال الاتصال عن استنكاره واستيائه لاستهداف منطقة رأس لفان الصناعية، مؤكداً أن هذه الأفعال غير مقبولة وتشكل انتهاكاً صارخاً للمواثيق والأعراف الدولية، ومشدداً على التزام بلاده الكامل بأمن دولة قطر، وعلى ضرورة التهدئة والعودة بسرعة إلى طاولة الحوار. كما تلقى اتصالاً هاتفياً من الملك فيليبي السادس ملك مملكة إسبانيا الصديقة، الذي أعرب عن استنكاره للهجوم الإيراني الغاشم على منطقة رأس لفان الصناعية، معبّرا عن شجبه لهذه الأفعال ومشدداً على دعم إسبانيا لدولة قطر في مواجهة هذا العدوان.

وتلقى اتصالا هاتفيا من الملك حمد بن عيسى آل خليفة ملك مملكة البحرين، الذي أعرب عن استنكاره للعدوان الإيراني على منطقة رأس لفان الصناعية، معبرا عن تضامن مملكة البحرين مع دولة قطر في مواجهة هذا العدوان السافر.

مطالبة قطرية تركية بوقف الحرب

وخلال مؤتمر صحافي لرئيس مجلس الوزراء وزير الخارجية القطري الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن جاسم آل ثاني، ووزير الخارجية التركي هاكان فيدان، أكد رئيس الوزراء القطري إدانة عدوان إيران والمطالبة بوقفه فورا، مؤكداً أن توسيع دائرة الصراع لن يخدم أهداف أمن واستقرار المنطقة، وأن ادعاء إيران أنها تستهدف القواعد الأمريكية مرفوض وغير مبرر.

وأشار إلى أن الكل يعلم المستفيد من الحرب وجر المنطقة إلى الصراع، مشدداً على أن دولة قطر سعت بكل صدق لمنع الحرب على إيران لكن طهران صدمت الدوحة بتوجيه السهام لها، معرباً عن إيمان بلاده بالدبلوماسية كحل أول وأخير للصراعات.

ودعا رئيس الوزراء القطري إلى بناء الثقة التي بددها العمل العدائي الإيراني، مؤكداً أن الحرب بدأت من إسرائيل لكن إيران انتهجت خيار العداء لجيرانها، وأن هجمات إيران على دول المنطقة لا تسهم إلا في توسيع الصراع وزعزعة الاستقرار.

وأكد أن اعتداء إيران على رأس لفان الصناعية له تداعيات على إمدادات الطاقة، وأن طهران اعتدت على مرفق للغاز يعتبر مصدر رزق للشعب القطري، وأن هذا الاعتداء يؤثر على ملايين المنكوبين الذين تساعدهم قطر بالعالم.

من جانبه أدان وزير الخارجية التركي الهجمات علي قطر وعلى بنيتها التحتية المدنية، مؤكدا دعم بلاده لدول المنطقة التي تتعرض للهجمات، داعياً للحل الدبلوماسي.

ونوه إلى أن السبب الأول للحرب هو إسرائيل التي حرضت عليها أثناء المفاوضات بين طهران وواشنطن، معربًا عن رفض تركيا استهداف جيرانها وموقفها بعدم السماح لإسرائيل بالتستر على جرائمها، وأن تركيا تهدف إلى ألا تشعل الحرب العالم عن الأزمة في غزة.

هجمات على أهداف مدنية

وخلال الإحاطة الأسبوعية لوزارة الخارجية، أكد الدكتور ماجد الأنصاري مستشار رئيس مجلس الوزراء المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية القطرية، أن الاتصالات لا تزال جارية مع مختلف الأطراف لضمان بقاء مضيق هرمز مفتوحا، وأن هجمات إيران وتهديداتها ضد أهداف مدنية لم تتوقف، مشيراً إلى أن عملية الإجلاء الأخيرة بأجزاء من الدوحة تم بعد إطلاق صاروخ إيراني على حي سكني تم اعتراضه.

وأشار إلى أن دولة قطر تتعامل بجدية مع أي حديث تتداوله وسائل إعلام إيرانية عن استهدافات في قطر، وأن المسار الدبلوماسي لا يعني القبول بالاعتداءات الإيرانية على دول المنطقة، مؤكداً أن التوترات في المنطقة قد تؤثر على الاقتصاد العالمي بشكل عام.

وعلى خلفية الهجوم على رأس لفان الصناعية، سلمت وزارة الخارجية القطرية مذكرة رسمية إلى سفارة إيران في الدوحة، تفيد بأن دولة قطر تعتبر كلاً من الملحق العسكري والملحق الأمني في السفارة، إضافة إلى العاملين في الملحقيتين، أشخاصاً غير مرغوب فيهم، وتطلب منهم مغادرة أراضي الدولة خلال مدة أقصاها 24 ساعة.

من ناحية أخرى، يستمر القطاع الصحي في دولة قطر عمله على مدار الساعة، وفق ما أعلنه منصور بن إبراهيم آل محمود، وزير الصحة العامة القطري، الذي أكد أن القطاع الصحي يتمتع بدرجة عالية من الجاهزية والاستعداد، وأن جميع الإصابات منذ بداية الأزمة الحالية بسيطة وخرجت من المستشفى، باستثناء حالة واحدة وهي مستقرة.

كما أكد أن وزارة الصحة تراقب جاهزية المستشفيات والخطة الاستيعابية والطوارئ على مدار الساعة، مشيراً إلى أن القطاع الصحي القطري يتميز بنية تحتية عالية، وشبكة مستشفيات تضم 26 مستشفى، ويعمل به 60 ألف عنصر من الكوادر الطبية على درجة عالية من الكفاءة والمهنية.

ولفت إلى أن دولة قطر بها منظومة متكاملة للإمداد الطبي، وأن المخزون الاستراتيجي من الأدوية والذي يكفي لتسعة شهور لم يُستخدم حتى الآن، لأن الدولة لم تواجه أي مشكلات في استيراد الأدوية.

تأثيرات على إمدادات الطاقة

وحول تأثير الهجوم الإيراني على رأس لفان الصناعية، أكد المهندس سعد بن شريده الكعبي، وزير الدولة لشؤون الطاقة، العضو المنتدب والرئيس التنفيذي لقطر للطاقة لوكالة «رويترز» أن هجمات إيران تهدد إمدادات الغاز لآسيا وأوروبا لمدة 5 سنوات، وأن قطر للطاقة قد تضطر إلى إعلان حالة القوة القاهرة في العقود طويلة الأجل.

وأشار الكعبي إلى أن تكلفة بناء الوحدات المتضررة جراء الهجوم الإيراني تبلغ حوالي 26 مليار دولار، وأن الهجوم تسبب في تعطيل 17 في المئة من قدرة قطر على تصدير الغاز المسال.

وعلى صعيد توفر السلع بالسوق القطري، أكد الشيخ فيصل بن ثاني وزير التجارة والصناعة أن قطر لم تلجأ للمخزون الاستراتيجي من السلع حتى الآن، وأن الأسواق مستقرة وجميع السلع متوفرة.

ونوه إلى أن دولة قطر لديها مخزون استراتيجي من 57 سلعة أساسية، وأن قطر بها أكثر من 2000 منتج وطني بنمو 99 في المئة على أساس سنوي، مشيراً إلى أن دولة قطر تحتل المرتبة 19 عالمياً في مؤشر الأمن الغذائي العالمي، وأن الدولة تراقب مستويات مخزون الأمن الغذائي وحركة الطلب باستمرار.

وحول مستويات الإشعاع في البيئة القطرية، أعلنت وزارة البيئة والتغير المناخي، أن مستويات الإشعاع في الهواء والمياه الإقليمية ضمن المعدلات الطبيعية والآمنة، وأن الوزارة تعمل على متابعة التطورات الإقليمية عبر منظومات الرصد الإشعاعي الوطنية على مدار الساعة، وأن جميع القراءات تشير إلى عدم وجود مؤشرات تدعو للقلق.

بعد تفاهم باريس: أول تصعيد إسرائيلي في الجنوب السوري

منهل باريش

في تصعيد هو الأول من نوعه خلال العام الجاري، والأول بعد اجتماع باريس في 6 كانون الثاني/يناير، الذي جرى برعاية مبعوث الرئيس الأمريكي الخاص إلى الشرق الأوسط ستيف ويتكوف وصهر الرئيس ترامب، جاريد كوشنر، أعلنت إسرائيل تنفيذ سلسلة من الضربات الجوية المركزة استهدفت بنى تحتية ومواقع عسكرية تابعة للحكومة السورية في الجنوب، في خطوة قالت إنها تأتي رداً على ما وصفته بـ«الاعتداءات» التي طالت أبناء الطائفة الدرزية في محافظة السويداء.

ووفقاً للمتحدث باسم الجيش الإسرائيلي، فقد طالت الهجمات مقرات قيادة ومستودعات ووسائل قتالية داخل معسكرات عسكرية، في وقت تزامن فيه ذلك مع غارة فجر الجمعة استهدفت موقعاً عسكرياً يتبع للفرقة 40 في مدينة إزرع بريف درعا الأوسط (مقر اللواء 12 سابقاً)، ويتاخم المدينة من الجهة الشرقية الجنوبية)، واقتصرت أضرارها على الخسائر المادية بدون تسجيل إصابات بشرية.

غير أن دلالة هذه الضربات لا تقتصر على بُعدها الميداني فحسب، بل تتجاوز ذلك لتعكس تصعيداً واضحاً في مستوى الخطاب السياسي الإسرائيلي، بعد نحو أربعة أشهر من وقف القصف داخل الأراضي السورية، وكان هجوم القوات الإسرائيلية في بيت جن نهاية تشرين الثاني/نوفمبر 2025 أبرز تلك التطورات.

رسائل كاتس: قواعد اشتباك جديدة

وفي هذا السياق، صعّد وزير الدفاع الإسرائيلي يسرائيل كاتس من لهجته تجاه دمشق، في خطوة بدت أقرب إلى الانقلاب على تفاهم باريس ورسم قواعد اشتباك جديدة في الجنوب السوري. وأكد كاتس أن بلاده «لن تسمح للنظام السوري باستغلال التطورات الجارية لاستهداف أبناء الطائفة الدرزية»، مضيفاً أن إسرائيل «تتابع عن كثب ما يجري في السويداء، ولن تتردد في التدخل العسكري المباشر إذا اقتضت الضرورة».

وفي سياق متصل، أوضح الوزير أن الضربات التي نُفذت لا تعدو كونها «رسالة أولية»، في إشارة ضمنية إلى أن سقف العمليات العسكرية قد يشهد تصعيداً إضافياً خلال المرحلة المقبلة. كما شدد على أن الجيش الإسرائيلي تلقى توجيهات مباشرة من القيادة السياسية، وعلى رأسها رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو، بالتحرك السريع وضرب «أي هدف يشكل تهديداً»، وفق تعبيره.

ولم يخفِ كاتس إمكانية تعديل قواعد الاشتباك في الساحة السورية، معتبراً أنها «قابلة للتغيير» تبعاً لمجريات الميدان، الأمر الذي يعكس توجهاً نحو توسيع نطاق التدخل الإسرائيلي خارج الإطار التقليدي المرتبط بالتموضع الإيراني.

ومن زاوية أوسع، حملت تصريحات كاتس أبعاداً سياسية تتجاوز البعد العسكري، إذ حاول تأطير التحرك الإسرائيلي ضمن خطاب «حماية الأقليات»، في مسعى لإضفاء شرعية سياسية وأخلاقية على العمليات العسكرية، وذلك بالتوازي مع تزايد الانتقادات الدولية لسلوك إسرائيل في المنطقة. كما بدت هذه التصريحات موجّهة إلى أطراف إقليمية ودولية، أهمها واشنطن التي تشاركها المواجهة مع طهران، وكذلك إلى دول إقليمية، وعلى رأسها تركيا، للتأكيد على أن تل أبيب مستعدة لإعادة رسم توازنات الجنوب السوري بما يتلاءم مع حساباتها الأمنية، حتى وإن استدعى ذلك الانخراط في مواجهة مباشرة مع دمشق.

ومن الواضح أن نتنياهو وحكومته لا يرغبان في اهتزاز الثقة الداخلية وتصاعد حدة الانتقادات من الطائفة الدرزية داخل إسرائيل. كما أن ما حدث يحمل رسالة مباشرة إلى دمشق مفادها أن أي تصعيد، مهما كان محدوداً، ضد الدروز في السويداء قد يؤدي إلى نسف مسار التهدئة الذي استمر نحو أربعة أشهر برعاية أمريكية، وتكرّس عقب اجتماع باريس المذكور أعلاه.

الميدان في السويداء: اشتباكات تتسع

ميدانياً، ترافقت هذه التطورات مع تصعيد ملحوظ في محافظة السويداء، حيث اندلعت مواجهات عنيفة بين قوات الأمن الداخلي التابعة للحكومة السورية ومجموعات تتبع لـ«الحرس الوطني»، وسط تبادل للاتهامات بشأن المسؤولية عن استهداف الدنيين وتفجير الوضع الأمني.

توغلات إسرائيلية متكررة في القنيطرة

وفي سياق متصل، أفادت مصادر محلية بسماع دوي انفجارات في ريف دمشق الجنوبي ليل الجمعة، ناجمة عن عمليات اعتراض نفذتها منظومات الدفاع الجوي الإسرائيلية لصواريخ في أجواء المنطقة. وأكد مصدر من منطقة الكسوة أن الأصوات تعود لاعتراض صواريخ بالستية يُعتقد أنها إيرانية، نافياً في الوقت ذاته وقوع أي استهداف مباشر لمواقع عسكرية في المنطقة، بما في ذلك الكسوة وجبل المانع. كما أشار، في اتصال، إلى أن بعض عمليات الاعتراض نُفذت من منصات الدفاع الجوي المتمركزة في جبل الشيخ، الذي تتخذ منه إسرائيل قاعدة عسكرية كبيرة.

وفي تطور موازٍ، أعلنت وزارة الداخلية السورية أن قوى الأمن الداخلي في السويداء ضبطت أسلحة متوسطة وذخائر متنوعة خلال إحباط محاولة تسلل لعصابات خارجة عن القانون، كانت تستعد لتنفيذ أعمال عدائية تستهدف زعزعة استقرار المنطقة. وأكدت الوزارة استمرار جهودها في ملاحقة الخارجين عن القانون، واتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية المدنيين وتعزيز الأمن.

إدانات القصف الإسرائيلي على إزرع

على الصعيد الدبلوماسي، دانت وزارة الخارجية السورية الغارات الإسرائيلية ووصفتها بأنها «اعتداء غاشم»، وانتهاك صارخ لسيادة البلاد ولمبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة. واعتبرت دمشق أن هذه الضربات تمثل امتداداً لنهج إسرائيلي قائم على التصعيد والتدخل في الشؤون الداخلية، محمّلةً إسرائيل المسؤولية الكاملة عن تداعيات هذا التصعيد، وداعية المجتمع الدولي، ولا سيما مجلس الأمن، إلى التحرك الفوري لوضع حد لهذه الانتهاكات.

إقليمياً، دانت وزارة الخارجية الأردنية الهجوم بأشد العبارات، معتبرة أنه يشكل انتهاكاً واضحاً لسيادة سوريا وخرقاً لاتفاقية فض الاشتباك لعام 1974، مؤكدة رفضها المطلق لهذه الاعتداءات، ومشددة على تضامنها مع سوريا ودعم أمنها واستقرارها. كما دعت المجتمع الدولي إلى تحمّل مسؤولياته القانونية والأخلاقية، وإلزام إسرائيل بوقف ما وصفته بالعمليات «الاستفزازية وغير الشرعية».

وفي السياق ذاته، أعربت الخارجية التركية عن إدانتها للهجوم الإسرائيلي على البنية التحتية العسكرية في جنوب سوريا، معتبرة أنه يمثل تصعيداً خطيراً، ودعت المجتمع الدولي إلى اتخاذ موقف واضح لوقف هذه الهجمات التي تنتهك سيادة سوريا ووحدة أراضيها.

وفي سياق الحرب في المنطقة، شدد الرئيس السوري أحمد الشرع على أن ما يحدث حالياً «حدث كبير نادر في التاريخ»، ولم نشهده منذ الحرب العالمية الثانية. وأضاف، في تصريحات له: «نحسب خطواتنا بدقة شديدة»، مشيراً إلى أن إدارته تعمل على إبعاد سوريا عن أي نزاع، والحفاظ على مسارها في «التنمية والبناء». كما لفت إلى أن سوريا انتقلت إلى مرحلة جديدة تحولت فيها من «ساحة صراع» إلى «ساحة مؤثرة باتجاه الاستقرار والأمان داخلياً وإقليمياً».

وفي إطار التصعيد في المنطقة وتوتر الحدود اللبنانية–السورية، ولا سيما عقب الأحداث المرتبطة بقصف سرغايا والاتهامات المتبادلة بشأن التسلل والتحركات العسكرية في المناطق الحدودية، عقد وزير الخارجية اللبناني يوسف رجي اجتماعاً مع نظيره السوري أسعد الشيباني، على هامش مشاركتهما في الاجتماع التشاوري الطارئ الذي دعت إليه المملكة العربية السعودية في الرياض.

وخلال اللقاء الجانبي، أكد الشيباني أن انتشار القوات السورية على الحدود مع لبنان يهدف حصراً إلى حماية الأراضي السورية وضبط الحدود ومنع أي خروقات أمنية أو عمليات تهريب، مشدداً على أن دمشق لا تنوي التدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية أو الانخراط في أي تصعيد عبر الحدود.

ومن الواضح أن نتنياهو قد يستغل الانشغال الأمريكي في الحرب ضد إيران من أجل فرض واقع أمني في الجنوب السوري، كان يسعى إليه منذ سقوط النظام السوري قبل أكثر من عام.

العراق تعرض لأكثر من 400 هجوم منذ اندلاع الحرب على إيران

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

بينما تشهد المدن العراقية هدوءاً نسبياً في الهجمات المتبادلة بين الفصائل الشيعية المسلحة من جهة، والقوات الأمريكية ـ الإسرائيلية، من جهة ثانية، على خلفية «هُدنة» مُعلنة من طرفٍ واحد– «كتائب حزب الله»، تحدّثت إحصائيات عن تعرض العاصمة الاتحادية بغداد وعموم مدن البلاد الأخرى– بضمنها إقليم كردستان العراق، إلى نحو 400 هجوم بالصواريخ والطائرات المسيرة راح ضحيتها أكثر من 200 شخص بين قتيل ومصاب.

ورغم الهدوء الذي لمسه سكّان العاصمة الاتحادية بغداد خلال اليومين الماضيين، ونُدرة الهجمات اليومية، غير أن سماء العاصمة لا تزال مسرحاً للطائرات المقاتلة وفق شهود عيان. ويبدو أن هذا الهدوء جاء في أعقاب «هدنة» كانت قد طرحتها كتائب «حزب الله» العراقية، تستمر مدّة خمسة أيام– تنتهي يوم غد الاثنين، من دون معرفة فيما إذا كان الهدف منها الاستعداد لمرحلة تصعيد جديدة أم فتح باب التفاوض لإنهاء الحرب التي خلّفت مئات القتلى والجرحى حتى الآن.

وطبقاً لبيانات جمّعها «المرصد العراقي لحقوق الإنسان»، فقد لقي ما لا يقل عن 62 شخصا– أغلبهم من قوات «الحشد الشعبي»– مصرعه فيما اصيب 110 آخرين، جراء ضربات جوية «خارجية»، خلال هذا الشهر.

تقرير للمرصد أفاد بـ«تعرض البلاد إلى أكثر من 85 ضربة عسكرية خارجية خلال الفترة 28 شباط/فبراير– 18 آذار/مارس الجاري، سقط على إثرها ما لا يقل عن 62 قتيلاً، فضلا عن ما لا يقل عن 110 جرحى، مع استمرار عمليات التدقيق التي قد ترفع هذه الحصيلة، وذلك بعد ضربات مكثفة استهدفت مواقع عناصر أمن ينتمون للمؤسسة الأمنية العراقية في مختلف المدن العراقية».

ويتضح من خلال البيانات الميدانية التي وثقها المرصد أن «الهجمات لم تكن عشوائية أو محدودة، بل توزعت بشكل واسع على عدة محافظات ومحاور عملياتية، مع تركّز لافت في المناطق ذات الأهمية الأمنية والحدودية. فقد سجّلت محافظة الأنبار، ولا سيما في القائم وعكاشات، الحصيلة الأعلى من حيث عدد القتلى، حيث سقط 31 قتيلاً و20 جريحاً نتيجة 19 ضربة جوية، ما يعكس شدة الاستهداف في هذا القاطع الحيوي».

وفي عمليات الجزيرة، أودت الضربات بحياة 14 شخصاً وأصابت 4 آخرين خلال 10 هجمات، فيما امتد القصف إلى العاصمة بغداد، حيث أسفرت 4 ضربات عن سقوط 11 قتيلاً و11 جريحاً، في استهدافات وقعت داخل بيئة حضرية مكتظة، «الأمر الذي يثير مخاوف جدية بشأن سلامة المدنيين».

أما في محافظة نينوى، فقد سُجل تنفيذ 20 ضربة جوية أسفرت عن سقوط قتيل واحد وإصابة 12 آخرين، في مؤشر على استهداف مكثف للبنى التحتية والمواقع اللوجستية، بينما شهد محور الشمال وشرق دجلة 8 ضربات أدت إلى سقوط 5 قتلى و28 جريحا، ما يعكس اتساع رقعة العمليات وتعدد جبهاتها.

وقال المرصد العراقي لحقوق الإنسان، إن «هذا الانتشار الجغرافي الواسع وكثافة الضربات يرسخان توصيف هذه العمليات بحملة عسكرية منظمة، وهو ما يضعها في مواجهة مباشرة مع قواعد القانون الدولي». ووفقاً للمادة (4/2) من ميثاق الأمم المتحدة، يُحظر استخدام القوة ضد سلامة أراضي أي دولة أو استقلالها السياسي، كما أن تنفيذ هذه الضربات بدون موافقة الحكومة العراقية يمثل «انتهاكاً صريحاً لسيادة العراق»، حسب التقرير.

وعلاوة على ذلك، يرى المرصد الحقوقي أن «هذه العمليات تثير إشكاليات جدية بموجب القانون الدولي الإنساني، ولا سيما مبادئ التمييز والتناسب والضرورة العسكرية، التي تلزم أطراف النزاع بتجنب استهداف المدنيين أو تعريضهم لمخاطر مفرطة»، معتبراً أن «وقوع ضربات داخل مناطق حضرية، كما حدث في بغداد، يعزز المخاوف من عدم الالتزام بهذه المبادئ».

وعلى الصعيد الوطني، فإن «استهداف تشكيلات أمنية رسمية، بما فيها هيئة الحشد الشعبي المنصوص عليها في قانونها رقم 40 لسنة 2016 كجزء من القوات المسلحة العراقية، يُعد اعتداءً مباشراً على مؤسسات الدولة، ويخالف أحكام الدستور العراقي، ولا سيما المادة 1 التي تؤكد سيادة العراق، والمادة 9 التي تنظم مهام القوات المسلحة باعتبارها أداة لحماية البلاد، لا ساحة مفتوحة للاستهداف الخارجي». ويقدم المرصد العراقي لحقوق الإنسان، هذه الإحصائية بشكل مستمر، في محاولة منه لـ«توثيق ما يجري من عمليات عسكرية تخلف ضحايا وخسائر على جميع المستويات، فيما يؤكد أنه سيستمر في تقديم الإحصائيات تباعاً، بما يشمل الضربات التي طالت مواقع أمنية، وكذلك تلك التي استهدفت البعثات الدبلوماسية داخل العراق، ومدن إقليم كردستان والمنشآت الحيوية فيه، ضمن متابعة شاملة لتطورات المشهد الأمني».

أما إقليم كردستان العراق، فوثّقت منظمة فرق صناع السلام المجتمعية «CPT» الأمريكية، أكثر من 300 هجوم شنه الحرس الثوري الإيراني وجماعات مسلحة حليفة طالت مدن الإقليم منذ اندلاع التصعيد العسكري في المنطقة أواخر شباط/فبراير الماضي، حتى نهاية الأسبوع الماضي، أسفرت عن سقوط 59 ضحية بين قتيل وجريح.

وذكر فريق كردستان العراق التابع للمنظمة الحقوقية، أن «الفترة الممتدة من 7 إلى 15 آذار/مارس الجاري شهدت 111 هجوماً، تركزت حصيلتها الأكبر في أربيل بواقع 81 ضربة، مقابل 38 استهدفت السليمانية».

ورغم تسجيل تراجع في وتيرة العمليات بنسبة تجاوزت 43 في المئة مقارنة بالأسبوع الأول للتصعيد، إلا أن التقرير سجل مفارقة دامية بـ«ارتفاع مضطرد في أعداد الضحايا، حيث بلغت حصيلة الأسبوع الأخير وحده 36 ضحية، 4 قتلى و32 مصاباً».

ولفت التقرير إلى أن «رقعة الأضرار تجاوزت الخسائر البشرية لتطال المرافق الحيوية والإستراتيجية، حيث شمل القصف قطاع الطاقة والخدمات، واستهداف حقول نفطية، ومنشآت اتصالات، ومؤسسات حكومية».

وأشار إلى «تضرر 21 منزلاً وفندقا ومرافق عامة جراء القصف المباشر أو سقوط حطام الطائرات المسيّرة».

وفي آخر إحصائية رسمية وثقها محافظ مدينة أربيل– عاصمة إقليم كردستان العراق، أوميد خوشناو، فإن المدينة تعرضت لنحو 300 ضربة جوية وصاروخية منذ اندلاع الحرب في المنطقة.

وقال خوشناو، في مؤتمر صحافي عقده عقب أدائه صلاة العيد، إن «إقليم كردستان تعرض لسلسلة من الهجمات غير المبررة منذ بدء التوترات الراهنة»، مشدداً على أن الإقليم «ليس طرفاً في الصراعات القائمة ولن يكون ساحة لتصفية الحسابات».

وأوضح المحافظ أن «أربيل، بصفتها مركز الثقل السياسي والإداري للإقليم، تالت الحصة الأكبر من هذه الاستهدافات التي بلغت في مجموعها قرابة 300 هجوم».

الخليج وإيران في «اليوم التالي»: استحالة بناء الثقة في إعادة رسم النظام الإقليمي

رلى موفق

تتصاعد الحملة العسكرية الأمريكية– الإسرائيلية على إيران، قتلَ طهران بالصواريخ الباليستية والطائرات المسيّرة على دول الخليج، مستهدفة المصافي النفطية، ومحطات الغاز، ومحطات تحلية المياه، والبنية التحتية المدنية، بما في ذلك المطارات والمراكز السكنية. تغطي عدوانها بذريعة استهداف القواعد الأمريكية في الخليج التي لا تستهدفها فعلياً، فيما تقود حاملات الطائرات والأساطيل التابعة لـ«العم سام» الحرب من عرض البحر. تطلق إيران نحو85– 90 في المئة من مقذوفاتها الصاروخية ومسيّراتها تجاه دول الجوار: الكويت، الإمارات، قطر، البحرين والسعودية مقابل 10–15 في المئة فقط تجاه البوارج الأمريكية وإسرائيل.

تعمل دول الخليج على تبنّي سياسة «إدارة العداء» القائمة على الحفاظ على الردع الدفاعي من خلال تعزيز القدرات العسكرية لحماية مصالحها الحيوية، بما في ذلك الطاقة والممرات البحرية، وتعزيز التنسيق الأمني مع الشركاء والحلفاء الإقليميين والدوليين لمواجهة أي تصعيد، مقابل التحوّل الاستراتيجي طويل الأمد عبر تجنّب الانخراط المباشر في الحرب إلا إذا فرضت الأحداث ذلك، مع الحفاظ على الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي الداخلي.

عكس الاجتماع الوزاري التشاوري الذي استضافته الرياض انتقالاً تدريجياً من سياسة الاحتواء إلى منطق الردع، ومن إدارة الخلاف إلى محاولة إعادة ضبط قواعد الاشتباك الإقليمي. في جوهر رسائل البيان المشترك، أن إيران لم تعد تُعامل كطرف يمكن احتواء سلوكه عبر القنوات الدبلوماسية وحدها، بل كفاعل يهدد بشكل مباشر سيادة الدول واستقرارها. حظي الاجتماع بمشاركة واسعة من دول عربية وإقليمية، حيث حضر وزراء خارجية السعودية والإمارات والبحرين وقطر والكويت والأردن ومصر ولبنان وسوريا وباكستان وتركيا وأذربيجان، ما يعكس توجّهاً نحو بلورة كتلة إقليمية تتجاوز الإطار الخليجي الضيق. صحيح أن مخرجات الاجتماع لا ترقى بعد إلى مستوى تحالف عسكري، لكنها تؤسس لبنية تنسيق سياسي قد تتحول، مع تطور الأحداث، إلى إطار أكثر تماسكاً في مواجهة التحديات المشتركة.

ما سعى إليه البيان المشترك هو بناء سردية قانونية وأخلاقية متماسكة ضد طهران، عبر التركيز على استهداف المدنيين والبنى التحتية الحيوية، بما في ذلك المنشآت النفطية والمطارات ومصادر المياه. وهي مقاربة تتخطى الإدانة إلى نزع الشرعية عن السلوك الإيراني دولياً، وتهيئة الأرضية لأي تحرك أوسع، سواء على مستوى الضغوط السياسية أو حتى في حال تطور الأمور إلى مواجهات مفتوحة. «الصبر الخليجي ليس بلا حدود» تعبير استخدمه وزير الخارجية السعودي فيصل بن فرحان، الذي أكد أن دول الخليج على استعداد للرد سياسياً أو عسكرياً عند الحاجة، رافضاً المنطق الإيراني المستند إلى سياسة « الابتزاز ورعاية الميليشيات. في الواقع، لا تزال دول الجوار الخليجي تعتمد سياسة الدفاع عن النفس في ردّ الهجمات الإيرانية، من دون الذهاب إلى القاعدة الذهبية في الحروب التي تقول إن «أنجع وسيلة للدفاع هي الهجوم». فدول الخليج تدرك أن دخولها في الحرب سيستجلب ردّاً إيرانياً أشد قوة، يستهدف بشكل خاص المنشآت المدنية والنفطية، ويفتح الباب أمام حرب استنزاف طويلة. لكن المعضلة الكبرى في اليوم التالي تكمن في استحالة بناء الثقة، كانت على الدوام مهزوزة.

لكن أهمية هذه الرسائل لا تكتمل من دون وضعها في سياق السؤال الأكبر: ماذا عن «اليوم التالي» للحرب بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى، والتي وصل حريقها إلى دول الخليج والعراق ولبنان؟ هذا السؤال يتجاوز البعد العسكري المباشر ليطال شكل النظام الإقليمي برمّته. فالحرب لن تُحسم فقط بنتائج الضربات، بل بكيفية إدارة تداعياتها.

كان السيناريو الأكثر ترجيحًا في حسابات واشنطن يتمثل في توجيه ضربة قوية ومركّزة تستهدف البرنامج النووي والبنية العسكرية الإيرانية بما يشلّ قدرات النظام، من دون إسقاطه، ما يدفع طهران إلى الامتثال للشروط التي يعلنها الرئيس الأمريكي على الدوام: لا نووي، لا صواريخ باليستية طويلة المدى، لا أذرع إيرانية خارج حدودها، والأهم غير المعلن هو الابتعاد استراتيجياً عن محور الصين–روسيا. مُني النظام الإيراني بكثير من الخسائر وتم إنهاكه، وتراجعت قدراته، لكنه لا يزال مستمراً في التصعيد، ناقلًا الصراع إلى «مضيق هرمز»، الذي يضغط بقوة على الشريان الحيوي للاقتصاد العالمي، الأمر الذي رفع المواجهة مع الأمريكيين إلى مستوى أعلى، وفتح الباب أمام تشكيل تحالف دولي لحماية المضيق، معطوفاً على خطط للسيطرة على الجزر المطلة على هذا الممر البحري، وعلى توجه أمريكي بإخراج جزيرة «خرج» من القبضة الإيرانية، بوصفها حجر الزاوية في قدرات إيران على تصدير النفط والغاز، وخزانة تمويل النظام. هدفُ ترامب أن يخرج معلناً النصر بعد النجاح في إضعاف بنيوي للنظام يقوده إلى «استسلام» أقرب إلى التحوّل من داخله إلا إسقاطه. غير أن فشل هذا الاحتواء قد يفتح الباب أمام سيناريو أكثر خطورة، يتمثل في حرب استنزاف إقليمية طويلة، تعتمد فيها إيران على أذرعها، مع توسيع دائرة الضغط على أمن الطاقة والممرات البحرية، ما يحوّل الصراع إلى حالة ممتدة منخفضة الحدة لكنها عالية الكلفة. على مشارف الأسبوع الرابع، تدحرج التصعيد حيال دول الخليج، واستهدفت الضربات الإيرانية بشكل أوسع البنى النفطية، تاركةً انعكاسات اقتصادية على تلك الدول، وانعكاسات مباشرة على الاقتصاد العالمي. حتى الساعة، تحسب دول الخليج المستهدفة خطواتها بحذر شديد وبحكمة لا تراها عند طهران. فهي تواجه تحديات غير مسبوقة؛ لا تريد الانجرار، لكنها لن تتمكن من الاكتفاء بالسياسة الدفاعية إذا ما استمر استهداف منشآتها الحيوية. ولا تريد في الوقت نفسه أن تفضي الحرب الأمريكية– الإسرائيلية إلى انهيار شامل للنظام، يدخلها في حالة من الفوضى تمتد تأثيراتها إلى دول الجوار. فبالأمس، بدأ الإعلان عن اكتشاف خلايا نائمة في قطر والإمارات والكويت، وستتوالى في دول أخرى، ذلك أن الحرس الثوري الإيراني أمضى عقوداً في نشر خلاياه وشبكاته في بقاع مختلفة من العالم. يتطلع الجوار الخليجي إلى الخروج من المأزق، لكن لا يبدو أن ثمة أفقاً لذلك في المدى المنظور.

سعى المرشد الإيراني الجديد مجتبى خامنئي في خطابه بعيد النوروز، وهو الخطاب الثاني من دون صوت وصورة – إلى تحييد باكستان وتركيا وسلطنة عُمان عن العمليات العسكرية ضد الخليج، مؤكداً أن الهجمات على هذه الدول لم تنفذها القوات الإيرانية أو ميليشياتها، بل هي خدعة إسرائيلية لتفريق إيران عن جيرانها.

عكس هذا الخطاب محاولات طهران إدارة صراعها استراتيجياً، عبر حماية حدودها الشرقية ومنع انخراط دول محايدة، مع مواصلة الضغط على دول الخليج. إنها حرب ستكون طويلة بتأثيراتها على المنطقة كما كلفتها، حتى ولو أعلن ترامب تحقيق أهداف حربه وأرفقها بكلمة «النصر».

الأردن و«فوضى الأدوار»: أيهما أفضل للأمن القومي إيران قوية أم مهزومة؟

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

انطلاق صفارات الإنذار لأسباب أمنية وبشكل متكرر وللأسبوع الثالث في الأردن يوازيه في الأهمية والحجم والنوعية قرع أجراس الإنذار السياسي على المستوى الجيوسياسي في الإقليم.

يحصل ذلك مع تكرس القناعة بأن «ظروف الإقليم تغيرت» في كل حال وبصرف النظر عن«نتائج الحرب»، لكن الأخطر على حد توصيف السياسي الدكتور جواد العناني بدون الإجابة على سؤال: «تغيرت بأي اتجاه؟».

صحيح أن الأردن في حالة حراك دبلوماسية نشطة للغاية ويبحث عن «توازناته» وأمامه حسب ما فهمت «القدس العربي» من العناني محطات أساسية تشكل تحديات.

لكن صحيح في المقابل أن المملكة في منسوب الخطر الجيوسياسي والاحتراز واجب، لأن اضعاف كل من إسرائيل وإيران قد يكون استثنائي الأهمية إذا لعبت الأدوار بصورة «احترافية».

وعليه الاحتراز للتفاصيل وفقا للسياسي والبرلماني الدكتور ممدوح العبادي واجب ولا توجد لا أدلة ولا قرائن ذات وزن تفيد بأن نجاح اليمين الإسرائيلي في تحييد إيران وهزيمتها فيه مصلحة عميقة للأمن القومي الأردني.

وجهة نظر العبادي عرضها مجددا أمام «القدس العربي»، وفكرته التعاطي مع ميزان إستراتيجي مضمونه أو محوره إيران قوية ومتماسكة في الإقليم يسند مواجهة مخاطر التوسع الإسرائيلي، معتبرا الاعتداء على دول عربية من بينها الأردن جزئية مرفوضة، فيما يمكن التركيز على التعاطي بدقة أكثر مع الوجود العسكري الأمريكي الذي أعلن الحرب على الإيرانيين.

في كل حال وجهة نظر سياسيين خبراء من وزن العبادي ليست الوحيدة في نقاشات الأردنيين، والعبارة التي يفضلها العناني «إيران لا تهزم ولا تسيطر» وفي كل الحالات الأردن يواجه تحديات مهما كانت النتائج.

تحرص عمان وحصرا المنظومة العميقة فيها ليس على متابعة الحرب والسياق العملياتي والصواريخ الإيرانية فقط ولكن على مراقبة منطقة الأغوار والضفة الغربية وحتى الحدود مع العراق حتى لا تصبح الحدود الآمنة قابلة للسطو أو الاستغلال بذريعة الحرب.

ملخص السرد الرسمي الأردني: عين على طهران والأخرى على الضفة والقدس وغزة.

تلك عبارة تختصر مركز ثقالية المراقبة الأردنية تجنبا للأخطاء البصرية المؤذية .

وفي السياق الجيوسياسي وتأثيراته حركة الأردن مفهومة ويمكن التنبؤ بها لا بل قراءتها بعنوان التصدي لأي محاولة إيرانية تستخدم الأجواء الأردنية لضرب إسرائيل أو لاستهداف الأراضي الأردنية، ثم البقاء في أقرب نقطة ممكنة من النظام الرسمي العربي، لا بل إظهار نشاط دبلوماسي حماسي واضح يقود الاجتماعات والمشاورات أحيانا في هذا السياق.

الهدف الأعمق قد يكون الاستجابة للنصيحة التي تقدم بها سابقا عبر «القدس العربي» السياسي الأردني المخضرم طاهر المصري، عندما اقترح جملة تكتيكية في تجنب الالتصاق بالمحاور والبقاء في مسافة أمان منتجة بعيدا عن المحور الإيراني أو حتى الأمريكي المتخصص باستهداف المحور الإيراني.

تلك طبعا وصفة تبدو صعبة ومعقدة. ومن الصعب الرهان عليها لأن إحدى النظريات الجيوسياسية التي قفزت في وقت متأخر بعد قراءة الحرب المتواصلة وسط بعض نخب عمان هي تلك التي تفترض بأن انتهاء المواجهة الحالية بصمود إيران ومحورها وبصرف النظر عن ميزان الخسائر سيؤدي إلى حالة سيولة إستراتيجية ذات بعد أمني في المنطقة تتزاحم خلالها الأجندات والطموحات والمنافسات على حصص النفوذ وتقاسم الأدوار والمكاسب.

فوضى الأدوار والمزاحمة هنا حتى بتقدير أطراف فاعلة في المستوى السيادي الأردني والاستشاري قد تنتهي بسيناريو يقفز فيه الإسرائيلي إلى الأمام، بمعنى الاتجاه عسكريا إلى جنوب لبنان وجنوبي سوريا وما بعد الجولان ثم الأغوار وما بعدها بهدف تحسين موقعه الجيوسياسي والتفاوضي مع القوى الفاعلة الجديدة في مرحلة ما بعد الحرب.

معنى ذلك باختصار أن المكاسب التي قد تحققها إيران إذا ما صمدت في الحرب الحالية ولأي سبب قد تحد فعلا من نفوذ خطط التوسع عند اليمين الإسرائيلي لكنها قد تجازف بانفلات الأمن الحدودي على الأطراف حتى تضمن إسرائيل حصتها ومساحتها التفاوضية.

تلك معطيات نوقشت خلف الستارة ولا تقال للعامة وأساسها قراءة مبكرة لـ«مخاطر» المواجهة الحالية، الأمر الذي يبرر على نحو أو آخر مراقبة منطقة الأغوار وجنوبي سوريا والحدود مع العراق والوضع في لبنان.

عمان عمليا وفي الخلاصة في الاحتراز الجيوسياسي، ومصالحها تتطلب على نحو أو آخر البقاء في حالة تحريك العجلة وضمن الخيار الدبلوماسي والتقدم مساحات كبيرة في إدانة اعتداءات إيرانية غير مبررة والحرص وفقا للعناني على تجنب الدخول مع بقية الدول العربية كوقود في معركة كسر العظم.

الحرص على توفير هوامش مناورة مهم للغاية.

والتكتيك الذي تقرر حتى الآن الاقتراب قدر الإمكان من قلب منظومة دول الخليج ومخاوفها والتواصل أكثر مع الجميع خلافا للبقاء في أقرب مسافة ممكنة أيضا من مصر وتركيا والدولة السورية الجديدة.

حرب إسرائيل على لبنان ومأزق الجمهورية

لندن – «القدس العربي»:
وائل الحجار

ربّما، تنتظر اللبنانيين أيامٌ صعبة. ربّما تكون من أصعبها في محطات تاريخه الحديث، الذي شهد خضّات واقتتالات وحروبًا أهلية مكتملة، واجتياحات إسرائيلية واحتلالاً سوريًا، وانهيارات اقتصادية، واشتباكًا أهليًا وحادًا مستمرًا منذ عام 2005.

لكن هذه الأيام الحزينة تستبطن عوامل لم تكن حاضرة بهذه القوة قبل سنوات، فثمة ما تغيّر في المنطقة بعد السابع من أكتوبر 2023. ثمة الكثير، وأحدها انهيار النظام السوري، والمقاربة الإسرائيلية لسوريا وتنصيبها نفسها حامية للأقليات، وسط أرضية مجتمعية وفّرت لها كل مقومات هذا الدور، وأسبابه معروفة وعديدة.

كما أن طبيعة السلطة السورية الجديدة، التي تبني بلدًا من ركام دمّره أصحاب معادلة «الأسد أو نحرق البلد»، وما جرّه ذلك من ويلات لاحقة، تؤثّر في ديناميات السياسة اللبنانية الباحثة عن وصايات تنقذها من الحقيقة الماثلة كل هذه السنوات، أنه لا يوجد وطن لبناني استطاع أن يحقق انسجامًا لسنوات طويلة ومستقرة، من دون أن يتأثر بالهزّات التي تصيب الدول والمجتمعات حوله.

وإذا كان المطلون السياسيون المتنفذون في طائفة كاملة في البلاد ارتضوا اليوم أن يكونوا جناحًا مقاتلاً في محور يخوض حربًا ضروس ضد إسرائيل، وأمريكا، والغرب، ويوسّع اشتباكه ليصيب من النظام العربي الرسمي، وشعوبه، جراحًا تُضاف إلى جراح، فإن هذه الحقيقة، التي لا ينكرها أصحابها، لا تعمي عن السبب الأول في انعدام الاستقرار في الشرق الأوسط كله، والناتج عن دولة الاحتلال الإسرائيلي وسياساتها التوسعية والإجرامية التي ساهمت في خلق الأرضية لحرب عام 2023، عبر طرف فلسطيني التحق بمحور المقاومة، ليجد في وجهه إسرائيليًا يلقاه بأكثر ما أنتجت دولة الفصل العنصري والاحتلال منذ قيامها من تطرّف في السلطة والنظام، ووصول أكثر أجنحة اليمين الإسرائيلي إلى هذه السلطة، من إرث يتجاوز حزب الليكود التقليدي، ليرث بعضًا من الكاهانية وكثيرًا من الصهيونية الدينية، بشراكة الأحزاب الدينية، وبقوده سياسي انتهازي مجرّد من أيّ رادع.

وأحد عناوين هذه الحكومة سياساتها التوسعية، التي يتعدّى الحديث عنها مجرد الموقف السياسي المبني على نظرة إلى الصراع سادت منذ 1967، وربما قبل ذلك، بل يتجسد في وقائع يصفها حتى أكثر خبراء إدارات النظام الدولي ببروقراطية وتردد في منظمة الأمم المتحدة إلا بما هي: توسع في دول الجوار، وحرب غير قانونية على لبنان وإيران.

لكن، في لبنان، يتعدّى الأمر كل هذه الخلفية، وهو أبسط منه ربّما عند الكثير من اللبنانيين، إن لم يكن معظمهم عددًا.

وبمًا ملّ هؤلاء اللبنانيون من حروب المنطقة، وهم يطالبون بمسار آخر. لكن حتى في لبنان، وإذا افترضنا أن الشريحة العظمى من اللبنانيين عددًا لا تريد الانخراط في الحرب ضد إسرائيل، فمن غير المسلّم به إلى أي مدى يذهب كل واحد من أفرقائهم المؤثرين والنافذين حتى يفرض هذا القرار، وكيف.

بهذا يكون الذين يتهمون الحكم والحكومة في لبنان بأنهم ينفذون أمر عمليات خارجي، وأنهم تحت سلطة وصاية – وهو اتهام يردّه متلقوه بسهولة على خصومهم الداعم لـ«حزب الله» – يتهمون أيضًا شريحة كبيرة من اللبنانيين بالعمالة والخيانة – وهو أيضًا اتهام يوجّهه الخصوم إلى «حزب الله».

وهذا الصراع في البلاد، لم يعد يقتصر على الموقف من المقاومة، بل صار يتعلق بخيارات عند فرقاء من اللبنانيين عاد بهم الزمن إلى العام 1982، ويتصرفون على هذا النحو.

فالحرب الإسرائيلية المدمرة على البلد، والتهديد الإسرائيلي الصريح بإبادة لضاحية بيروت الجنوبية تحاكي خان يونس، على لسان الوزراء الهولاء في حكومة بنيامين نتنياهو، كلها تقود شرائح من اللبنانيين إلى هذه المقارنة.

وما يضفي على رمزية المقارنة بعام 1982 في اللحظة اللبنانية طابعًا ذا مغزى، انفتاح فضاء الإعلام اللبناني على معلقين ووجوه تبثّ التطرّف عند ما يجاهر أصحابه بتسميته: اليمين اللبناني.

ويتحدث هؤلاء أنفسهم عن 1982، ويذهب أحدهم إلى الحديث عن أخلاقيات الجيش الإسرائيلي في تحذير السكان قبل ضربهم، وغيره يحكي ويحكي، ثم تأتي درّة التاج باستضافة إتيان صقر (أبو أرز) المتهم بالعمالة للاحتلال الإسرائيلي في الحقبة السابقة.

أما القوى السياسية الفاعلة في هذا الفريق، فمشغولة في شن حملة مباشرة وغير مباشرة على قائد الجيش ورئيس الجمهورية، بذريعة جبنهما وتردادهما أمام «حزب الله».

وعلى الضّفة المقابلة، يكمل فضاء «حزب الله» ما زرعه في صفوف اللبنانيين – والسوريين – من شقاق أهلي منذ عام 2005، بالتهديد بـ«ضباط (في إشارة إلى انتفاضة ضد الجيش اللبناني خلال الحرب الأهلية عام 1984)، والحديث عن اتفاق 17 أيار (مع إسرائيل عام 1983) وإسقاطه، وصولاً إلى العبارة التي وردت على لسان حزبي ملتزم: «نقلب البلد».

ليس هذا فقط، فالتهديد بشقّ الجيش اللبناني، وضرب أي إجماع برأي عليه، ولو كان هذا الإجماع برأي بعض اللبنانيين وهميًا، والتصويب على رئيس الحكومة (مأمون بيك) كما يصفونه في دوائرهم الشعبية والاجتماعية والسياسية، في إشارة إلى شخصية الخائن في مسلسل «باب الحارة» السوري الشهير)، ثم بدرجة أقلّ رئيس الجمهورية، والحكومة مجتمعة، وخلفهم كل القوى السياسية التي تمثل مختلف أطياف الشعب اللبناني الأخرى غير الحاضنة للحزب، يرسّخ منطق سقوط البلد من الداخل، قبل أن يسقط تحت ضربات إسرائيل.

لكن ماذا تريد إسرائيل التي فجّرت كل هذا الانقسام في لبنان بفرضها الشروط والضغوط، ورفض التفاوض؟

ماذا يريد اللبنانيون أولًا، لأن قسمًا كبيرًا منهم لم يعد يريد كل هذا. وإسرائيل طبعًا، لكن ماذا تريد إسرائيل؟ إنهاء «حزب الله»؟ وكيف؟ وبأيّ ثمن؟ ولا يكتمل هذا السؤال بزواياه، إلا بسؤال آخر: ما الذي تريده إيران من لبنان في مواجهتها المفتوحة؟

ما الذي ينتظر لبنان؟ كلّها أسئلة يصبح الجواب عليها من المحللين والباحثين أمرًا يوميًا، في وسائل الإعلام، وفي مراكز الأبحاث، وصولًا وامتدادًا إلى الشارع اللبناني، إلى المواطن اللبناني الذي، رغم كل شيء، بقي إلى وقت قريب يستفيد من بقاء جهاز دولته، وتمتّعه باستقرار نسبي قياسًا بما يجري حوله.. على الأقل حتى بداية هذا الفصل من الحرب؟

هدف هجوم الإسرائيليين، حسب وزير جيشهم، «إزالة التهديدات».

في التسريبات يقولون أكثر من ذلك. هي فرصة «للتخلص من حزب الله نهائيًا»، وفق ما قاله أحد الدبلوماسيين، العاملين على وساطة الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، لصحيفة «واشنطن بوست» هذا الشهر.

في الإعلام الإسرائيلي حديث عن «توغّل» بري – يحرص المروّجون له إسرائيليًا على عدم الإشارة إليه بوصفه احتلالاً على الطريقة السابقة.

يتحدث المعلقون الإسرائيليون عن خط أصفر في لبنان، يحاكي الخط الأصفر الذي أقامه بالدمار والنار والدماء في غزة.

أحد السيناريوهات، حسب معلقي القناة 12 الإسرائيلية، تشكيل شريط أمني بعمق 7 إلى 8 كيلومترات، وإنشاء 20 موقعًا في عمق لبنان قبالة بلداته في تلك المنطقة، وهي عملية تتوقع مصادر أمنية في إسرائيل أن تستمر أشهرًا طويلة. كما أنها تصطدم بمقاومة مقاتلي «حزب الله» في القرى، التي ينتهج الإسرائيلي أسلوب جريمة التهجير القسري الجماعي لها.

كما أن رئيس الأركان الإسرائيلي نفسه تحدث عن «وقت طويل إضافي».

و«الانتشار» الإسرائيلي – كما وصفته مصادر القناة 12 – طويل الأمد، أشبه بشريط أمني، وهو يترافق مع عمليات هدم منازل في المنطقة الحدودية، حسب ما ذكرته هيئة البث الإسرائيلية نقلًا عن مصادر قالت إنها تندرج في إطار الضغط على الحكومة اللبنانية للتحرك ضد «حزب الله».

ثم يأتي العرض اللبناني الرسمي الأخير بمفاوضات مباشرة (من دون شروط، من دون أن يتّضح إن كان يُقصد بها محادثات سلام كامل) مع إسرائيل، لينبّه الإسرائيليين إلى مكاسب سياسية ستستثمرها في سياق مهمتها الأساس الآن: إنهاء «حزب الله»، وتحييد لبنان.

الإعلام الإسرائيلي تحدث أيضًا عن أن الحكومة في إسرائيل يُتوقع منها الموافقة على سقف تجنيد يصل إلى 450 ألف جندي احتياط لأغراض الحرب، وذلك في إطار الاستعداد لعملية برية محتملة في لبنان.

وبهذا، يُرفع الإذن من 260 ألفًا، في حين أن الحرب شهدت بالفعل تجنيد نحو 100 ألف احتياطي في بدايات آذار/مارس، وحتى قبل ذلك، عشية القرار الإسرائيلي بشن الحرب على إيران.

وبهذا، يعود سقف التجنيد ليصل إلى أقل قليلاً مما كان عليه عشية خطة «احتلال غزة» في آب/أغسطس من العام الماضي، قبل التوصل بضغط أمريكي – عربي إلى وقف إطلاق نار في تشرين الأول/أكتوبر.

لا يعني الرقم أن كل هذه الأعداد ستشارك في القتال في لبنان، لكنه خزان احتياطي كافٍ لفترة طويلة من القتال، في حال لم يُطرأ تغير يفرض تهدئة في لبنان.

وتتصرف إسرائيل في لبنان بمنطق أن حكومة بيروت عاجزة عن ضبط «حزب الله» وتجريده من سلاحه، وتتوجه إلى قطاعات من اللبنانيين بخطاب مباشر، كان مشهد إسقاط المناشير على بيروت شكلًا دعائيًا معبّرًا له، في مقارنة أيضًا مع الماضي..

حتى ميدانيًا، تسعى إسرائيل للتمييز في الاستهداف عندما يتعلق الأمر بالتهجير القسري (المسمّى إخلاءات)، ففي الهجوم على منطقة صور التي طلب إخلاؤها استُثنيت – حسب صحيفة هآرتس – تجمعات السكان المسيحيين، حيث يسود حديث في «الجيش» بأن «هذه فئة سكانية لا تتعاون» مع «حزب الله».

ويحاول الإعلام الإسرائيلي التصوير لمواطنيه أن فئات واسعة في لبنان لا توافق على سياسات «حزب الله»، فحتى مقتل كاهن مسيحي في قرية حدودية بنيران جيش الاحتلال وضعه الإعلام الإسرائيلي مسببًا لإشارة نقمة السكان تجاه الحزب – وهو لا يجافي الحقيقة كثيرًا على كل حال.

ويسعى الإعلام الإسرائيلي لتصوير الحزب في عزلة، فحتى «شركاؤه السياسيون مثل التيار الوطني الحر لجبران باسيل، والزعيم الدرزي وليد جنبلاط، تبرؤوا من التنظيم بسبب أهوال الحرب في لبنان»، يقول المعلق في موقع «يديعوت أحرونوت» الإلكتروني حاييم غولوبنتسيتس. أما «تكتل 8 آذار... فتفكك ولم يبقَ منه شيء».

مع ذلك تبقى مهمة إنهاء «حزب الله» طموحة في إسرائيل. فلا يمكن إنهاء الحزب بشريط حدودي جديد فقط، حتى لو كان مدمّرًا وخاليًا من سكانه..

أيّ تصور لإنجاز هذه العملية عبر الضغط على الحكومة اللبنانية ليتولى جيشها هذه المهمة دونه عقبات داخلية تتعلق بمدى قدرة «حزب الله» على تفجير اقتتال أهلي، فيما حاضنته الشعبية على احتكاك يومي في مناطق النزوح مع اللبنانيين من الطوائف الأخرى.. وهو هدف إسرائيلي واضح من عمليات التهجير القسري واسعة النطاق وطرق الإخلاء التي حددها لسكان الجنوب اللبناني وضاحية بيروت الجنوبية في وقت سابق هذا الشهر.

ولا يزال في لبنان، رغم كل الانقسام السياسي، من يرفض أن تتبنى الحكومة اللبنانية قرارات مصيرية (كالتفاوض) بعد استبعاد الطائفة الشيعية (وممثلها السياسي نبيه بري في الوقت الحالي)، وهو حال الرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، فيما سنّة لبنان لا يبدون بشكل عام حماسًا حقيقيًا لأي مواجهة مباشرة عنيفة مع «حزب الله».

كما أن عملية إدارة شؤون النازحين، رغم كل الإشكاليات التي ترافقها، وتجعلها مسألة شديدة الحساسية وقابلة لمشاكل كثيرة، تبدو حتى الآن منضبطة في إطار تعاون أهلي لبناني مقبول.

فكيف ينهي الإسرائيلي «حزب الله»؟ أو إلى أين يصل؟

إلى بيروت؟ لا يوجد شيء في المواقف الإسرائيلية المعلنة يجرؤ على التصريح بهذه النوايا. مع ذلك، يوجد حديث في الإعلام العبري، في إطار الحديث عن أوهام «مقلقة» لدى البعض في الحكومة المتطرفة.

هذا ما ينقله مصدر أمني لموقع صحيفة «يديعوت أحرونوت»، الذي يقول إن احتلال كل لبنان طالب به بعض المقربين من نتنياهو، مشككًا في أن يُستمع إليهم، رغم أن هذا الحديث «يقلق المؤسسة الأمنية».

كذلك يتناول العميد احتياط في جيش الاحتلال غاي حزوت، في مقال نشر على موقع القناة 12، «خيار بيروت» مستبعدًا إياه، فهو يقول إن إسرائيل تملك في لبنان خيارات تبدأ من الدفاع الأمامي والشريط الأمني، وتمتد إلى احتلال حتى الليطاني أو حتى بيروت، كما يذكر أيضًا إمكان إضافة تدمير البنى التحتية في لبنان إلى هذه البدائل للضغط على الحكومة اللبنانية كي تنزع سلاح حزب الله، لكنه يوضح أن الخيارات الواسعة، وكذلك تدمير البنى التحتية كوسيلة ضغط، ليست خيارات جيدة برأيه، لأنها قد تستنزف الموارد، وتحوّل الانتباه عن الجبهة الأهم، وربما تدفع إلى توحيد اللبنانيين خلف «حزب الله» بدل إضعافه.

ويرى حزوت أن الخيار الأفضل هو الاكتفاء ببدائل «دفاعية» محدودة على الحدود، مثل التمركز في مناطق مسيطرة أو إقامة شريط أمني، لأن حسم أمر «حزب الله»، بحسب رأيه، لا يكون في لبنان بل في إيران، بوصفها «رأس الأخطبوط» الذي يقف وراء الحزب وبقية الأذرع.

ولكن الأهم في مآل سيناريوهات إسرائيل لهزيمة «حزب الله»، يكمن في موقف إدارة الرئيس دونالد ترامب، وفي الحد الذي تسمح به لإسرائيل في فرض وقائع خطرة وتنذر بأنها دائمة في المنطقة.

ومنذ البداية كان واضحًا أن الإدارة الأمريكية، ومعها حلفاء آخرون في المنطقة، تبدو مصممة على تقويض «حزب الله» ونفوذه في الدولة والمجتمع في لبنان، من دون المسّ بالدولة. لكن هل يمنع الاختلاف بين أهداف الحرب الإسرائيلية، التي زعم الأمريكي أنها تختلف عن أهدافه في إيران، أي جموح إضافي في لبنان؟

الإدارتان في إسرائيل وفي الولايات المتحدة مصابتان بالشّطط. وتجربة أريئيل شارون الذي خدع رئيس حكومته عام 1982، ومعظم وزرائها، ودحرج عملية توطت فيها دولة الاحتلال وكان من نتائجها فيما بعد ظهور «حزب الله» نفسه، لا تزال ماثلة في الأذهان، على الأقلّ كفكرة.

والأهم أن الحرب لم تنتهِ لا في إيران ولا في لبنان.. ولم يعتد الأمريكي في أي منطقة أن أنهى حربًا بنجاح، بل تركها عرضة للفوضى. وهي فوضى لا يمانعها الحكم في إسرائيل، بل يصرّح بها.. إنها أفضل بالنسبة إليه من أي واقع سابق على السابع من أكتوبر 2023.

امّا في لبنان، فالقرار لن يكون قرار شعب واحد، ولا جمهورية واحدة.

هل اليمن في ورطة جراء التصعيد العسكري في المنطقة؟

صنعاء – «القدس العربي»:
أحمد الأغبري

تواجه الأزمة اليمنيّة تحديًا جديدًا يضاف إلى تحديات وتعقيدات متراكمة، مع التصعيد العسكري في المنطقة، وبالتالي فاليمن علاوة على كونه جزءًا من المنطقة، يتمتع بخصوصية تزيد من تعقيد مشكلته مع التصعيد الدائر؛ فالحرب هناك لم تنطفئ جذوتها وتداعياتها ما تزال ناشبة أظفارها، وأطراف الصراع فوق كل ذلك، كلا واضع أصبعه على الزناد، مستعد لجولة جديدة من الحرب.

ولا يستبعد أن تؤثر تداعيات التصعيد الإقليمي على إمكانات انفراج الأزمة اليمنية لاحقًا.

يمر اليمن بأزمة سياسية يتجاوز عمرها العقد، وتسببت في وضع أكثر من 22 مليون شخص – من بينهم 10.95 مليون امرأة وفتاة – في دائرة المحتاجين إلى المساعدة الإنسانية وخدمات الحماية في جميع أنحاء اليمن. ويشمل ذلك 5.2 مليون نازح داخليًا، و329 ألف مهاجر، و63 ألف لاجئ وطالب لجوء، وفق آخر بيانات الأمم المتحدة التي أشارت إلى أنه «لا يزال انعدام الأمن الغذائي الحاد مثيراً للقلق؛ إذ يعاني 18.3 مليون شخص من انعدام الأمن الغذائي الحاد». وقالت إن اليمن في عام 2026 دخل في بيئة عمل تزداد تعقيدًا، تتأثر أيضًا بضغوط تمويلية شديدة وبرنامج إصلاح شامل.

ذلك يجعل من أي تعقيد جديد عاملاً يضاعف من معاناة اليمنيين، وقد يفتح الباب لجولة جديدة من الحرب، التي يرى اليمنيون أنهم قد اكتفوا منها، بعد أن التهمت منهم الكثير قتلًا وتهجيرًا وتجويعًا ومرضًا وعوزا.

وفي هذا لابد أن نسأل: هل الأزمة اليمنية في ورطة حاليًا جراء التصعيد العسكري في المنطقة، وكيف؟

يقول نقيب الصحافيين اليمنيين الأسبق، المفكر عبدالباري طاهر، لـ«القدس العربي»: «إن اليمن ليس وحده في وَرطة؛ بَل المنطقة العربية كلها. فالحرب على إيران تعني الأمّة العربية كُلّها، والإقليم، وأبعد من ذلك: فشرق أوسط جديد، وقيام إسرائيل الكبرى، وقطع طريق الحرير؛ كُلّها أهداف معلنة لترامب ونتنياهو».

ويضيف «فيما يتعلق باليمن فالمأزق كبير. وأنصار الله منتظرون للحظة؛ وهم في وضع خطير ومزدوج. فالصّرَاع الداخلي قَائِم؛ وهو شديد الارتباط بالصراع بين السعودية، والإمارات، وجاءت الحرب؛ أو بالأحرى العدوان الأمريكي الإسرائيلي، والعدوان الإيراني ضد دول الخليج؛ ليمثل تَهديدًا للمنطقة؛ وليخلق أوضَاعًا شديدة الخطورة».

ويرى أن «موقف أنصار الله مُختلفٌ عن موقف حزب الله في لبنان أو العراق. فلا علاقة لأنصار الله في اليمن بولاية الفقيه، ولكن العلاقة السياسية والمصالح والموقف المشترك حاضرة، وقد يكون لموقف السعودية دخلٌ في الأمر، وَربمَّا يدفع إعلان السعودية للحرب إلى تَبدُّل الموقف في صنعاء».

ويعتقد أن «الورطة في اليمن كبيرة وَمُعقّدة؛ فهو رهين لأطراف تعيش وَيلات الحرب؛ فإيران الداعم الرئيسي للحوثيين تواجه العدوان الأمريكي الإسرائيلي غير المسبوق، وتنتظر الدعم من حلفائها في المنطقة. أمَّا الشرعية والانتقالي، فالسعودية والإمارات؛ وهما السندان الأساس لهما تواجهان القصف الإيراني غير المبرر، والأمريكان هُمُ أهم الأساس حماية إسرائيل».

ويذهب عبدالباري طاهر للقول إن «المنطقة كلها في مأزق، وَغُرضَة للاستباحة، أو إعادة الصياغة حسب تصريحات نتنياهو. وأيًا تكن نتائج الحرب، فإنَّ الاحتمالات خَطيرة، وقد تَنجرُّ المنطقة كلّها إليها. والأمريكان والإسرائيليون خريصون – كُلّ الحرص– على تحويل الحرب إلى حرب عربية– إيرَانية، والقابلية والاستجابة حاصلة».

خراب كبير

لكن يبقى السؤال عن مدى تأثير تداعيات التصعيد العسكري الإقليمي على إمكانات انفراج الأزمة اليمنية لاحقا. وفي هذا يقول طاهر إن «التأثير على اليمن وعلى المنطقة سلبي. فالمؤشرات تَدلّ على أنَّ خَرابًا كبيرًا يهدد المنطقة؛ وَسَواءٌ انخرطت الدول الخليجية في الحرب بقيادة السعودية أم لم تنخرط؛ فإنَّ الحرب على إيران نتائجها كارثية على إيران، وعلى الأمة العربية وَعَالميًا. لا ننتظر نتائج تَخُصُّ اليمن عقب الحرب؛ فاليمن ضحية الضحايا. إنَّ الخليج واقع ضحية عدوانين: عدوان أمريكا، وإسرائيل على إيران، وعدوان إيران عليه. واليمن تحت رحمة طالبي الرحمة، ودمار إيران دمار للمنطقة كلها، وتهديد جدّي لأمن وسلام العالم. وتصاعد الحرب يَجرُّ المنطقة كلها إلى الحرب، ويدمر قدراتها».

أما عن تأثير مشاركة «أنصار الله» في الحرب على مسار التسوية؛ فيعتقد أن «الكارثة على اليمن واقعة بدون اشتراك أنصار الله في الحرب. فاليمن يعيش جحيم الحرب المتواصلة منذ 94، وهو محاصر داخليًا وخارجيًا، وقد دمرت الحرب بنيته الهشّة، ويعيش اليمن حالة مجاعة تتجاوز الـ 80 في المئة. فإذا ما أعلن أنصار الله الحرب، فإنّهم يدمرون ما تبقى».

استطالة الصراع

○ إلى أين سيمضي التصعيد العسكري الإقليمي؛ هل ثمة أفق للحل؟

● التصعيد الأمريكي الإسرائيلي لا يلتزم بأي قانون من قوانين الحرب، ولا يضع اعتبارًا لأي قيمة إنسانية أو أخلاقية. فقد توخى ترامب بقتل المرشد أنَّ الأمر سيعود إليه في اختيار المرشد الجديد، ولم يدرك أنَّ قتل المرشد الأعلى قوى الإرادة الداخلية، وَدفع إلى التشدد بشكل كبير. كما أقدمت إسرائيل على اغتيال علي لاريجاني– أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، وغلام رضا سليماني– رئيس الباسيج، ومحمد باكبور– رئيس الحرس الثوري (القيادة الميدانية)؛ وقتل هؤلاء العسكريين والسياسيين في آن يفتح الباب أمام مزيد من التشدد، والتصعيد المضاد، ويغلق الباب أمام أيّ حَلٍّ سياسي، ويجعل الحرب الخيار الوحيد؛ وهو ما يريده نتنياهو.

فنتنياهو حريص على توسيع نطاق الحرب، وَجَرَّ المنطقة العربية إليها، وإبقائها في الصراع؛ حتى لو تحقق حل سياسي. فالصراع العربي–الفارسي هو البديل للصراع العربي–الإسرائيلي، واستطالة هذا الصراع يجعل من إسرائيل حامية الحمَى العربي.

قد لا يكون ترامب مع إطاحة النّظام، أو تدمير الكيان الإيراني، ولكن ضحالة تفكيره وارتباكه ورعونة قراره وقوة التأثير الصهيوني عليه– يجعل المخطط الإسرائيلي هو الفاعل؛ وهو ما يجعل احتمال المزيد من التصعيد، وَجَرّ المنطقة العربية للحرب؛ وتدمير لبنان احتمال غير مستبعد.

حدث الأسبوع – غزة

إسرائيل تستنزف تهدئة غزة وتدقع بمخططات لإثارة الفوضى

غزة – «القدس العربي»: أشرف الهور

كان من اللافت في الأسبوع الماضي، أن إسرائيل لم تكن تهدف فقط في عدوانها على غزة الذي تصاعد تحت ستار الحرب على إيران، إيقاع أكبر عدد ممكن من الضحايا الفلسطينيين على اختلاف أعمارهم، بل أيضا العمل على ضرب منظومة الأمن الداخلي، على غرار فترة الحرب حين كانت في أوجها، من أجل إثارة المزيد من الفوضى الداخلية.

وعلى الأرض، لم يمر يوم من أيام الأسبوع المنصرم إلا وسجل فيه ضحايا جدد جراء الهجمات العسكرية الدامية التي لم تكن تفرق في ضحاياها، فارتقى بسببها مناطق «الخط الأصفر» الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية، ولا حتى في محيطها القريب، فأغلبهم ارتقى في مناطق النزوح الواقعة في وسط وغرب القطاع، إما برصاصات أطلقت من المناطق المحتلة، أو من خلال قنابل وصواريخ أسقطتها وأطلقتها الطائرات الحربية.

ففي إحدى الغارات التي ضربت القطاع، ارتقت عائلة عايش بأكملها، فقضت الضربة الجوية على الزوج والزوجة وطفلها الجنين وطفلا آخر، حين استهدفت منطقة سكنهم غرب مخيم النصيرات وسط قطاع غزة.

وهذه الغارة الدامية سبقتها ولحقتها غارات أخرى دموية، على غرار الأسبوع الماضي، طالت مركبات خلال سيرها في شوارع القطاع المختلفة، فأوقعت العديد من الضحايا، إلى جانب ضحايا أصابهم رصاص إسرائيلي خلال بحثهم عن قوت يومهم أو محاولتهم تدبير أوضاع أسرهم النازحة.

وترافقت هذه الهجمات التي أزهقت العدد من الأرواح، مع قصف جوي ومدفعي وعمليات نسف طالت عدة مناطق تقع داخل «الخط الأصفر» الذي يسيطر على ما نسبته أكثر من 53 في المئة من أراضي قطاع غزة، الواقعة على طول الحدود الشمالية والشرقية والجنوبية للقطاع، وبالإضافة إلى تلك الهجمات، سجل الأسبوع الماضي تنفيذ إسرائيل عمليتي اغتيال طالت قيادات بارزة في الجناح العسكري لحركة حماس في شمال وجنوب غزة، وتوعدت بتصعيد هذه العمليات الخطيرة.

لكن أخطر ما كان في تلك الغارات والهجمات التي نفذتها قوات الاحتلال، كان الاستهداف المباشر لقوات شرطية أثناء قيامها بمهامها في القطاع.

فبداية الأسبوع الماضي، ارتقى شرطيان جراء قصف إسرائيلي لحاجز شرطة قرب الأمل شمالي مدينة خان يونس جنوب قطاع غزة، وهما أحمد المغربي (35 عامًا) ومصعب الرقب (43 عامًا).

ولم يمض سوى يوم على هذه الجزرة، حتى قامت قوات الاحتلال باستهداف متعمد آخر لإحدى عربات الشرطة خلال سيرها على شارع صلاح الدين وسط قطاع غزة، لتخلف الغارة الجوية المتعمدة، بعدما بثت إسرائيل صورا لرصد تلك العربة قبل سيرها، وعملية استهدافها المباشر، مجزرة كبيرة راح ضحيتها ثمانية من أفراد الشرطة بينهم ضابط كبير.

ولتعلن وزارة الداخلية عن استشهاد مدير الشرطة بالمنطقة الوسطى العقيد إياد أبو يوسف، وبرفقته 7 من ضباط وعناصر الشرطة، جراء هذا القصف.

الوزارة التي أدانت الجريمة النكراء التي ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي، قالت إن أفراد الشرطة قضوا أثناء أداء عملهم في متابعة الأسواق، وبسط الأمن والنظام خلال شهر رمضان المبارك.

ولتؤكد أن تكرار الجرائم الإسرائيلية باستهداف المقار الشرطية وقصف ضباط الشرطة وعناصرها يمثل «جريمة حرب وانتهاكا صارخا للقانون الدولي والإنساني، باعتبار الأعيان الشرطية مراكز حماية مدنية محمية بموجب القانون ويحظر استهدافها»، وجددت المطالبة الموجهة للمجتمع الدولي بالتدخل الفوري ووضع حد للانتهاكات الإسرائيلية المستمرة بحق الأجهزة الشرطية ومقارها وعناصرها.

وكان الواضح من هذه الاستهدافات منع أي توجه لضبط الحالة الأمنية في قطاع غزة، بما في ذلك تنظيم الأسواق أو حركة المرور، بهدف العمل على توسيع نطاق الفوضى التي خلقتها ظروف الحرب والعدوان، خاصة وأن إسرائيل لجأت إلى شن هذه الهجمات على الرغم من اتفاق وقف إطلاق النار القائم منذ 10 تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي، والذي ينص على وقف الهجمات المتبادلة.

وقالت حركة حماس التي لا تزال تدير قطاع غزة، إن قصف طيران العدو الإسرائيلي سيارة شرطة وسط قطاع غزة، «يمثل إمعانًا في الجرائم الوحشية التي ترتكبها حكومة الاحتلال الفاشي بحق شعبنا في القطاع، واستمرارًا في محاولاتها اليائسة بث الفوضى فيه عبر استهداف عناصر الشرطة المدنية».

وأكدت أيضا أن هذه الجريمة الغادرة تعبّر عن الوجه الحقيقي للاحتلال، وسياسته المفضوحة الهادفة لاستمرار حرب الإبادة وتعميق الكارثة الإنسانية في قطاع غزة، والتحلّل من كل التزاماته بموجب اتفاق وقف إطلاق النار الموقّع قبل أشهر، وشددت على أن «هذا السلوك الوحشي لكيان الاحتلال الإرهابي» يستوجب تحرّكا عاجلا من الوسطاء والمجتمع الدولي ومؤسساته، لكبح جرائمه، وإلزامه بوقف عمليات الاستهداف المتكررة للمدنيين الأبرياء والمؤسسات المدنية في القطاع، وانتهاكاته الواسعة وغير المسبوقة للقوانين والأعراف الدولية.

ولم تكن هذه الحوادث معزولة عما كشف عنه مؤخرا من قبل قوة «رادع» التي تتبع لإدارة حركة حماس، حين كشفت عن مخطط لجأ فيه الاحتلال مجددا إلى إحدى الميليشيات المسلحة التي تتعاون معه، من أجل تنفيذ مخطط تخريبي داخل غزة، وذكرت أنه خلال التصدي لهم قامت قوات الاحتلال بالتغطية النارية الكثيفة واستهدفت أفراد القوة بالصواريخ والقنابل أثناء الاشتباك، من أجل تمكين أفراد الميليشيا من الانسحاب، حيث سبق وأن كشف عن مخططات تخريبية وأخرى بغرض الاغتيال تريد هذه الميليشيا تنفيذها في غزة، وقد سبق وأن نجحت في عدد منها، خاصة عمليات اغتيال قيادات أمنية.

وبما يشير إلى خطورة الأوضاع في قطاع غزة، شهد الأسبوع الماضي قيام وفد قيادي رفيع من حركة حماس، بعقد عدة اجتماعات مع الوسيط المصري وكذلك المسؤول الدولي الكبير في «مجلس السلام» نيكولاي ميلادينوف في العاصمة المصرية القاهرة.

ووفق ما رشح عن الاجتماع، فإن قيادة حماس حذرت المسؤولين في «مجلس السلام» من خطر استمرار إسرائيل في اعتداءاتها على قطاع غزة على اتفاق وقف إطلاق النار.

وذكر مصدر خاص لـ«القدس العربي»، أن زيارة وفد حركة «حماس» ناقشت بشكل كبير ملف الخروقات الإسرائيلية لاتفاق وقف إطلاق النار، وعمليات القتل والقصف اليومية، وكذلك التصعيد الأخير للهجمات الحربية التي طالت مناطق النزوح، التي تبعد كثيرا عن مناطق «الخط الأصفر»، وعلى بحث «المرحلة الثانية»، لاتفاق وقف إطلاق النار، والتي لا تزال إسرائيل تتهرب منها، والتطورات الحاصلة في هذا الملف، في ظل إهمال الملف إسرائيليا بشكل أكبر بعد بدء الحرب مع إيران.

وفقا للمصدر، شددت قيادة حماس على ضرورة التزام الاحتلال ببنود وقف إطلاق النار بشكل كامل، وطالب الوسيط المصري بالتدخل مع باقي الوسطاء والضغط على إسرائيل لوقف هذه الخروقات الخطيرة، وأكد على أهمية إدخال مساعدات بشكل أكبر إلى قطاع غزة، من خلال العمل بنبود البروتوكول الإنساني، بما يشمل فتح المعابر ورفع القيود الإسرائيلية.

جاءت هذه التطورات على الأرض، في وقت زادت فيه معاناة السكان جراء استمرار إسرائيل في فرض قيود جديدة على الحصار المشدد الذي تفرضه منذ أن بدأت الحرب على إيران.

وقد أغلقت إسرائيل الحدود والمعابر مع قطاع غزة بعد بدء الحرب في 28 شباط/فبراير الماضي، ولم تعد تسمح إلا بدخول كميات قليلة جدا من المساعدات لا تكفي احتياجات الأسر، خاصة وأن الكميات التي كانت تدخل قبل هذا التشديد لم تكن هي الأخرى كافية.

وبطرق مقننة تسمح بدخول كميات من السلع من معبر كرم أبو سالم التجاري جنوب القطاع، فيما تبقى قيود الإغلاق على معبر «زكيم» شمال القطاع، ولم تسمح منذ أن بدأت الحرب على إيران سوى يوم الأربعاء الماضي بسفر مرضى القطاع الذين بحاجة إلى السفر، بعد أن ظلت طوال المدة الماضية تغلق معبر رفح الفاصل عن مصر، رغم أنه لا يعمل وفقا لاتفاق وقف إطلاق النار المبرم.

وبسبب طول مدة الإغلاق وتشديد إجراءات الحصار، فقدت بشكل أكبر مما كانت عليه سلع ومواد تموينية هامة من أسواق قطاع غزة، وسجل من جديد أيضا ارتفاعات كبيرة في أثمان ما توفر منها بكميات قليلة، يفوق قدرة السكان المحدودة، خاصة وأن الحرب المستمرة منذ عامين ونصف جعلت أغلب سكان القطاع فقراء، بمن فيهم أصحاب الدخل الثابت الذي لم يعد دخلهم يمكنهم من شراء السلع بأثمان مرتفعة.

ولذلك، حذرت مؤسسة الضمير لحقوق الإنسان في غزة، في ورقة حقائق حول «أثر سوء التغذية والتجويع على المواليد في قطاع غزة»، سلطت فيها الضوء على التداعيات الخطيرة للحصار ومنع إدخال الغذاء والمساعدات الإنسانية على صحة النساء الحوامل والأطفال حديثي الولادة في القطاع، وآثار ذلك على حياة السكان.

وأوضحت الورقة أن تشديد الحصار أدى إلى تفاقم مستويات انعدام الأمن الغذائي، ما انعكس بشكل مباشر على نتائج الحمل والولادة، حيث تم تسجيل ارتفاع ملحوظ في حالات انخفاض وزن المواليد عند الولادة، والولادات المبكرة، إضافة إلى زيادة في حالات التشوهات الخلقية ووفيات حديثي الولادة.

وأظهرت البيانات معاناة نسبة كبيرة من الحوامل بسبب سوء التغذية وفقر الدم، في ظل نقص الغذاء والمكملات الغذائية الأساسية، إلى جانب الظروف الإنسانية القاسية الناتجة عن الحرب والنزوح، وأكدت المؤسسة أن استخدام التجويع ومنع المساعدات الإنسانية عن السكان المدنيين «يشكل انتهاكًا جسيمًا للقانون الدولي الإنساني، وقد يرقى إلى جريمة حرب وفق نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، كما قد يندرج ضمن الأفعال التي تشكل جريمة إبادة جماعية»، ودعت المؤسسة المجتمع الدولي إلى التحرك العاجل لوقف الكارثة الإنسانية في قطاع غزة، وضمان إدخال الغذاء والمساعدات الطبية بدون قيود، وتوفير دعم عاجل للحوامل والأطفال حديثي الولادة.

أما وزارة الصحة التي تعاني مرافقها من قلة الدواء، فقد حذرت هي الأخرى من استمرار تشديد الحصار على غزة، ومنع إدخال الزيوت وقطع الغيار اللازمة لصيانة وتشغيل المولدات الكهربائية، وأشارت إلى أن ذلك يشكل خطرا كبيرا على المنظومة الصحية المستنزفة في قطاع غزة، وأكدت أن ما تبقى من مولدات كهربائية في المستشفيات ومراكز الرعاية الأولية تعمل منذ أكثر من عامين هي مولدات متهالكة وتتعرض لأعطال مُتكررة.

وحذرت من أن العديد من الأقسام الحيوية في المستشفيات كالعناية المركزة، الأقسام الجراحية، الحضانات، الطوارئ أقسام غسيل الكلى، خدمات التصوير الطبي التشخيصية، يتهددها خطر التوقف عن العمل مع تزايد تعقيدات أزمة نقص الزيوت وقطع الغيار.

والمعروف أنه منذ أن بدأت إسرائيل العدوان على غزة، توقفت إمدادات الطاقة التي كانت تصل إلى المشافي، وباتت تعتمد المنظومة الصحية على عمل المولدات التي توفر الطاقة، وتتعمد كثيرا سلطات الاحتلال تقليص أيضا كمية الوقود اللازم لتشغيل المولدات، وفي مرات سابقة اضطرت المشافي إلى إطفاء مولداتها وعمل أقسام كثيرة بلا كهرباء، ما شكل خطرا كبيرا على حياة المرضى.

ولذلك وصف المتحدث باسم الأمم المتحدة ستيفان دوجاريك، الوضع الإنساني في غزة بالكارثي، ونقل موقع الأمم المتحدة عنه القول «إن آلاف الأشخاص يعيشون بلا مأوى، وينامون في العراء»، وأكد المتحدث على ضرورة السماح بدخول غاز الطهي إلى القطاع بانتظام، إلى جانب إمدادات القطاع الخاص، لاستكمال جهود المساعدات الإنسانية والمساهمة في تحسين النظام الغذائي ومستوى معيشة السكان.

أما برنامج الأغذية العالمي وشركاء الأمم المتحدة، فقد حذروا من أن أكثر من نصف العائلات في غزة تحرق النفايات لطهي الطعام، ما يخلف آثارا سلبية بالغة في الأماكن المكتظة.

وخلال كلمة ألقاها أمام الاجتماع السنوي لمجلس عملاء مكتب الأمم المتحدة لخدمات المشاريع، قال المدير التنفيذي جورجي موريرا دا سيلفا إن التصعيد الأخير له تداعيات مباشرة على غزة، حيث أدت القيود المفروضة على الوصول إلى تعطيل خطوط الإمداد مجددا وعرقلة العمليات الإنسانية، وأكد أن توسيع نطاق العمليات مرهون بتوفر الوصول غير المقيد الذي تسيطر عليه إسرائيل حاليا.

ومع تصاعد الهجمات على المناطق الفلسطينية، بعث السفير الفلسطيني لدى الأمم المتحدة رياض منصور، رسائل متطابقة لقادة الأمم المتحدة، أكد فيها حين تطرق للوضع في غزة، أن إسرائيل تواصل انتهاكاتها لاتفاقية وقف إطلاق النار عبر استمرار هجماتها على المدنيين الفلسطينيين، من خلال العديد من الغارات الجوية على مناطق مختلفة من قطاع غزة أو بإطلاق النار عليهم، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 28 فلسطينيا، من بينهم أطفال، خلال الأسبوع الماضي فقط.

وأكد فيها أن استمرار هذه الجرائم «ما هو إلا نتيجة مباشرة لغياب المساءلة عن الانتهاكات التي ترتكبها إسرائيل في فلسطين المحتلة»، لافتا إلى أن هذا الأمر الذي شجع حكومة الاحتلال المتطرفة وقواتها وميليشيات المستعمرين على مواصلة جرائمهم في ظل الإفلات من العقاب، وهو ما يدلل على أن الطفل ما زال تحت تأثير الصدمة.

العيد في فلسطين.. أحلام معلنة في لحظات صعبة

رام الله – «القدس العربي»: سعيد أبو معلا

لا تلقي الحرب الإسرائيلية الأمريكية على إيران ثقلها على الفلسطينيين فقط، رغم عمق تأثرهم بها، فهي ضاعفت من واقعهم الميداني بفعل جرائم الاحتلال ومستوطنيه، وكرست المخاوف لديهم من مرحلة ما بعد الحرب في حال فردت إسرائيل الدولة التي تحتلهم سيطرتها على الإقليم.

وتبدو أماني الفلسطينيين في العيد مختلفة وثقيلة وتعكس مجافاة لكل المعاني الجميلة التي يحملها العيد والغاية منه، فهم الأكثر تأثرا بواقعهم الصعب ولحظتهم الثقيلة جدا، ومع ذلك إنهم يتمنون ويعلنون عن أحلامهم الجميلة ويصنعون الكعك أيضا.

في الخليل وجنين نشرت المحافظتان إلغاء مظاهر الاحتفال بالعيد، ولا يقصد هنا إلغاء مظاهر البهجة والاحتفال فهي غير موجودة أصلا، إنما مظاهر التهاني الرسمية بالعيد من استقبال المحافظين للمواطنين والجهات الرسمية.

في المحافظة الأولى جنين جاء في التنويه الصادر عن محافظ المدينة كمال أبو الرب، أنه في ظل الظروف الراهنة التي تمر بها محافظات الوطن عامة ومحافظة جنين خاصة مع استمرار التقحامات الإسرائيلية ومعاناة النازحين من المخيم قسراً وعدم عودتهم لمنازلهم، وإكراماً لأرواح الشهداء، وتقديراً لمعاناة أسرانا البواسل وجرحانا، نعلن عن إلغاء مراسم عيد الفطر السعيد المعتاد، والتي تشمل وضع إكليل من الزهور على نصب الشهيد القائد ياسر عرفات، واستقبال المهنئين بالعيد في دار المحافظة.

وقال البيان إن هذا القرار «يأتي تعبيراً عن حالة الحداد والتضامن مع أبناء شعبنا، وتجسيداً لقيم الوفاء والتقدير لتضحياتهم، في ظل ما يتعرض له شعبنا من ظروف صعبة».

وفي صبيحة اليوم الأول للعيد حاولت مجموعة من الأسر المهجرة في مخيم جنين التسلل وزيارة مقبرة المخيم على أطرافه الغربية من أجل زيارة قبور أبنائهم الشهداء، وهي عادة راسخة لدى العائلات هناك، إلا أن جيش الاحتلال كان لهم بالمرصاد فمنعهم ولاحقهم في الأراضي والسهول المجاورة للمقبرة.

وغير بعيد عن جنين، جنوبا، وتحديدا بلدة طمون، بدت حكاية الطفلين خالد ومصطفى بني عودة الناجيَيْ الوحيدين من مجزرة طمون قضاء طوباس بعد استشهاد أبيهما وأمهما وإخوتهما قبل أسبوع فقط مليئة بالوجع.. ذهب الطفلان إلى القبر الكبير الذي ضم بداخله جثامين عائلتهما وأخذا يتذكران العيد في سنوات سابقة.

في حديث الطفلين وممارساتهما البسيطة في المقبرة ما يدلل على قسوة الواقع، يتذكر الطفل خالد العيد الأخير مع والدته وعائلته التي أصبحت تحت التراب، كافة التفاصيل حاضرة يسردها بثقة وترتيب وحب مبالغ فيه، وهو ما يدلل على أن الطفل ما زال تحت تأثير الصدمة.

يقول خالد: «كنا نستيقظ صباح العيد فنجد العائلة والطعام والحلوى، أما اليوم الأول للعيد فقد وجدنا البكاء والحزن، كنا نذهب للجامع سعداء نكبر ونسلم على الناس أما اليوم ذهبنا للجامع ونحن مقهورين.. الحمد لله».

ويكمل بثقة: «لم تكن المقبرة جزءا من ممارسات العيد سابقا أما اليوم فنحن في المقبرة، المقبرة جزء من العيد».

ويكرر جملة: «الشهداء عند ربهم يرزقون» ويؤكد انهم أحياء لكن المواطنين لا يشعرون بذلك.. والأكيد أن عيدهم بالجنة أحسن من عيدهم هنا».

أما الطفل الأصغر مصطفى فجلب معه إلى المقبرة قلم وكتب رسالة لعائلته الراحلة على حجر من «الطوب» قال فيها: «أنا «بكيت» (كنت) بدي تبقوا معاي في العيد، أبوي وأمي وأخوتي».

في العيد الجديد اختلفت مهام الطفلين، زيارة القبر الجماعي الكبير وسقاية الورد الجديد وتنظيف القبر الواسع ومراقبة المحيط وانتظار المعزين، مهام جديدة على حياة خالد ومصطفى.

أما في الخليل وتحديدا في بلدة بيت عوا جنوب غرب المدينة فما زال الحزن الثقيل يُخيم على السكان، لقد تحول العيد إلى مأتم إثر استشهاد 4 نساء من عائلة المسلة جراء سقوط شظايا صاروخية على صالون نسائي مساء يوم 18 آذار/مارس 2026، ما أدى إلى انقلاب الاستعدادات للعيد إلى فاجعة وبيت عزاء كبير.

تهنئة المطران

في تهنئة المطران عطاالله حنا، رئيس أساقفة سبسطية للروم الأرثوذكس ما هو مختلف ومناسب مع حال الأراضي المحتلة، يقدم المطران المعروف وطنيا تهنئة مختلفة بمناسبة عيد الفطر يقول فيها: «نتوجه بتهنئتنا القلبية إلى إخوتنا المسلمين في هذه الأرض المقدسة، وفي هذا المشرق، وفي العالم بأسره، بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد، والذي يأتي بعد الانتهاء من شهر رمضان المبارك. كما ونهنئ أيضًا إخوتنا أبناء الطائفة الدرزية الكريمة بهذه المناسبة، متمنين للجميع خيرًا وعافية وصحةً وقوة».

وتابع: «نعيش في حالة حرب، ونحن مطالبون جميعًا، كلٌ من موقعه، بأن ننادي بوقف هذه الحرب، والتي تتسع رقعتها يومًا بعد يوم، مخلفةً كمًا هائلًا من المآسي والآلام والأحزان والنزوح والمعاناة».

المطران يشدد في تهنئته: «وفي الوقت الذي فيه نهنئ المحتفلين بالعيد، فإننا ننادي الجميع بضرورة كافة شعوب المنطقة والعالم، بأن ننادي بوقف هذه الحرب، والتي تتسع رقعتها يومًا بعد يوم، مخلفةً كمًا هائلًا من المآسي والآلام والأحزان والنزوح والمعاناة».

المطران يشدد في تهنئته: «وفي الوقت الذي فيه نهنئ المحتفلين بالعيد، فإننا ننادي الجميع بضرورة المناداة بأن تتحقق العدالة المغيبة في هذه الأرض المقدسة، وتلتقت بنوع خاص إلى أهلنا في غزة، الذين يعيشون أوضاعًا كارثية ومأساوية، كما وتلتفت إلى كافة ضحايا الحروب في كل مكان».

واستدرك المطران حنا: «بأي حال عدت يا عيد، ونحن في حالة حرب ابتدأت ولا نعرف متى ستنتهي وإلى أين ستوصلنا جميعًا. كان الله في عون شعبنا، وفي عون شعوب مشرقنا ومنطقتنا، حيث إن الغالبية الساحقة تعيش حالة خوف وتوتر وقلق من مستقبل مجهول. نعزي الأسر المكلومة بفقد أبنائها، ونتمنى الشفاء لكافة الجرحى».

ويختم: «يا رب، أعط سلامًا لمدينتك المقدسة، ولأرضنا المباركة، ولمشرقنا المعذب. أعط يا رب سلامًا لبقعة مباركة لم تزّ السلام منذ سنين طويلة».

أما في القدس المحتلة، فهي واقعة في صدمة مشهد لم تألفه المدينة منذ قرابة الستة عقود الماضية، حيث استقبل المسجد الأقصى العيد بصمت ثقيل، غابت فيه أصداء التكبيرات التي كانت تملأ فضاء المدينة معلنة الفرحة والانتصار الروحي، وحلّت مكانها ساحات خالية وأروقة يتردد فيها صدى الغياب.

وبحسب نشطاء فانه «لم يكن هذا الغياب مجرد إلغاء لشعيرة دينية فقط، بل هو دلالة على حجم التقييد الذي طال قلب المدينة».

الناشط المقدسي أسامة برهم ركز حديثه على ما حل بالقدس والأقصى في ظل الحرب على إيران حيث يقول: «ذات يوم كنا نظن أننا في أصعب حال.. لم نعرف أن أياما عجاف تتربص بنا، ذات يوم كنا نجتمع في مهرجان عظيم (العيد)، نتجول في ساحات المسجد لنلتقي بكل أهل المدينة، كانت تلك النعمة سهلة رغم الحواجز، لم نكن نعلم ان التقاط الصورة في المكان سيصبح مستحيلا، لم نتأقلم بعد على الغياب، وخوفي ان يصبح الغياب عاديا».

وأضاف برهم: «نسأل الله ان لا يطول الفراق، نقبل الله الطاعات التي لم تكتمل، ونقبل الله القيام والصلاة الذي كان في مكان آخر، وطوبى لتلك المدينة».

لقد خلت الساحات من المصلين الذين كانوا يفترشونها منذ صلاة الفجر بملابس العيد الزاهية، وحلقات التكبير التي كانت تقودها حناجر المرابطين والمرابطات، لترسم لوحة من الصمود الروحي، وبهجة الأطفال الذين كانت ضحكاتهم تكسر وقار المكان وتحيله إلى عيد حقيقي.

الكاتب صالح مشارقة يوسع دائرة الرؤية حيث يقول «دخل العيد بكل ألوان الألم والحزن من حالة العدوان على لبنان وإيران في ظل موقف عربي تابع ومهان ومجبر على التحالف مع موجة استعمارية سيكون الخاسر الأكبر فيها النظام العربي».

ويكمل مشارقة حديثه في العيد: «يا الله مع من يمكن أن تكون قلوبنا الآن.. مع آلاف النازحين في لبنان، أم مع جنازة عائلة في طمون، في وداع أربع فتيات في بيت عوا، مع مئات العائلات ممن فقدت بناتها في الغارة على مدرسة البنات في ميناب الايرانية.. أم مع الذين يغادرون ثلاجات الموتى في مستشفيات غزة.. كيف يمكن احتمال كل هذا؟».

وأضاف: «كيف سنتفجر غضباً من موقف حكام عرب أهدوا جزءا من ستار الكعبة لمجرم الجنس إيستين، استثمروا في أحذية لاعبي المنتخبات الأوروبية بينما كان المستعمر يستثمر في تكنولوجيات الاغتيال والقتل واتباع الشعوب وتفتيت الطوائف وتصحيح سايكس بيكو وبناء شرق أوسط جديد لا وجود لفلسطين فيه».

وتساءل: «لن سترف قلوبنا وتنتبه عقولنا الآن؛ لنظام إسلامي أو لاتيني ثوري أم لدول وحكومات بيروقراطية لا هي أيديولوجية ولا جذرية ولا تصلح لأي موقف فكري أو سياسي يحمي الشعب من الموجات الاستعمارية؟». وتابع في أسئلته الفكرية الملحة: «كم تحولا وتغييراً نحتاج لبناء حزب سياسي عربي جديد، نظريات سياسة عربية جديدة، فكر اجتماعي شبابي يتخلص من كل هذا النزيف ويفتح الباب على مستقبل يكون للعربي والشرقي فيه شارع طويل ومفتوح على الحرية».

أما الأكاديمي سامي الصدر فيحلم في العيد بفلسطين التاريخية والتي هي امتداد لبلاد الشام فيقول: أتوق لعيد، نُصلّيه في الأقصى، ونتناول فسيخه على شاطئ غزّة، ثم نُمسيه في عكا ويافا وحيفا.. نعود وقد أرهقنا التعب، فنرتاح في بيتنا في تلال الضفة ونتطلق صباحاً لنستقبل الضيوف من إخوتنا العرب والمسلمين الذين أتوا إلى الأرض المباركة لتذوّق معمول العيد وكعك القدس وكنافة نابلس».

الإعلامي والناشط محمود حريبات خصص أحلامه في العيد للنساء حيث يقول: «حقّ الملح عادةً تحاول بعض المجتمعات من خلالها ردّ جزء مما قدّمته المرأة في رمضان لكن في فلسطين، صار حقّ الملح أثقل من أن يُرد». وأضاف: «في سنوات الحرب الأخيرة على غزة، لم يكن التعب تعبَ مطبخ وصيام، بل وجعًا لا يُحتمل، آلاف النساء استُشهدْنَ، وفي ساعات قليلة اعتقل الاحتلال أكثر من 15 أمًا، وقتل أربع نساء، منهنّ اثنتان حوامل.

يعرف الاحتلال أهمية المرأة ودورها الطبيعي النضالي، فيستهدفها لأنها ليست نصف المجتمع... بل كلّه».

وخاطب حريات نساء فلسطين قائلا: «يا سيدات فلسطين، لم يكن تعبكنّ في رمضان وحده، بل كانت فاتورة العطاء أثقل بكثير، ومهما قدّمنا، لن نفي حقّكن، حقّ الملح دينٌ كبير في أعناقنا، لا يفيه أيّ ثمن، كل عام وأنتنّ صانعات المجد، والنصر، والأمل».

وفي عموم فلسطين التاريخية المثقلة بالأوجاع تبدو عادة صناعة كعك العيد راسخة وباقية رغم ثقل اللحظة وضبابية المستقبل، وهو أمر يحتاج إلى تفسير يقدمه الكاتب الفلسطيني خالد غنام حيث يرى أن حلوى المعمول ليست مجرد طقس احتفالي عابر في بلاد المشرق العربي، بل هي امتداد لذاكرة ضاربة في عمق التاريخ، تحمل في تفاصيلها حكايات الشعوب ومعتقداتها وتحولاتها.

وأضاف: «في فلسطين تحديدًا، يأخذ المعمول بُعدًا حضاريًا خاصًا، إذ تعود جذوره إلى آلاف السنين، حين عرفه الكنعانيون وارتبط بحياتهم اليومية وطقوسهم الدينية، وتشير الروايات التاريخية إلى أن الكنعانيين عرفوا معمول الطحين المحشو بالتمر قبل نحو ستة آلاف عام، حيث كان يُشكَّل على هيئة حلقة ترمز إلى الاستمرارية والخلود، ويُقدَّم قربانًا للإله داجون في الساحل الفلسطيني، ولا سيما في بلدة بيت دجن. وقد عُرفت هذه الحلوى آنذاك باسم إسوارة الغفران، في دلالة رمزية على التطهر والتقرب إلى الآلهة».

وبحسب منشور للكاتب غنام فإنه «مع مرور الزمن، لم يبقَ المعمول حبيس الجغرافيا الكنعانية، بل انتشر في مناطق واسعة من بلاد الشام، فعُرف في فلسطين الطبيعية وشرق نهر الأردن وجبل لبنان والساحل السوري منذ القرن التاسع قبل الميلاد، متأثرًا بتحولات دينية وثقافية عميقة. فقد شهدت الديانة الكنعانية تطورًا ملحوظًا، حيث لم تعد القرابين تقتصر على الغلال والزيوت والفواكه المجففة، بل دخلت الأطعمة المطبوخة إلى الطقوس الدينية، ومنها أقراص الطحين المحشوة بالخضار، التي عُدت من أقدم أشكال المعمول».

في المحصلة، يعترف غنام أنه لا يمكن النظر إلى المعمول بوصفه مجرد حلوى تقليدية، بل هو سجل حيّ لتاريخ فلسطين، تختزن كل حبة منه حكاية زمن مضى، ونكهة حضارة لم تندثر. ورغم كل التحولات السّياسية والدينية، بقي المعمول حاضرًا في وجدان الفلسطينيين، يتجدد مع كل عيد، ويؤكد أن الذاكرة، مهما تغيرت الظروف، لا تُمحى. وربما لذلك كله يصر الفلسطينيون في عيدهم الحالي على صنع كعك المعمول رغم ضيق ذات البين وانتشار الألم وبيوت العزاء، وتعمق جرحهم النازف.. إنها رسالة أمل ورغبة في الاستمرار في صنع طعم الفرح وتلمس البهجة والحلاوة في عز أوقات السواد.

السنة السابعة والثلاثون العدد 11114 الأحد 22 آذار (مارس) 2026 – 03 شوال 1447 هـ

العمى الملحمي: عندما يفقد ترامب السيطرة على الحرب

إبراهيم درويش

يصرخ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بأنه لن يقبل وقف الحرب، ثم يتحدث في الجملة التالية، على ما قالت صحيفة «نيويورك تـايمـز»(2026/3/16) بأنه سيترك أمرها للحلفاء كي يديروا شأنها، ويأمر بعد ذلك بحشد الحشود ويستبعد في الآن نفسه نشر قوات عسكرية على الأرض. وهذه الفوضى التي أحدثها في قراره المضي مع حليفه بينامين نتنياهو جاءت بسبب غياب الإستراتيجية الحقيقية.

فرغم تأكيد إسرائيل أنها ستواصل تغيير خريطة الشرق الأوسط بالقوة إلا أنها في كل الحروب التي خاضتها لم تكن قادرة على المضي بها بدون دعم عسكري ومالي من الولايات المتحدة.

ولعل حرب السويس عام 1956 التي أنقذ فيها داويت أيزنهاور مصر من عدوان ثلاثي مثال واضح عن تناقض المصالح الأمريكية والإسرائيلية بالذات ضمن منظور الحرب الباردة.

ورغم أن الإدارة الحالية لم تعد تهتم كثيرا بأطر النظام الدولي وتعتقد أنها تستطيع تحقيق ما تريد بدون أخذ اعتبارات للتصميم الذي أقيم فيما بعد الحرب الثانية إلا أن ترامب لا يمكنه المضي في حروبه غير الشرعية وتوديده بالاستيلاء على الدول واستعداءه الجيران والحلفاء على حد سواء. ففي الوقت الذي طالب فيه ترامب الحلفاء في الناتو العمل والمساعدة على فتح مضيق هرمز، تساءلت صحيفة «الغارديان» في افتتاحية (2026/3/16) عن سبب طلبه المساعدة من الحلفاء رغم ما يقوله ويؤكده بأنه ينتصر ليس جزئيا ولكن بشكل كامل، فيما يهدد إيران بالدمار الإقتصادي بعدما دمر قتل قدراتها العسكرية وقتل مرشدها آية الله خامنئي، بداية الحرب.

شرك التصعيد

ويجد ترامب نفسه والإسرائيليون معه بأنهم في «شرك التصعيد» كما يقول المؤرخ روبـرت بـابي، فكلما كانت الجـولـة الأولـى من القصف قوية، زادت احتمالات حدوث انحرافات للحرب في أماكن أخرى: معارضة الداخل، تأثر أسواق النفط، معارضة الحلفاء. ولـدى أمريكا وإسـرائيل القدرة العسكرية على جعل إيران تعاني لكنهما لا تستطيعان السيطرة على تداعيات الحرب التي نتجت من استراتيجية إيران بزيادة الكلفة على ترامب ونتنياهو، وضـرب حلفاء أمريكا بالمنطقة وإغلاق مضيق هرمز الذي باتت تسيطر عليه والرئيس الأمريكي حائر بكيفية التعامل معه. رغم تحذير رئيس هيئة الأركان جون كين له، بأن الإيرانيين سيلجأون لإغلاق المضيق، لو هجوما، فكان رد ترامب بأنه لن يكون لديهم الوقت لإغلاقه، لان الأمر سيكون قد انتهى على ما أوردت صحيفة «وول ستريت جورنال» (2026/3/13).

تصدع في ماغا

وها هو اليوم يعاني تداعيات الحرب ليس لأنه دخل في حرب غير قانونية تعارضها نسبة عالية من الأمريكيين حسب استطلاعات رأي متـعـددة، بـل وبـاتـت تـهـدد معسكره الإنتخابي وقاعدة دعمه في تحالف «لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى» (ماغا)، كما أشارت مجلة «بوليتيكو» (2026/3/19) فقد أثارت حـرب إيـران عـددا من الصراعات الداخلية في الحـزب الجمهوري الـذي يقوده ترامب. وهـو صـراع انفجر علنا يـوم الـثلاثـاء عندما استقال جو كينت، أحد كبار مساعدي، مديرة الاستخبارات الوطنية تولسي غبارد السابقين، فجأة من منصبه، مبررا ذلك باعتراضاته على تصرفات الإدارة في إيران. إلى جانب هذا، أدت العمليات العسكرية الجارية هناك، إلى ردود فعل سلبية من العديد من الشخصيات المعروفة في اليمين المناهض للتدخل، بقيادة شخصيات مثل تاكر كارلسون وميغان كيلي والنائبة السابقة مارجوري تايلور غرين.

لكـن الـحـرب دفـعـت أيـضـا إلـى بعض الانشقاقات المثيرة للدهشة، ففي يوم الاثنين، أعلن ستيوارت رودس، مؤسس مليشيا «حماة القسم» اليمينية المتطرفة، والذي خفف ترامب إدانته لدوره في أحداث الشغب التي وقعت في 6 كانون الثاني/يناير، أنه «لم يعد من أنصار شعار لنجعل أمريكا عظيمة مرة أخرى»، وعبر عن معارضته للحرب.

وفي غضون ذلك، قال جو روغان، الصوت الأبرز للتفصيل المؤيد لترامب في أوساط برامج البودكاست، بـأن مؤيدي ترامب يشعرون بـ«الخيانة» بسبب إيـران. وقد بـدأت بعض بـوادر الخلافـات داخـل الـحـزب الجمهوري تظهر في استطلاعات الـرأي أيضا. كما أن هؤلاء الناخبين أكثر ميلا إلى اعتبار «القدرة على تحمل التكاليف المعيشية» الهاجس الأهم، وهو ما يشكل مأزقا سياسيا للإدارة، إذ تؤدي الحرب إلى ارتفاع أسعار الوقود وتهدد بزيادة معدلات التضخم. ولهذا قال معلقون أمريكيون إن الإدارة وإن تخاف نفسها معزولة من ناحية تقلبات أسعار النفط، إلا أن الأمريكيين ليسوا كذلك، وهذه ليست أخبار جيدة للإدارة التي تحضر نفسها لانتخابات مهمة في تشرين الثاني/نوفمبر.

لكل هذا يجد ترامب نفسه متخبطا في حرب دخلها بدون استراتيجية واضحة، وهو ما دفع مجلة «إيكونوميست» (2023/3/20) إلى اختيار عنوان لغلاف عددها الأخير وصف عملية «الغضب الملحمي» ضد إيران بأنها «عمى ملحمي»، وقالت إن الحرب باتت تضر بترامب. ورغم أنه من الصعب الرهان على الرئيس الأمريكي، لأنه كان قادرا على تحدي التيار السياسي كما فعل عندما اقتحم أنصاره مبنى الكابيتول في 6 من كانون الثاني/يناير 2021، ليعاد انتخابه في عام 2024 بنسبة أكبر من الأصوات. ومع ذلك، يصعب تخيل أزمة مصممة بدقة أكبر لعرقلة مسار رئاسته من حربه المتهورة وغير المدروسة ضد إيران. وحتى حرب قصيرة ستغير مسار ولايته الثانية، أما حرب تستمر لأشهر فقد تنهيها تماما. والسبب، كما تقول «إيكونوميست» هو أن الحرب ضد إيران تضعف ثلاث نقاط قوة سياسية لدى ترامب: قدرته على فرض رؤيته على العالم واستخدامه المغرط للنفوذ وهيمنته على الحزب الجمهوري. وحتى بدون إيران، كان من المرجح أن تتضاءل قوة هذه النقاط بعد انتخابات التجديد النصفي. ولكن الحروب تسرع التغيير.

ولو نظرنا إلى ترامب وكيفية تحديه للواقع، نرى أنه من الناحية السياسية أظهر قدرة منقطعة النظير على تحريف الحقائق، فقد قال، كما هو متوقع، أنه قد انتصر بالفعل في إيران. إلا أن الحرب تكشف حقيقة أخرى. لا يمكن للنظام الإيراني أن ينتصر بالمعنى التقليدي. ولكن على الرغم من الدمار الواسع النطاق الذي لحق بالبنية التحتية واغتيال كبار القادة، بمن فيهم رئيس جهاز الأمن، علي لاريجاني، فإن النظام الإيراني ما زال قائما حتى الآن، وما زال مخزونه من اليورانيوم، الذي يزن نحو 400 كيلوغرام، جاهزا تقريبا لصنع قنبلة، مدفونا بالأرض وبعيدا عن متناول ترامب ونتنياهو.

وقالت المجلة إن إيران، تشن حربا موازية ضد قطاع الطاقة العالمي. هي تستهدف الملاحة في مضيق هرمز والبنية التحتية لجيرانها. وهذه الهجمات تهم أسواق الطاقة العالمية. وتـرى المجلة أن الـوقـت فـي صـالـح إيـران، فستواجه أمريكا وإسرائيل تدريجيا نقصا في الأهداف المناسبة للضربات الجوية أو نقصا في بطاريات الصواريخ الاعتراضية اللازمة للتصدي للأسلحة الإيرانية. في المقابل، يبدو أن إيـران لا تـزال تمتلك وفـرة من الطائرات المسيرة. وطـالما أنها تقيد حركة الملاحـة في المضيق، سترتفع أسعار النفط وسيتفاقم الضرر الذي يلحق بالاقتصاد العالمي.

أما الورقة الثانية القوية لترامب فهي النفوذ. ولأن قـادة الـدول الأخـرى بـاتـوا يتوقعون معاملة قاسية، فإنهم يعلمون كيفية المقاومة ورفضوا تلبية دعوته لفتح مضيق هرمز، فرد بأنهم جبناء وغير ذلك من الأقوال الهجومية.

وأصـبـحـت إيـران تحتفظ بخيار نهاية الحرب، ولو استمر المضيق مغلقا حتى نهاية نيسان/إبريل فإن سعر برميل النفط سيصل إلى 150 دولارا.

وبالنظر إلى هذا النفوذ القوي، فقد تتمسك إيـران بأكثر من مجرد الـعـودة إلى الوضع السابق للحرب. قد تطالب برفع العقوبات، أو بالتزام أمريكي بالتخلي عن بعض القواعد في الشرق الأوسط، أو بكبح جماح إسرائيل. إذا ما لاح الركود الاقتصادي في أمريكا وبدأت أسـواق الأسـهم بالانخفاض، فهل سيلجأ ترامب إلى التصعيد، مثلا، بالاستيلاء على جزيرة خـارك، التي تضم موانئ التصدير الإيرانية؟ أم سيتراجع؟

وترى «إيكونوميست» أن الجواب يعتمد جزئيا على آخر صلاحياته: نفوذه داخل حزبه، والـذي يتراجع، لأنه انتخب بوعود وقف الحرب ومنع التضخم. فقد لقي 13 جنديا أمريكيا حتفهم وقد تزيد العمليات البرية داخل إيـران لاستعادة اليورانيوم، أو في خـارك، من عدد القتلى. وبلغ متوسط أسعار البنزين والديزل 3.88 دولار و5.09 دولار للغالون، مقارنة بـ 3.11 دولار و3.72 دولار عند تنصيب ترامب. وهناك إشارات عن تراجع في شعبيته داخل قواعد الحزب وانصاره المتحمسين. ففي السر يعبر العديد من الجمهوريين المنتخبين عن غضبهم. فتجاهل ترامب للتحذيرات بشأن مضيق هرمز دليل على ازدرائه للاستراتيجية وغـروره الـذي يجعله يعتقد أنـه الأعلم في الـعـالمين. وبـات من المرجح جـدا أن يخسر الجمهوريون سيطرتهم على مجلس النواب في انتخابات التجديد النصفي في الخريف. كما ارتفعت احـتـمـالات خسارتهم لمجلس الشيوخ بعشر نقاط، لتصل إلى حوالي 50 في المئة. كلما كانت الهزيمة أشد وطأة، كلما ازداد ضعف الرئيس وقل نفوذه على من يرث الحزب. وربما لجأ ترامب الغاضب إلى حلول أخرى وسط تراجع شعبيته وارتفاع أسعار النفط.، مثل البحث عن مخرج في مكان آخر، في كوبا مثلا. إلا أن ترامب فقد السيطرة على هذه الحرب. ويظهر هجوم إيران على مركز الغاز في قطر أنها لا تزال تملك أوراقا رابحة. وحتى لو انتهى القتال غدا، فقد يستغرق الأمر من أربعة إلى ستة أسابيع لاستعادة إنتاج النفط، ومن أربعة إلى ثمانية أسابيع لتهدئة أسـواق النفط، وشهرين لعودة الشحن إلى وضعه الطبيعي. وسيظل خطر تجدد العمليات الإيرانية قائما وقد تبقى الأسعار مرتفعة لأشهر. وكل يوم يمرّ دون ارتفاعها يضعف الرئيس. وتعتمد سياسة ترامب على القوة التي تنبع من الانتصار. فإذا بدا خاسرا، فمن المتوقع أن ينتقم. وقد يصبح الرئيس الأضعف أكثر خطورة.

فعلى الرغم من القيود الداخلية عليه، إلا أن ترامب لديه حرية أكبر في التصرف على الصعيد الخارجـي. وقد ينسحب من حلف الناتو وربما تخلى عن أوكرانيا لمعاقبة أوروبا وقد يمـارس ضغوطا على أمريكا اللاتينية باسم مكافحة الجريمة والمخدرات وقد يطالب بـأمـوال مقابل الـدفـاع عن اليابان وكوريا الجنوبية. وسيتخذ موقفًا متشددا بشأن الرسوم الجمركية. حتى لو لم ينجح، فإن ذلك سيزيد من تآكل تحالفات أمريكا، مما سيسعد الصين وروسيا. ومع ذلك، لا تخطئ ترامب إلى التصعيد، مثلا، بالاستيلاء على سياساته الداخلية بالإجماع الكبير، حتى بين أنصاره من جماعة ماغا، وهناك صدوع بينه وبين دعـاة «لنجعل أمريكا صحية» (ماها) وجماعات المرأة حول قضايا الهجرة والموقف من إسرائيل، وعليه من الصعب تصور كيف سينتهي الأمر بترامب منتصرا في إيران. فهو خاسر جدا.

شجب إسرائيل

والحقيقة أن موضوع إسرائيل والعلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة باتت موضوعا محلا للنقاش وبحرية، وليس داخل أوساط الحـزب الديمقراطي بل وأنـصـارا سابقين لـترامـب. وقـد بـرز كـيـنـت، مـديـر مكافحة الإستخبارات الاستقالة احتجاجا على انجرار ترامب وراء إسرائيل في حرب إيـران، وبرز تاكر كارلسون ومقدمة البودكاست، كاندس أوينز التي تخطى برامجها الإخبارية بمتابعة واسعة وتعتبر من أشد الناقدين لإسرائيل. ومن هنا تساءل البرفسور ستيفن وولت، في «فورين بوليسي»(2026/3/17) عن دور اللوبي الإسرائيلي والصهاينة المسيحيين بدفع ترامب إلى حرب اختيارية مع إيران، وقال إن هذه الجماعات لها مصلحة في ضرب إيران وأنها مسؤولة بدرجة معينة للذهاب إلى الحرب حماية لما تراه «العلاقة الخاصة» بين أمريكا وإسرائيل. وقال إن الحروب الأبدية ستتوقف طالما عوملت إسرائيل مثل أي بلد في العالم وتصدق عليها العقوبات والمعاملات دون محاباة أو جهود جماعات الضغط.

ويرى معلقون يهود في أمريكا أن إسرائيل تفقد لحظتها في أمريكا. وكـانـت ميشيل غـولـدبـرغ واضـحـة فـي «نـيـويـورك تايمز» (2026/2/27) عندما علقت على آخر استطلاع لـغـالـوب «كـان مـن الـواضـح منذ فـتـرة أن الأمريكيين بدأوا يفقدون تعاطفهم مع إسرائيل. لكن استطلاع رأي أجرته مؤسسة غالوب، يمثل نقطة تحول، فقد وجد الاستطلاع، ولأول مرة في تاريخه الممتد لخمسة وعشرين عاما، أن عدد الأمريكيين المتعاطفين مع الفلسطينيين يفوق عـدد المتعاطفين مـع الإسـرائـيـليين». وعلق جوناثان فريدلان من «الـغـارديـان» (2026/3/20) إن مهاجمة اليهود والكنس وزيادة مظاهر العداء للسامية ردا على عنف حكومة نتنياهو المتطرفة، لا تضر بها أكثر مما تسبب بالضرر لليهود العاديين. وهذا لا يهم نتنياهو الحالم بأن يغير الشرق الأوسط، ليس كما كان يحلم سلفه شيمون بيرز من خلال السلام الاقتصادي ولكن معادلة القوة والترهيب لكل من يفكر بتحدي الدولة التي باتت تعيش في حد السيف. وليس غريبا أن تجد هذه الأحلام دعما من إنجيليين مثل مايك هاكابي، السفير الأمريكي لدى إسرائيل، بل ويرى هو وغيره من دعاة الحرب المقدسة أن الحرب على إيران هي أمر من العناية الإلهية، وهو ما يراه وزير الحرب بيت هيغسيث، الذي استحضر الرب في حديثه عن تدمير إيران والقوة الخارقة لأمريكا، كما ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» (2026/3/20).

وقد أثبتت الحرب على إيران كيف يمكن لإسرائيل أن تستغل الدعم الأمريكي لتحقيق أغراضـهـا الخاصـة، فـقـد عـقـدت الـحـرب بفتحها جبهة في لبنان وتواصل سياساتها القمعية في الضفة الغربية ومنعت المصلين أداء الصلوات طوال شهر رمضان المسجد الأقصى، ولم تقم صلاة العيد فيه لأول مرة منذ عام 1967. وبات من الواضح أن نتنياهو يرى الحرب بعيدا عن منظور ترامب ومصالح أمريكا. وقراره ضرب حقل بارس أكبر حقل للغاز الطبيعي في العالم وقبل ذلك مخازن النفط في طهران التي غلفت العاصمة الإيرانية بغلاف أسود من الدخان، دليل على محاولة رئيس الوزراء عرقلة أي جهد أمريكي للحفاظ على الحـرب تحت السيطرة. ومـن هنا ترى صحيفة «واشنطن بوست» (2026/3/20) أن الخلاف الأمريكي– الإسرائيلي يتوسع بشأن نهاية الحرب. ويرى ديفيد سانغر في «نيويورك تايمز» (2026/3/20) أن ترامب تخلى عن محاولات تغيير النظام في طهران إلى مجرد الدعوة لتخفيف العمليات العسكرية دون وقف للنار، وهو تحول كبير في أهداف الحرب، التي تريد إسرائيل استمرارها حتى تحدث انتفاضة كبرى في الداخل وتنهي نظام الملالي القائم منذ 47 عاما. لكن ترامب بات بحاجة لإنهاء حرب تترك يوميا تداعياتها على رئاسته.

وقال إن الحرب على إيران تتفاقم ولا بد من خطة خروج، وسواء لجأ ترامب للإكراه أو الدبلوماسية، فعليه تحديد استراتيجية وقال إن أحدا لن يتولى مهمة تنظيف الفوضى في إيران غير ترامب. وهذا يعني أن عليه إنهاء الحرب التي أشعلها باندفاع، وذلك بوضع هدف محدود وقابل للتحقيق يتمثل في إعادة فتح مضيق هرمز واحتواء النظام الإيراني المتعطش للانتقام. وأضاف أن هذه الحرب المتفاقمة، دخلت مرحلة جديدة خطيرة يوم الأربـعـاء، حيث قصفت إسرائيل حقل غاز جنوب بارس الإيراني، وردت إيران بقصف منشآت الغاز الطبيعي المسال القطرية القريبة في رأس لفان. ورغم محاولة ترامب إبعاد نفسه عن التحرك الإسرائيلي إلا أنه المسؤول في النهاية. وسيكون حل هذا الصراع أصعب بكثير من بدايته. فإعلان «النصر» والانسحاب سيترك المنطقة في حالة فوضى خطيرة. وقد تجلت مغضلة ترامب في إنهاء حرب لا يزال يصفها، بشكل غريب، بأنها «رحلة قصيرة». ويرى إغناطيوس أن إنهاء هذه الحرب بنجاح يتطلب تخطيطا وصبرا أكبر بكثير مما أظهره ترامب حتى الآن.

وفي حربه التي لم يفكر بها، اكتشف ترامب أن الأسلحة الرخيصة قادرة على هزيمة أعتى القوى في العالم. وكما قال فريد زكريا في «واشنطن بوست» (2026/3/20) فاقتصاد الحرب غيرت مساره مسيرات «شاهد»، وهي من حرفت الميزان في الأسبوع الأول من بداية الهجوم. ووصف الأمر بالثورة التي تظهر معمارا للجديد في الحرب يتجاوز النظام القديم القائم على الكلفة الهائلة والتقنيات العسكرية، وتتجاوز مجرد الطائرات المسيرة. إنها في جوهرها تتعلق ببنية عسكرية جديدة: أنظمة ذاتية التشغيل رخيصة، واستهداف مدعوم بالذكاء الاصطناعي، وصور الأقمار الاصطناعية التجارية واتصالات مرنة وأجهزة استشعار متكاملة وأدوات سيبرانية تعمل جميعها بتناغم. الهدف ليس مجرد الضرب. وفي النهاية يجد ترامب نفسه أمام الواقع للحرب الذي جرته إليها إسرائيل، فهي ليست مجرد لعبة فيديو كما قالت مجلة «بوليتيكو» (203/3/19) أو شخصية «سبونج بانتس سكوير» التي استخدمتها إدارة ترامب في حملة دعائية اعتمدت على ألعاب الفيديو وأفلام الأكشن والرسوم المتحركة للاحتفاء بالقوة العسكرية الأمريكية في إيران، بهدف إقناع رأي عام متشكك بها، كما ورد في تقرير آخر في «فايننشال تايمز» (2026/3/19).

ليست حرب أمريكا

كما ويكتشف ترامب مرة أخرى أن ما كـان بـالإمـكـان تحقيقه عبر الدبلوماسية أسهل من تمزيق المعاهدات وشن الحروب. وكـان وزيـر الخـارجـيـة الـعـمـانـي بدر البوسعيدي واضـحـا بمقال نشرته مجلة «إيكونوميست»(2026/3/18) تحدث فيه عن خسارة أمريكا سياستها الخارجية وعلى الأصدقاء المساعدة في إخراجها من ورطتها. وقال إن معارضة نتنياهو للمفاوضات أقنعت ترامب بالتخلي عن المحادثات غير المباشرة والمضي معه في حرب مدمرة ضد إيـران. وأكد البوسعيدي أن هذه ليست حرب أمريكا، ولكنها لا تحقق لها وإسرائيل ما يطمحان لتحقيقه من أهداف.

Volume 37 - Issue 11114 Sunday 22 March 2026

ويفاقم نتنياهو مصاعبه وتلعب إيران أوراقها الرابحة

إبراهيم درويش

يصرخ الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بأنه لن يقبل وقف الحرب، ثم يتحدث في الجملة التالية، على ما قالت صحيفة «نيويورك تـايمـز»(2026/3/16) بأنه سيترك أمرها للحلفاء كي يديروا شأنها، ويأمر بعد ذلك بحشد الحشود ويستبعد في الآن نفسه نشر قوات عسكرية على الأرض. وهذه الفوضى التي أحدثها في قراره المضي مع حليفه بينامين نتنياهو جاءت بسبب غياب الإستراتيجية الحقيقية.

فرغم تأكيد إسرائيل أنها ستواصل تغيير خريطة الشرق الأوسط بالقوة إلا أنها في كل الحروب التي خاضتها لم تكن قادرة على المضي بها بـدون دعـم عسكري ومـالـي من الولايات المتحدة.

ولعل حرب السويس عام 1956 التي أنقذ فيها داويت أيزنهاور مصر من عدوان ثلاثي مثال واضح عن تناقض المصالح الأمريكية والإسرائيلية بالذات ضمن منظور الحرب الباردة.

ورغم أن الإدارة الحالية لم تعد تهتم كثيرا بأطر النظام الدولي وتعتقد أنها تستطيع تحقيق ما تريد بدون أخذ اعتبارات للتصميم الـذي أقيم فيما بعد الحـرب الثانية إلا أن ترامب لا يمكنه المضي في حروبه غير الشرعية وتوديده بالاستيلاء على الدول واستعداءه الجيران والحلفاء على حد سواء. ففي الوقت الـذي طالب فيه ترامب الحلفاء في الناتو العمل والمساعدة على فتح مضيق هرمز، تساءلت صحيفة «الغارديان» في افتتاحية (2026/3/16) عن سبب طلبه المساعدة من الحلفاء رغم ما يقوله ويؤكده بأنه ينتصر ليس جزئيا ولكن بشكل كامل، فيما يهدد إيران بالدمار الإقتصادي بعدما دمر قتل قدراتها العسكرية وقتل مرشدها آية الله خامنئي، بداية الحرب.

شرك التصعيد

ويجد ترامب نفسه والإسرائيليون معه بأنهم في «شرك التصعيد» كما يقول المؤرخ روبـرت بـابي، فكلما كانت الجـولـة الأولـى من القصف قوية، زادت احتمالات حدوث انحرافات للحرب في أماكن أخرى: معارضة الداخل، تأثر أسواق النفط، معارضة الحلفاء. ولـدى أمريكا وإسـرائيل القدرة العسكرية على جعل إيران تعاني لكنهما لا تستطيعان السيطرة على تداعيات الحرب التي نتجت من استراتيجية إيران بزيادة الكلفة على ترامب ونتنياهو، وضـرب حلفاء أمريكا بالمنطقة وإغلاق مضيق هرمز الذي باتت تسيطر عليه

بعد 24 ساعة من إعادة فتحه... سلطات الاحتلال تغلق معبر رفح في عيد الفطر وتمنع دخول المساعدات

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

بعد 24 ساعة فقط من إعـادة فتح معبر رفـح، أقدمت سلطات الاحتلال الإسرائيلية على غلقه مع أول أيام عيد الفطر.

ومنعت سلطات الاحـتـلال، خروج ودخول الأفـراد من وإلى غزة، كما أغلقت معبري كرم أبو سالم والعوجة أمام حركة إدخال المساعدات الإنسانية إلى غزة.

وقال مصدر في الهلال الأحمر المصري، إن حركة إرسال شاحنات المساعدات توقفت الجمعة، بعد إدخال الدفعة الـ 160 الخميس الماضي. وكانت سلطات الاحتلال أعادت فتح معبر رفح بين قطاع غزة ومصر الخميس، بعدما أغلقته في 28 شباط/فبراير الماضي مع بدء هجومها المشترك مع الولايات المتحدة على إيران.

واجتازت أول دفعة من مصابي غزة، الخميس، معبر رفح الحدودي باتجاه مصر لتلقي العلاج في الخارج، بعدما سمح جيش الاحتلال لعدد محدود من المرضى الفلسطينيين ومرافقيهم بمغادرة القطاع للمرة الأولى منذ إعلان الحرب الإسرائيلية الأمريكية على إيران.

وصرّح الاحتلال الإسرائيلي آمنيًا لـ8 جرحى و17 مرافقًا فقط بالسفر لتلقي العلاج بالخارج، جرى نقلهم في حافلة وسيارات إسعاف ورافقتهم سيارات تابعة لمنظمة الصحة العالمية من مستشفى الأمل التابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني من خانيونس جنوب القطاع إلى رفح البري.

ويفرض الاحتلال قيودا أمنية مشددة على المسافرين من غزة، حتى المرضى والجرحى منهم، مشترطا حصولهم على موافقة أمنية إسرائيلية مسبقة، يتبعها السفر من خلال منظمة الصحة العالمية، وهي الجهة التي يسمح لها باجتياز الخط الأصفر شرق خانيونس، الفاصل بين مناطق سيطرة جيش الاحتلال والمناطق التي ينتشر فيها أكثر من مليونين من سكان قطاع غزة معظمهم ممنوعون من العودة إلى منازلهم.

وتسير مركبات الصحة العالمية باتجاه شارع صلاح الدين متجاوزة شرق مدينة رفح التي ما زالت تقع بالكامل تحت سيطرة جيش الاحتلال، وصولًا إلى بوابة معبر رفح، الذي تُشرف على تشغيله بعثة الاتحـاد الأوروبـي، فيما تتولى منظمة الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية «أوتشا» نقل العائدين إلى قطاع غزة في حافلات من بوابة المعبر وحتى مجمع ناصر الطبي بخانيونس، وبتنسيق مع جيش الاحـتـلال، بعد خضوعهم إلى تفتيش وتحقيق إسرائيلي في نقطة «ريجافيم» الواقعة على بعد أمتار من بوابة المعبر من الجهة الفلسطينية.

يذكر أن المعبر، وهو المنفذ البري الوحيد الـذي يتيح لأهالي غزة الوصول إلى العالم الخارجي من دون المرور عبر إسرائيل، كان قد أعيد فتحه أمام الأفراد بشكل جزئي ومحدود في الثاني من شباط/فبراير، غير أن إسرائيل أعادت إغلاقه تزامنا مع الهجوم الذي نفذته مع الولايات المتحدة على إيران في 28 شباط/فبراير الماضي.

إلى ذلك قال السفير عاطف سالم سيد الأهل، السفير المصري الأسبق لدى إسرائيل، إن ما قبل أحدث السابع من أكتوبر لم يشهد تقدمًا حقيقيًا نحو إقامة دولة فلسطينية، لافتا إلى أن المفاوضات والاجتماعات التي جرت على مدار السنوات الماضية كانت في نظره أقرب إلى المناورات السياسية دون نتائج ملموسة.

وأضـاف في تصريحات متلفزة لبرنامج «الجلسة سرية»، المذاع على قناة «القاهرة الإخبارية» المملوكة لأحد الأجهزة السيادية المصرية: في رأيي الشخصي لن يكون هناك لحل الدولتين الفترة المقبلة، الموضوع انتهى، ما يحدث الآن هو الخروج عن كل القواعد التي تمت.

ولفت إلى أن الخطط السياسية التي طُرحت سابقًا، ومنها الخطة التي قدمها الرئيس الأمريكي دونالد ترامب والمعروفة باسم صفقة القرن عام 2020، لم تتضمن في نظره مؤشرات واضحة وقابلة للتنفيذ لإقامة دولة فلسطينية مستقلة. وبين أن تلك الخطة، التي تضمنت عشرات البنود وصفحات تفصيلية، وضعت شـروطًا معقدة وصعبة التنفيذ أمام السلطة الفلسطينية، وهو ما يجعل تحقيقها عمليًا أمرًا بالغ الصعوبة.

ولـفـت إلـى أن الـدراسـات الأكـاديـمـيـة والسياسية الإسرائيلية، مثل مقالات البروفيسور آشي في العلوم السياسية، تحذر من محاولات إسرائيل تقليل أهمية مصر، معتبرة أن هذا قد يشكل خطرًا كبيرًا على المدى الطويل في المنطقة. واكد أن ترتيب المخاطر من وجهة النظر الإسرائيلية، تحتل فيها إيران المقدمة، تليها مصر ثم تركيا، وحول ما إذا كان نتنياهو يعتبر مصر عدوا لإسرائيل، قال، إنه يتحرك ضد المصالح المصرية في كل مكان.

وأشار إلى أن العلاقات بين البلدين وصلت إلى أدنى مستوياتها في تاريخ العلاقات بين الجانبين، حيث لم يتم تبادل سفراء رسميين، «مصر لن تقبل أن يأتي سفير»، وتتم إدارة العلاقات عبر قائم بالأعمال بالإنابة هناك، ما يعكس التوتر الكبير على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولفت إلى التصريحات الإسرائيلية الأخيرة حول تجهيز مصر لجيشها ورفع قدراتها العسكرية، التي صدرت عن مسؤولين مثل داني دانون وهارسي هاليفي وبنيامين نتنياهو.

وبين أن السياسات الإسرائيلية في الفترات الأخيرة، والتي وصفها بأنها «غير مقبولة»، أدت إلى خلق مشاعر عداء قوية تجاه إسرائيل في المجتمعات العربية، بما في ذلك المجتمع المصري، مؤكّدًا أن هذا انعكس بشكل واضح على الموقف الشعبي تجاه إسرائيل.

وعن مستقبل المشهد السياسي في إسرائيل، رجّح إمكانية فوز نتنياهو مجدداً في حال إجـراء انتخابات، في ظل ما يراه البعض إنجـازات تتعلق بمواجهة إيران والتطورات في سوريا ولبنان، وفي سياق متصل، أشار إلى أن ما يُعرف بمحور المقاومة، الذي كانت إيران تمثل رأس حربة فيه، قد انتهى وفقاً لهذه التطورات.

وبين أن قادة المعارضة، مثل يائير لبيد، يرون أن إسرائيل تخسر من موقعها الاستراتيجي إذا لم تحافظ على علاقات متوازنة مع مصر، مؤكدًا أن نتنياهو لا يتبنى هذا الموقف ذاته.

حوار

نائب رئيس برلمان الأردن خميس عطية: الأوفياء لمسار التحديث عليهم التحرك والأحزاب تحتاج للمزيد من الخبرة والوقت والنضج

حاوره: بسام البدارين

يناور ويحاور القطب البرلماني الأردني خميس عطية انطلاقا من موقعه كنائب لرئيس مجلس النواب وممثل لإحدى الكتل البرلمانية الرئيسية ومؤسس لحزب سياسي وسطي خلافا لدوره في اللجنة الملكية للتحديث السياسي، في مساحات ضيقة جدا.

لكن الحراك النشط هنا عنوان رسالته الأساسي تمكين الكتل النيابية الممثلة للأحزاب السياسية من العمل واكتساب التجربة بعيدا عن ضغوط الإلحاح ومضايقات الحث على الإسراع.

عطية يصر على تذكير جميع أطراف اللعبة السياسية والبرلمانية في البلاد على المستوى المحلي بأن الشراكة أولا في تشخيص المصلحة الوطنية، وثانيا في تحقيق استجابات متناغمة وفعالة ومنتجة، هي المنطلق والأساس والهدف المركزي هو دوما العودة لجذور وليس قشور التحديث السياسي.

يؤمن عطية وعلى هامش حوار بعناوين التحديث مع «القدس العربي» بأن العودة لجذور عملية التحديث السياسي والرؤية الملكية فيها حبل نجاة لصالح مستويات متقدمة أكثر من الإنتاجية الوطنية ولجميع الأطراف.

وما يقترحه في كل بساطة الاحتكام للمنسوب الذي لا يمكن إنكاره من التوافقات الوطنية التي أنتجها التحديث السياسي بين الأطراف والأحزاب والكتل داخل البرلمان وخارجه حتى يحصل كل حزب على حصته ودوره وواجبه وليس فقط على غنيمته من المقاعد الانتخابية.

وبمعنى ربط المسؤولية الوطنية باحتياجات الساحة السياسية والبرلمانية لعمل دؤوب فكرته المركزية ودافعه الأساسي تحقيق المصلحة الوطنية بعد تشخيص الاحتياجات والتوافق على الأولويات بالشراكة مع الدولة ومؤسساتها وأذرعها سعيا لتحقيق «أفضل النتائج».

سيناريو وطني

○ كيف يمكن إنجاز ذلك؟ هذا هو السؤال الذي يعتقد عطية أن على الجميع الإنشغال به فيما توفر وثائق التحديث السياسي المرجعية ذخيرة حية للاشتباك الإيجابي تقلص من مساحات الاجتهاد الشخصي والأجندات الحزبية الخاصة لصالح سيناريو وطني يفتح ساحة التعددية الحزبية أمام تجربة مبهجة من الإنتاجية لا تقف عند المصالح والأجندات الضيقة بعيدا عن الشخصنة أو الشللية أو تأثير المال السياسي، وقريبا من إسقاط حسابات التوافق على الأداء الفردي والكتلوي والحزبي معا.

○ ما هي برأيك أهم مرتكزات إدارة الاشتباك البرلماني في التشريع والرقابة ضمن مسارات التحديث السياسي؟

● ما ألاحظه عموما حتى الآن هو ممارسة الضغط شعبيا ونخبويا وإعلاميا على الأحزاب السياسية وأحيانا على النواب والكتل بصيغة قد تنتج زخما وتشتت الجهود.

تكريس أسس وملامح ومبادئ التحديث السياسي وبناء المرتكزات التي تسالون عنها يتطلب تراكم التجربة والاستفادة ميدانيا من الخطأ والصواب وتصحيح المسيرة.

لذلك ما أقترحه على جميع الزملاء في كتل المجلس وفي الأحزاب العمل بعيدا عن قيود الإلحاح والضغط والحرص على التطوير المؤسسي والبرامجي والتوقف عن الشعور بأن المطلوب هو التجاوب مع ضغوط الرأي العام أو الاحتجاجات اليومية على أهميتها للناس لصالح العودة إلى جذر متطلبات الاشتباك الإيجابي وهي العمل البرامجي ثم المؤسسي ضمن الفرصة التي تتيحها مشروعات ومسارات التحديث السياسي للجميع.

○ إذا فعل الشركاء في الكتل الحزبية ذلك..ما هو المكسب المركزي؟

● إذا تم استثمار الوقت ووقف الهدر بعيدا عن التركيز على الخطابات قد تصبح الفرصة مواتية لتلبية احتياجات الشعب التشريعية والرقابية وحتى الخدماتية بطريقة أصولية خالية من الارتجال والعشوائية..هذا من أهم مكاسب الارتكاز على العمل البرامجي.

الانتخابات محطة و«وسيلة»

○ تركز كثيرا على جزئية الالحاح وتجنب الضغط على ممثلي الكتل الحزبية... لماذا؟

● نعم أفعل ذلك لأنه ضرورة ملحة. النواب بحاجة لاكتساب ومراكمة المزيد من الخبرة عموما.

ويعلم الجميع أن إيمان قطاعات لا يستهان به شعبيا وبرلمانيا ليس متوازيا ومتساويا بالعمل الحزبي أصلا، وهذا يعني احتياجنا جميعا عند ممارسة الأدوار الوطنية في البرلمان أو في الأحزاب السياسية إلى الإنجاز والتقدم بعيدا عن قيود وضغوط الانتخابات، لأن الانتخابات العامة محطة أو تقنية أو آلية لإنجاز حصة التمثيل والتأثير وليس كل المشوار الوطني في التعبير عن أدبيات التعددية الحزبية أو التحديث السياسي.

الأحزاب السياسية وليدة في أغلبها وتحتاج للمزيد من الوقت حتى تنضج، وبقاء الموصلات الانتخابية طرفا دائما بين أهداف العمل يخفف من الإنتاجية...مجددا الانتخابات وسيلة وليست هي الغاية.

الأصل أن يسمح الشارع ومعه الإعلام وبالتأكيد الدولة ومؤسستها وأجهزتها للأحزاب السياسية بالاسترخاء قليلا ومراكمة وكسب التجربة لتطوير شخصية خبيرة وناضجة تمثل الحزب السياسي.

ولا بد في المقابل من إنضاج تجربة النائب الفردي في السياق الحزبي قبل الحكم أو الاستنتاج أو الوصول إلى خلاصات.

لذلك دعوتي مستمرة لتخفيف الحث والإلحاح والاستعجال، فالوطن يستفيد من مراكمة التجارب هنا بعيدا عن الإرتجال أو الفردية أو العشوائية.

○ نحتاج هنا لشرح إضافي في المقاصد؟

● المقصود واضح، على التجربة الحزبية أن تنضج بعيدا عن صخب القيود والأجندات. وعلى رموز العمل الحزبي الاسترسال وبهدوء في التركيز على البرامجية خصوصا قبل وبعد الوقوف على محطة الانتخابات ودعم كسب المزيد من المهارات والمعرفة مع مرور الوقت.

إذا كنا مخلصين لمسار التحديث السياسي كما أفترض دوما لا مبرر للعجلة أو الاستعجال. ولا مبرر لممارسة الضغوط، وينبغي إعادة النظر في الإلحاح لأن الأحزاب أصلا جديدة وتجربتها تحتاج لصقل ووقت ومن يخطئ في الاجتهاد اليوم سيصلح الأمور غدا.

تلك عملية وطنية ودائمة ومستمرة ومفهوم العملية يعني مراكمة الإنتاجية والتخطيط الجماعي وتمكين الحزبيين ثم النواب الحزبيين ليس من تسجيل المواقف فقط في التشريع والرقابة لكن من كسب المهارات والمعرفة والخبرات ضمن إطار لا ينسى مرجعية وثائق التحديث السياسي ولا يسقط من حساباته أهمية الالتزام بالعمل السياسي الحزبي البرامجي.

أنا على الأقل أفهم الاشتباك الإيجابي والتعددية الحزبية على هذا الأساس.

تحديث النظام الداخلي

يخطط البرلماني خميس عطية دوما في مداخلاته وتعليقاته وأحيانا في مذكراته لتذكير الجميع بأن ماسسة العمل البرلماني والتشريعي والرقابي هي خريطة الطريق لتوظيف وخدمة البرامج الحزبية.

وموقع عطية في المكتب الدائم لمجلس النواب وفي رئاسة بعض الجلسات أحيانا يمنحه هامشا من تبني خطاب دائم عنوانه مصلحة الجميع في ماسسة العمل البرلماني.

لذلك يقر عطية أمام «القدس العربي» بأن تحديث وتطوير النظام الداخلي لمجلس النواب من المحطات الأساسية في تفكير المكتب الدائم، وتطوير العمل المؤسسي متفق عليه لا بل يتحمس له رئيس المجلس الحالي مازن القاضي الذي تظهر الحيثيات وجود درجة متقدمة من الانسجام في العمل وتوزيع المهام بينه وبين نائبه عطية، فيما الثاني على قناعة مؤكدة بأن

الفارق مستقر في ذهني بين من يبحثون عن تصفيق لحظي ومن يذوبون في مؤسسات الوطن والدولة بهدف البناء والإيجابية وبدون تمنن أو استعراض، والتاريخ يذكر من يترك أثرا يليق بالدولة وليس العكس.

الإسلام والدولة المدنية

يستند عطية إلى قناعة في مسار الوفاء للإصلاح والتحديث السياسي مضمونها أن الدولة المدنية المستندة إلى قيم الإسلام هي الضمانة الحقيقية للإصلاح السياسي والاجتماعي، وعبرها يمكن تعزيز المشاركة الشعبية وتحقيق العدالة وحماية الحريات وصولا إلى بناء دولة عصرية قوية راسخة في الهوية ومتأصلة في القيم ووائقة بذاتها ومنفتحة على العالم.

وعطية في المشهد المحلي الوطني من القلائل الذين يؤمنون بأن فهمه للدولة المدنية وشكلها وهويتها ينسجم تماما مع الرؤية التي يتقدم بها علنا بالخصوص الملك عبد الله الثاني باعتباره الداعم الأساسي للتحديث السياسي ولخطة بناء الإصلاح الوطني.

في التعريفات يتصور عطية أن المواطنة المتساوية أمام القانون ووجود مسطرة قانونية يخضع لها الجميع من المحاور الأساسية في تعريف الدولة المدنية أو الحديثة وكذلك ضمان الحقوق والحريات والشفافية والمساءلة.

وعطية من القلائل الذين يقدرون عدم وجود تعارض بين الإسلام والدولة المدنية لأن القيم التي تستند إليها الدولة المدنية في جذرها وعمقها هي ذاتها التي جاء بها الإسلام السمح العادل الوسطي بما في ذلك العدل والمساواة وسيادة القانون والتعايش ومعادلة الحقوق والواجبات وهو ما سار عليه الخلفاء الراشدين حيث الأدبيات والنصوص مفعمة وبالتأصيل والتحذير هنا.

تقييم الاستجابة

○ كيف تقيم الآن مستويات الاستجابة لأولويات الإصلاح بشقيه السياسي والاقتصادي؟

● سبق أن خاطبنا باسم الحزب والكتلة رئيس الوزراء في هذا السياق. وجهة نظرنا كانت ولا تزال: الاستجابة الحقيقية لتوجيهات مؤسساتنا المرجعية والرؤية الملكية تتطلب إرادة سياسية متواصلة وتعاونا بين جميع السلطات وعملا مؤسسيا منسقا بدون تباطؤ أو تردد وتحت عنوان توسيع قاعدة المشاركة السياسية الشعبية وتمكين الأحزاب وتعزيز الحريات وبناء اقتصاد إنتاجي مستدام.

تلك في الواقع خريطة طريق لا تشتكي من أي التباس.

لكن مهم للسلطة التنفيذية أن تدرك بأن التنفيذ لا يحتمل التأخير بسبب كلفة التباطؤ أو التأخير أو التردد، وعنوانها العريض أن يفقد الشارع ثقته بعملية الإصلاح وصدقيتها وجداواها...ذلك هو الأخطر في التداعيات ما دمنا في محور التقييم.

لذلك قلناها بصراحة ونعيدها: نستغرب استمرار الحكومة في نهج يعمل على تغييب التنسيق والتشاور مع الكتل النيابية التي تشكل الأغلبية.

وهو ما سعت الحكومة مؤخرا لاستدراكه في الواقع، لكن تجاوز الدور الدستوري والرقابي لمجلس النواب عبر تجاهل التنسيق الفعال والدائم محطة تلحق ضررا بالمسيرة، فكتل الأغلبية البرلمانية منحت الثقة للحكومة والإصلاح الحقيقي يتطلب تفاعلا بين السلطتين آليته الوحيدة المتاحة هي رفع مستوى التنسيق للكتل النيابية والقوى الحزبية.

على كل سلطة الحصول على حصتها ومساحتها والمفاهيم التي نطرحها وطرحناها عن تمكين الأحزاب السياسية ومراكمة تجربتها ومعرفتها مسرح العمليات الأساسي فيها مجلس النواب وكتله مع تذكير الحكومة بأن مجلس النواب الحالي هو ثمرة لقانون انتخاب جديد نتج عن حوارات مطورة وتوافقات وطنية عبر لجنة تحديث المنظومة السياسية التي تشكلت بإرادة ملكية.

○ ما هو برأيك المنقوص في معادلة التمكين؟

● التحديث هنا سياسة صلبة عنوانها حياة ديمقراطية حقيقية وسيادة القانون واحترام الإرادة الشعبية وتعزيز حريات التعبير ضمن إطار القانون، وهذا يتطلب برأيي فتح المجال بقناعة وإيمان راسخين أمام الأحزاب الوطنية الملتزمة لتصبح شريكا في صناعة القرار بعيدا عن التردد في هذا المجال وسيناريوهات التهميش خلافا لتطوير البيئة التشريعية بما يضمن ترسيخ التعددية السياسية.

في الخلاصة ما نقوله التالي: مخرجات التحديث السياسي والاقتصادي والإداري يعرفها الجميع وعلى الحكومة الالتزام بدون تأجيل أو مماطلة بالتطبيق، فيما للأحزاب ذاتها ومؤسسات المجتمع المدني دور في إظهار عكس التهاون مع أي حزب سياسي يخالف الدستور والقانون.

وغني عن الذكر – برأي عطية– أن المسار الإنتاجي في التحديث لا يتطلب فقط ترشيد الضغط والإلحاح والمتابعة بقدر ما يتطلب وعيا متقدما من هيئات الأحزاب الموجودة ومؤسساتها تحت عنوان القيام بالواجب وعدم الانتظار.

يخلص عطية إلى: الوفاء والإخلاص لمسار التحديث هو جوهر المشاركة والاشتباك الإيجابي وإظهار الاخلاص هنا يتطلب التصرف بمسؤولية وطنية...الوثائق المرجعية موجودة وقانوني الأحزاب الانتخابات هما محور التغيير والإصلاح وتطويرهما أيضا ممكن وفي أي وقت مستقبلا.

لكن النص الوطني أو نص مصلحة الوطن في موقع أبعد من الالتباس والغموض.

> المناصب ليست غنائم أو أداة للتباهي ورجل الدولة الحقيقي لا ينتظر مكافأة...هذه خطتنا لمأسسة العمل البرلماني

رجل الدولة والتباهي

○ لك موقف معروف في مسألة دور طبقة رجال الدولة وغيابهم أحيانا وأدائهم...ما الذي تتحدث عنه هنا؟

● ما قلته يمثل قناعاتي في الواقع في هذا الخصوص. فقد كنت وما زلت مقتنعا بأن رجل الدولة الحقيقي عليه واجب وأنه ناكر للذات ولا يطالب بمكافآت نهاية خدمة عبر التصفيق والتباهي.

ولعلي لاحظت أن البعض بدأ يتعامل مع المناصب والوظائف وكأنها غنائم أو إعلانات شخصية فيها قدر مختل من التباهي في غير موقعه، وهذا يعني في كل بساطة أن البعض يستخدم موقعه في الدعاية والإعلان بدلا من خدمة الوطن وهذا خطير وغير صحي عندما تواجهه بعض الدول.

ثمة فارق بتقديري بين وجود رجال دولة وبين حصول تزاحم يمثل الذين يكثرون من الادعاء والزعم، والمناصب ليست غاية وهدفها وسيلة لخدمة المصلحة العامة.

○ تصريحك أثار غضب البعض اليس كذلك؟

● الغضب هنا ليس مهما...الدولة هي التي تصنع الرجال من خلال مؤسساتها وليس العكس، وما أفهمه بقناعة راسخة أن رجل الدولة الحقيقي لا يمن على وطنه ولا يطلب مكافأة. لا بل موقعه في المجتمع والهرم دين في رقبته يحاسب عليه أمام الله والوطن والتاريخ.

حريات

حرية التعبير والاحتجاز التعسفي في ليبيا: واقع حقوقي خارج إطار القانون

طرابلس – «القدس العربي»: نسرين سليمان

لم يعد واقع الحريات في ليبيا يُقاس بالنصوص القانونية أو الضمانات الدستورية فقط، بل بما تكشفه الوقائع اليومية التي تمس الأفراد، حيث تعكس الحوادث المتكررة فجوة واضحة بين القانون والممارسة، في بيئة تتداخل فيها الاعتبارات الأمنية مع الإجراءات الخارجة عن القانون، مما يجعل حرية التعبير مرتبطة بدرجة الأمان الشخصي أكثر من ارتباطها بالحماية القانونية، وهو ما يضع الأفراد أمام معادلة معقدة تتحول فيها ممارسة الحق إلى تقدير للمخاطر.

وخلال شهر آذار/مـــارس، برزت عدة حوادث في مناطق مختلفة من البلاد، تعكس هذا الواقع بشكل واضح، حيث لا تبدو هذه الوقائع منفصلة عن بعضها، بل تشير إلى نمط متكرر يتخذ أشكالاً متعددة، تبدأ من الاختطاف والاحتجاز، وتمتد إلى الإخفاء القسري، وفي بعض الحالات تنتهي إلى انتهاكات أكثر جسامة، وهو ما يضع مسألة الحريات في قلب المشهد الحقوقي الليبي.

وقائع ميدانية

في مدينة مصراتة، سُجلت حادثة اختطاف الناشط المدني المناهض للفساد المهدي أبوالقاسم عبدالعالي، حيث جرى اقتياده ليلا من قبل مسلحين ملثمين تابعين لإحدى الجهات الأمنية، بدون إذن قضائي أو مسار قانوني واضح، وقد أثارت هذه الواقعة قلقًا واسعًا، خاصة أنها تستهدف ناشطا معروفًا بانتقاداته، ما يعكس إشكالية التعامل مع النشاط المدني والنقد العام، ويطرح تساؤلات حول حدود عمل الأجـهـزة الأمنية ومدى التزامها بـالإجـراءات القانونية، خصوصًا عندما يتعلق الأمـر بحرية التعبير والعمل السياسي.

ولا تبدو هذه الحادثة معزولة، بل تتقاطع مع وقائع أخرى في مناطق مختلفة، ففي شرق البلاد، وتحديدًا داخل سجن الكويفية بمدينة بنغازي، تستمر معاناة أكثر من 140 محتجزًا، من بينهم نساء وفتيات وكبار سن، إضافة إلى معتقلين من أتباع الطرق الصوفية، حيث يُحتجز عدد منهم منذ ما يزيد عن عامين دون عرض على النيابة العامة، بينما صدرت بحق آخرين أوامر قضائية بالإفراج لم تُنفذ، ويخضع هـؤلاء لسيطرة جهة عسكرية بدل الإدارة المدنية المختصة، وهو ما يعكس خللا واضـحًـا في الإجـراءات القانونية، ويطرح تسـاؤلات حـول مـدى احـتـرام مبدأ سيادة القانون.

ويعتد هذا النمط من الانتهاكات إلى حالات الإخفاء القسري، كما في قضية اختفاء حنين العبدلي في بنغازي منذ نيسان/أبريل 2025، والتي لا تزال مجهولة المصير حتى الآن، دون عرض على النيابة العامة أو الكشف عن مكان احتجازها، رغم المناشدات المتكررة من عائلتها، وهو ما يعكس حالة من الغموض القانوني، ويبرز واحدة من أخطر صور الانتهاك، حيث لا يقتصر الأمر على حرمان الشخص من حريته، بل يمتد إلى إنكار وجوده قانونيًا.

وفي سياق آخر، تكشف بعض الوقائع عن مآلات أكثر خطورة لهذه الانتهاكات، كما في حادثة العثور على جثامين داخل مقبرة في منطقة أبوسليم بطرابلس، حيث تم التعرف على هويات الضحايا بعد تحليل الحمض النـووي، وتبين أن أحدهم قُتل بـإطلاق نار في الـرأس، والآخر في الجـذع، وقد ارتبطت هذه الواقعة بسياق اعتقال سابق داخل أحد السجون غير الرسمية، ما يعكس كيف يمكن أن تتطور حالات الاحتجاز خارج القانون إلى انتهاكات جسيمة تمس الحق في الحياة، في ظل غياب الشفافية والمحاسبة.

كما تظهر هذه الإشكالات بشكل واضح في قضايا أخرى داخل المنطقة الغربية، من بينها قضية مقتل الشاب إسلام المغربي عبد الله فرج، الذي تعرض للاختطاف والاحتجاز داخل مقر تابع لجهاز أمني، قبل أن يتم تعذيبه ثم إلقاؤه من الطابق الرابع، في حادثة تعود إلى عام 2023، إلا أن الشكوى المقدمة بشأنها في 2026 تشير إلى تعثر التحقيق، وعدم استكمال الإجراءات القانونية بحق المتهمين، وهو ما يطرح تساؤلات حول فعالية مسارات العدالة، وقدرة الجهات المختصة على ملاحقة المسؤولين عن مثل هذه الجرائم.

وفي مـوازاة ذلـك، تعكس تحركات أهالي السجناء والموقوفين في طرابلس جانبًا آخر من الأزمة، حيث نظموا وقفة احتجاجية أمام مؤسسات رسمية للمطالبة بتنفيذ أوامـر الإفراج الصادرة عن القضاء، وضمان عرض أبنائهم على المحاكم ضمن الآجال القانونية، إضافة إلى تحسين أوضاعهم داخل السجون، والسماح بالزيارات، وقد أشار المحتجون إلى استمرار احتجاز بعض السجناء رغم صدور قرارات بالإفراج عنهم، وهو ما يعكس فجوة بين القرارات القضائية وتنفيذها على أرض الواقع.

ولا يقتصر هذا النمط على حالات فردية، بل يظهر أيضًا في وقائع احتجاز مطولة، كما في قضية اعتقال العقيد عبدالرحمن التواتي في مدينة البيضاء منذ عام 2024، حيث لا يزال محتجزًا دون مسوغ قانوني واضح، مع ورود معلومات عن نقله بين جهات أمنية مختلفة، دون تمكينه من حقوقه القانونية، أو عرضه المنتظم على القضاء، وهو ما يعكس إشكالية الاحتجاز طويل الأمد خارج إطار القانون.

وبالنظر إلى هذه الوقائع مجتمعة، يمكن ملاحظة ترابط واضح بينها، حيث تبدأ بعض الحالات بالاختطاف أو الاعتقال، ثم تستمر من دون إجراءات قانونية، وفي حالات أخرى تتحول إلى إخفاء قسري، وقد تنتهي في بعض السياقات إلى انتهاكات أشد خطورة، بينما تتعثر في المقابل مسارات التحقيق أو تنفيذ الأحكام، وهو ما يشير إلى نمط متكرر يتجاوز حدود الجغرافيا السياسية بين الشرق والغرب.

سياق مؤسسي

وفي هذا الإطار، لا تتأثر حرية التعبير فقط بالإجراءات المباشرة، بل أيضًا بالبيئة العامة التي تخلقها هذه الوقائع، حيث يؤدي تكرار مثل هذه الحالات إلى حالة من الحذر داخل المجتمع، تجعل الأفراد يعيدون حساباتهم قبل التعبير عن آرائهم، ليس بسبب وجود قانون يمنعهم، بل نتيجة تقديرهم للمخاطر المحتملة، وهـو ما ينعكس على طبيعة النقاش العام ومستوى المشاركة فيه.

هـذا الامـتـداد في الوقائع لا يمكن فصله عن السياق العام الذي تعمل فيه المؤسسات الأمنية والقضائية في ليبيا، حيث تعيش البلاد حالة من التداخل بين السلطات وتعدد مراكز القـرار، وهـو ما ينعكس بشكل مباشر على كيفية التعامل مع القضايا الحقوقية، فغياب مرجعية موحدة يفتح المجال أمام تفاوت في الإجراءات، ويجعل من تطبيق القانون مسألة غير مستقرة، تختلف من منطقة إلى أخرى، بل ومن جهة إلى أخرى داخل نفس المدينة.

في شرق الـبلاد، يظهر هذا الواقع بشكل أكثر وضوحًا في طبيعة التعامل مع قضايا الاحتجاز المطول، في سياق تغلب فيه المقاربة الأمنية على الاعتبارات القانونية، وتُدار فيه بعض الملفات خارج الأطر القضائية التقليدية، حيث تستمر بعض الحالات بـدون عرض منتظم على القضاء، أو بدون تنفيذ الأحكام الصادرة بالإفراج، وهو ما يعكس نمطًا يتكرر في أكثر من ملف، ويؤثر على مسار العدالة بشكل مباشر، خاصة عندما يتحول الاحتجاز من إجراء مؤقت إلى وضع دائم من دون مبرر قانوني واضح.

وفي الوقت ذاته، لا تبدو الإشكالات في غرب ليبيا أقل تعقيدًا، وإن اختلفت في طبيعتها، حيث تتداخل صلاحـيات بعض الأجـهـزة الأمنية مع عمل المؤسسات الرسمية، ما يؤدي في بعض الحالات إلى تعثر التحقيقات أو بطء الإجراءات، كما في القضايا التي لا تزال مفتوحة بدون حسم، رغم وضوح ملابساتها، وهو ما يطرح تساؤلات حول قدرة الجهات المختصة على متابعة هذه الملفات بشكل كامل.

هذا التوازي بين المنطقتين لا يعني تماثلاً تامًا في حجم أو طبيعة الانتهاكات، لكنه يعكس مشكلة أوسع تتعلق بضعف منظومة إنفاذ القانون، حيث تظل الإجراءات خاضعة في كثير من الأحيان لاعتبارات غير قانونية، وهو ما ينعكس على حقوق الأفـراد، ويجعل من الضـمانات القـانونية غير كافية في حد ذاتها.

وفي هذا السياق، تتقاطع هذه الإشكالات مع مسألة الإفلات من العقاب، التي تظهر من خلال استمرار بعض الحالات دون محاسبة واضحة، سـواء في ما يتعلق بالاحتجاز أو الإخفاء أو حتى القضايا التي انتهت بوفاة الضحايا، حيث لا تزال بعض الملفات مفتوحة بدون استكمال الإجـراءات، أو الوصول إلى نتائج نهائية، وهـو ما يعزز من شعور عام بعدم جدية المساءلة. كما أن استمرار هذه الوقائع بدون معالجة فعالة ينعكس على ثقة المواطنين في المؤسسات، حيث يصبح اللجوء إلى القضاء غير كافٍ في حد ذاته إذا لم تُنفذ قراراته، وتفقد الإجـراءات القانونية جزءًا من قيمتها عندما لا تترتب عليها نتائج ملموسة، وهو ما يظهر بشكل واضح في مطالب أهالي السجناء الذين لم يقتصر حراكهم على إنهاء الاحتجاز، بل امتد إلى المطالبة بتنفيذ أحكام صدرت بالفعل. ومن زاوية أخرى، فإن تكرار حالات الاحتجاز والإخفاء، حتى وإن كانت في ملفات منفصلة، يخلق بيئة عامة تتسم بعدم اليقين، حيث لا يقتصر أثر هذه الوقائع على الضحايا المباشرين، بل يمتد إلى المجتمع ككل، إذ تدفع هذه الحالات الأفراد إلى توخي الحذر في التعبير عن آرائهم، وتقلص من مساحة النقاش العام، دون الحاجة إلى وجود قيود قانونية صريحة.

أبعاد قانونية

وفي هذا السياق، تكتسب هذه الوقائع بعدًا قانونيًا أوسع، حيث تنص التشريعات الليبية، بما في ذلك قانون الإجـراءات الجنائية، على ضـرورة عرض الموقوف على النيابة العامة خلال آجال محددة، وضمان حقه في الدفاع والتواصل مع محاميه، كما يجرّم القانون رقم 10 لسنة 2013 التعذيب والإخفاء القسري، ويضعهما ضمن الجـرائـم الـتـي لا تسقط بالتقادم، ومع ذلك، فإن تكرار حالات الاحتجاز خارج هذه الأطر يشير إلى فجوة بين النص والتطبيق، وهو ما يطرح تساؤلات حول مدى التزام الجهات المنفذة بهذه القوانين.

وعلى المستوى الدولي، فإن ليبيا طرف في عدد من الاتفاقيات التي تضمن حماية حقوق الإنسـان، من بينها العهد الـدولـي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، الذي ينص على عدم جواز الاعتقال التعسفي، وضرورة تمكين المحتجز من الطعن في قانونية احتجازه، كما تحظر الاتفاقيات الدولية الإخفاء القسري باعتباره انتهاكًا جسيمًا للحقوق الأساسية، وفي بعض الحالات، قد يرتقي إلى جريمة ضد الإنسانية إذا تم بشكل منهجي وعلى نطاق واسـع، وهو ما يجعل هذه القضايا لا تقتصر على الإطـار المحلي، بل تندرج ضمن اهتمام آليات دولية معنية بمتابعة مثل هذه الانتهاكات.

كما أن استمرار بعض هـذه الممارسات، خاصة تلك المرتبطة بالاحتجاز المطول أو عدم تنفيذ الأحكام القضائية، قد يفتح المجال أمام مسارات مساءلة دولية، سواء من خلال آليات الأمم المتحدة أو عبر القضاء الدولي، في حال تعذر الوصول إلى العدالة على المستوى المحلي، وهـو ما يعكس أهمية معالجة هذه الملفات داخليًا، ليس فقط من منظور حقوقي، بل أيضًا من زاوية الحفاظ على سيادة الدولة ومؤسساتها.

وفـي مـوازاة ذلـك، ينعكس هـذا الـواقـع الحقوقي بشكل مباشر على البيئة الإعلامية وطبيعة العمل الصحافي في ليبيا، حيث لا تقتصر تداعيات الاحتجاز التعسفي أو الإخفاء القسري على الضحايا المباشرين، بل تمتد لتؤثر على الصحافيين والعاملين في المجال الإعلامي، الذين يجدون أنفسهم أمام مساحة عمل غير مستقرة، تتداخل فيها المخاطر المهنية مع المخاطر الأمنية، ففي ظل غياب ضمانات واضحة، يصبح تناول بعض القضايا، خاصة تلك المرتبطة بالفساد أو الانتهاكات أو أداء الأجهزة الأمنية، أمرًا محفوفًا بالحذر، وهو ما ينعكس على طبيعة المحتوى المنشور، ومستوى الجرأة في الطرح.

وقد أدى هذا الواقع إلى تراجع نسبي في التغطية المتعمقة لبعض الملفات الحساسة، مقابل الاعتماد على الصياغات العامة أو تجنب الخوض في تفاصيل قد تثير ردود فعل من جهات نافذة، وهو ما لا يرتبط بوجود رقابة قانونية مباشرة بقدر ما يرتبط ببيئة عامة غير آمنة، تدفع إلى الرقابة الذاتية كخيار احترازي، خصوصًا في ظل غياب آليات حماية فعالة للصحفيين، أو قنوات واضحة يمكن اللجوء إليها في حال التعرض للتهديد أو الانتهاك.

كما يتأثر النشطاء في المجال الرقمي بشكل مشابه، حيث أصبحت منصات التواصل الاجتماعي، رغم اتساعها، مجالًا يتطلب قدرًا من الحذر في التعبير، خاصة عند تناول قضايا ذات طابع سياسي أو أمني، وهو ما يحد من دور هذه المنصات كمساحة للنقاش العام، ويؤثر على قدرتها في نقل صورة كاملة عن الـواقـع، في ظل غياب ضمانات تحمي المستخدمين من التبعات المحتملة.

وفي هذا الإطار، لا تقتصر آثار هذه البيئة على تقليص مساحة التعبير، بل تمتد إلى التأثير على تدفق المعلومات نفسها، حيث تصبح بعض الوقائع أقل ظهورًا أو تتأخر في الوصول إلى الرأي العام، وهو ما ينعكس على مستوى الوعي العام بالقضايا الحقوقية، ويجعل من الصعب تكوين صورة دقيقة عن حجم الانتهاكات أو طبيعتها، خاصة في ظل غياب قنوات رسمية منتظمة لنشر البيانات أو توضيح المواقف.

وفي المحصلة، فإن ما تعكسه هذه الوقائع لا يقتصر على تعدد الحالات، بل يشير إلى بيئة حقوقية لم تستقر بعد على قواعد واضحة، حيث تظل الحريات مرتبطة بتوازنات قائمة أكثر من ارتباطها بضمانات ثابتة، في انتظار تطور مؤسسي يضمن تحويل النصوص القانونية إلى ممارسة فعلية، ويحد من تكرار هذه الأنماط في المستقبل، وهو ما يجعل من مسألة الحريات في ليبيا اختبارًا حقيقيًا لقدرة الدولة على الانتقال من إدارة الأزمة إلى بناء نظام قانوني مستقر.

كتب

«جوع عتيق» رواية اللبنانية لينة كريدية: أمراء الحرب ونَدّاهة العقاب السماويّ بالأرضي

شاشة عرض روائي موجزة في الظاهر لكنها ضخمة كذلك في الجوهر. حيث تكوّن بنيةَ رواياتها من خمسة وعشرين فصلاً، تروي داخلها بصيغة سرد الراوي العليم المحايد (مع جملة تحيّز مارقة لا تُحسب، ليس للطائفة وإنما للبناني ككائن يختلف عن كائن ريف مصر وسوريا.)، حكاية عائلتين مختارتين بدقة النجاح لتمثيل اللبنانيين من حيث تكوّنهما الذي يحدث فعلياً في لبنان من دون إنشاء مفتعل: عائلة سامي الماروني المتزوج من أرمنية تبحث عائلتُها عن ثراء ومكانة، وعائلة إبراهيم المسلم القادم من قرية بائسة مسلّمة بسرّ النشأة الفقيرة في عائلة مفكّكة، والثراءَ القادمَ من خوض الحرب الأهلية وسرقة بنكو دي روما، إلى جونية للتخفي من ماضيه، حيث تسكن عائلة سامي الثرية العريقة فيها.

وإذ لا تقتصر الحكاية على العائلتين بتحليل نفسيٍّ واسع وعميق لأفرادهما، وإنما تشمل جميع لبنان تقريباً؛ تقوم كريدية، بتوسيع الحكايتين دون فقد الرابط الرئيس المتعلق دون انفكاك بشخصياتها وأحداثها، لتشمل أحداث الحرب الأهلية التي جرت عام 1975.

والأهم ما جرى من مآل للشخصيات التي مثّلت أردأ ما فيها من فرق ترتكب المجّازر ولصوص قتلة يستغلون الحرب لنَرب الثراء، ويغسلون الدماءَ بأموالِه. ولكنّ، هيهات، إذْ تكمن لهم نَدّاهاتُهم، ونَدّاهاتُ الأعمال الفنية الإبداعية لتكشفهم، وتكونَ شاشة تحذير لمن تشوّه وفكّر في السير على طريقهم.

في إنباض حكايتها تقوم كريدية بتخطّي مزالق الوعظ من خلال بلورة الحكايات الأسرة التي تشمل واقع الحرب التي خاضها الآباء، وواقع ما تربّى عليه الأبناءُ وأفسدَ حياتهم كي يُفسدوا طرق هروب آبائهم. مثل حكاية سرجون العراقي الأشوري، الأخ المحبوب المقدّس كبطل لدى جدة بطل الرواية الثاني فؤاد، والذي خاض الحربَ داخل فرقة التيوس الكتائبية الشهيرة التي ارتكبت مجازر تل الزعتر. ومثل حكاية اليساري السني أبو خليل سارق بنكو دي روما، الذي تُطعَم كريدية حكايته بالأسلوب البوليسي المشوّق الخاص بسرقة البنوك، دون أن تفقد الرابط الاجتماعي في الحكاية.

بالإضافة إلى بلورتها للحكايات التي تساند حكايات الشخصيات الأساسية، بما يساعد على بلورتها، وتمتد دون فقد الرابط كذلك بصورة واسعة لا يخلو منها الملاكمون محمد علي كلاي وجورج فورمان ونسيم حامد، والعديد من شخصيات التاريخ وحكاياته وأساطيره. من مثل حكاية النَدّاهة، وحكاية الطاووس، الذي يتوضع من سيّد للملائكة باسم الشيطان الذي لم يعص ربه في الديانة الإيزيدية بقدر ما أطاعه حيث لا يمكن السجود لغيره، ولو كان آدمُ الذي أمره الربّ نفسُه بالسجود له. إلى جالب اللعنة التي تطارد إبراهيم على سرقة مجوهرات الإمبراطورة الإيرانية فرح ديبا وتاجها المرصّع بالطاووس، قبل أن يكتشف أنه في الحقيقة تاج الملكة فريدة، ملكة مصر الذي سُرق مع مجوهراتها عند سقوط الملك فاروق.

وإلى جانب ابتكارها لصوت النَدّاهة كثيمة غنية مزودة بحكايتها الأسطورية عن قتل أب لابنته ألتي عشقت، وتحوّلها إلى ما يشبه «ميدوزا» تُوقع بالرجال الذين عشقوها، وابتكارها لوضع الشخصيات والحكايات المساندة، وعدم فقدها خيطَ لظم ما تريد من بلورة جانب من جوانب أمراء ولصوص الحرب، إلى جانب كل هذا الازدحام؛ لا تفقد كريدية خيط روايتها الممتد، رغم اتباعها كذلك أسلوب تفتيت وتوزّع الزمن في الرواية. إذ هو لا يسير على خط مستقيم، بقدر ما يذهب ليحكي جزءاً عن الأب تارة، وجزءاً عن الابن، ويعود لكي يلملم ويصل ما حكى بخيط الرواية الأساس الذي يقول للبنانيين: اهربوا من النَدّاهة... انفذوا بأرواحكم من هذه المتاهة».

لينة كريدية: «جوع عتيق»
دار النهضة العربية، بيروت 2026
184 صفحة.

المثنى الشيخ عطية

لا يُلام المبدعون اللبنانيون إن ارتدو قناع «النَدّاهة»، وما أدراك ما النَدّاهة تلك التي سيأتي ذكرها/ سيّدةُ العقاب الإلهي بالأرضي، بديلاً عن العدالة الانتقالية لمحاسبة أمراء ولصوص الحرب الأهلية اللبنانية، التي يبدو أنها لا تتحقق بقدْر ما تَفتّق عن ظل حروب أهلية يجثم على صدور اللبنانيين، ويكبّلهم عن نزع السلاح الذي يهدّدهم بحرب أهلية أشدّ قساوةً ودناءةً وهولاً.

لا يُلامون، وربما يُشكرون، إن جعلوا من تكرار الحديث في أعمالهم عن هذه الحرب ظاهرةً تُوَلّد ربمّا ما يوحي بأنهم «زادوها»، قليلاً؛ فجُرح الحرب الأهلية اللبنانية التي حدثت منذ واحد وخمسين عاماً، يُعصى كما يبدو على الالتئام، ليس بسبب عمقه داخل الجسد اللبناني وانسحابه إلى الروح فحسب، وإنما لكونه يتجدّدُ كلما خمد، في جميع تفاصيل الجسد اللبناني، من دون تويةٍ عن عدمِ تكراره.

ولا يُلامون كذلك، بقَدْر ما تستحقّ أعمالهم الاهتمام، إن لم يتركوا شظيةً من أسلحة هذه الحرب القذرة إلا وأخضعوها لفحوصات ومعالجات الفن، الروائيّ بخاصة، مثلما تُكرّر الروائية اللبنانية لينة كريدية بعد «غنائيات بيروت» كوجهٍ من وجوه هذه الحرب، معالجةً وجهَ آخر أكثر خطورة، في روايتها الجديدة «جوعٌ عتيق». وذلك من جهة تعلّقه بأمراء ولصوص الحرب الذين انتعشوا بعدها وكوّنوا ميليشيات مدنيةً ومسلّحةً أخطر باسم المقاومة، تعبث فساداً في الجسد اللبناني، وتنشر منه إلى الدول المجاورة قيح الموت، وتكبّل الروحَ التي تتوق إلى إنباضه بالحياة، حيث، وفي المآل الذي سيأتي:

«رغم التحسّن الواضح... لم يستردح قوّته أبداً. اتّسّخ هزيمته من الداخل... بعد موت مازن استُنفِدَت طاقته، ضَعفَ قلبه من كثرة ما تلقّى من لكمات الحياة. سقط العجوز بعد أن ربح كلّ المعارك وانهزم في معركة عائلته وسعادته، صار أسيرَ فراشه الفخم من غير أناقة أو ذوق... تتكالب عليه كوابيسٌ يرى فيها كل الموتى يطاردونه... ينهال أبوه بالحزام الجلدي على جسده المرتعش، تصرخ أمه بوجهه، تمد كفيفة يدها وتسحبه إلى القبو شاحبة الوجه، وعين العجمي تتوعّده بالانتقام، يسيح في بركة من دماء أبي عبده وصبحي، يستيقظ صارخاً، يشعر بيده العجفاء تجرح جسده المشلول، سوسن تخلع عنه ملابسه، وصوت النَدّاهة يهمهم بكلّ أسماء ضحاياه».

نَدّاهة العقاب الذاتي

لا تذكر كريدية في رواياتها رائعة دوستويفسكي «الجريمة والعقاب» مباشرةً، لكنّها أوحت بمعالجةٍ روائية على صعيد المعنى تُقارب معالجاتها. وبالأخص فيما يتعلق بقضية العقاب والعدالة، حيث لا يأتي عقاب القاتل اللص «راسكولنيكوف»، من العدالة السماوية التي يكشف لنا دوستويفسكي أنها هي ذاتها الأرضية المركّبة في الغامض من خوارزمية الإنسان الذي هجس بوجودها وسمّاها الضمير.

فبطل لينة كريدية الأول إبراهيم/ أبو خليل، كما راسكولنيكوف الذي حمل أفكاراً تبرّر له القتل والسرقة وفْق ظنّه، على اختلاف واقع الشخصية والحدث والغايات، لا يُسلّم، وإن طال الزمن الذي حاول فيه ردم حفرة ضميره بالأقنعة والأسلحة والرشاوى والتخفّي، من نهْش هذا الضمير لروحه، بما يشبه لعنةً تطارده. بلورتُها كريدية بأسطورة صوت «النَدّاهة»، ووضعتْها في ما يشبه ثيمةً لرواياتها تمتدّ على طول الرواية، بادئةً من تحذير المرأة التي أنقذته من مصير سحل أعدائه له كي يذوق الكأس التي أذاقها لهم، على طرفي الصراع، بما يشبه واقعية سحريّة، أنْ «اهربْ من النَدّاهة... انفذْ بجلدك من المتاهة...».

وإنما تذهب إلى الجذر الذي توجزُه بالإنسان اللبناني على اختلاف طائفته، لتوجيه تحذيرها له بأن يهرب من نَدّاهة العقاب وأن لا يسير في درب الحرب والاصطفاف الطائفي، حيث يكمن نداء «الجوع العتيق» الذي سيجرّه إلى العقاب، مستخلصةً له أسطورة النَدّاهة، وراويةً له حكايتها الأسطورية المؤثّرة، وضاربةً له بأبعادٍ عقابها المبلورة في مَثل تآكل السارق القاتل مستعْل الحرب من داخله، حيث بإمكانه الاستنتاج أن الأفعال السيئة تعود على صاحبها بجرّها إليها من قِبَل نفسه.

شاشة عرض النَدّاهة:

أمام قارئها، العام واللبنانيّ المُعاني مباشرة على حافة أقسى نصال هاويةٍ ما يَفتَح شدقيه للابتلاع، تنصبُ كريدية

«قطار بضائع محدود الحركة» مجموعة الشاعر المصري حسني الإتلاتي: الشعر بوصفه صوتاً للمهمشين

صابر رشدي

يبدو أن الشاعر المصري حسني الإتلاتي قد أراد، عبر نصوص هذا الديوان، أن يقدم لنا صورة رمزية لمجتمع مثقل بالأعباء، بطيء الحركة، أو بالأصح متعثر في خطواته، عاجزاً عن التقدم إلى الأمام، وذلك بعد أن لاحظ أن الاقتراب إبداعيا من هذه المساحة قد ذوى واتجه إلى مسارات أخرى، مسارات لا تجلب الاحتراق الداخلي والعذاب الصامت.

فالشاعر ليس منزوياً عن واقعه، مبتعداً عن كشف آلامه، إنه يشير بيده الحانية إلى الجروح حتى لا تتقيح ويطالها التعفن نتيجة الإهمال أو الهروب من معالجتها، فاتحا لنا آفاقاً تتراوح بين الوجودي والاجتماعي والذاتي، برؤية نقدية خالصة الانتماء، محبة للوطن في المقام الأول، عبر طابع سردي تصويري يستخدم مفردات الحياة اليومية، ويضعنا في قلب مشاهد ولقطات سينمائية قابلة للتخيل.

نطالع في هذه المجموعة ذاتاً شاعرة تنوء بحمولة من التجارب والذكريات، لكنها لا تعيق انطلاقها، وهي تمضي في رصد العقبات المزمنة التي باتت كالقدر في ارتباطها بالماضي والحاضر، ذاتاً تصرخ أحياناً حتى لا تشاركنا المستقبل، وينقشع الغمام والغبار الراكد عن سماواتنا؛ فالقصيدة والقصة والرواية والفنون كافة، ما زالت قادرة على أن تطلعنا على ما يشعر به البسطاء ويعجزون عن قوله، تاركين للفن والأدب التعبير عنهم. يقومان بمهمتهما عند اللجوء إليهما، كونهما تشخيصا ناجعا، كاشفا لكثير من الأشياء، لم يتخليا بعد عن واجبهما في تمزيق الحجب والأوهام، وذلك من خلال القدرة على إدراك صميم الواقع والحد من سلبياته.

الإبداع الحقيقي لا يمكن أن يكون دعائياً يردد شعارات جوفاء ويلهث وراء السراب.

في مقطع من قصيدة «عنق الزجاجة» يباغتنا حسني الإتلاتي بعدم الانقطاع عن أزمات إنسان هذا العصر وعن تفاقم مشاكله:

«أنا وطن محتل

يجبرني بائع الدندرمة على شراء العديد من قراطيسه الرخيصة

رغم أسناني التي يرهقها التسوس

يجبرني بائع المناديل على ملء حقيبتي المزقة

بمناديل لا تصلح للاستخدام مرة واحدة

الرفاق الذين تشوهت أحلامهم مثلي

لم يعودوا يلعبون الكرة

ومثلي لم يعودوا يضحكون في وجوه زوجاتهم

الغلاء عدو الله

أعرف رجلاً مَل من كثرة الأدعية

لم يمت رجل الشرطة الذي يكسر شوكة المراهقين ويتحسس أجساد الثائرات الصغيرات

في الزنازين الرطبة بالخوف والأرق».

من خلال متابعة بقية سطور النص نجد أنفسنا أمام واقع اجتماعي فقير وقمعي، شخص يتكلم واصفاً نفسه بوطن محتل، ما يعني أن معاناته معاناة جماعية، وأن جملته تلك بمثابة مفتاح نستطيع أن نلج به عالمه، لتطالعنا شهادة على الهشاشة والفقر، الذي يتحول مع الوقت إلى قوة قهر مقبضة.

المشهد يأكمله لا يصف عمليات بيع وشراء طبيعية بقدر ما يرصد علامات مادية للتدهور: فقراء يضغطون على فقراء من أجل بيع بضائعهم الرخيصة، الغلاء يتحول إلى كائن معاد، والدعاء لم يعد يؤدي وظيفته الرمزية، ولم يمت رجل الشرطة الذي يعذب المواطنين، وكأننا بإزاء نبرة احتجاجية وانهيار للأحلام العادية، كاشفاً لنا كيف يتحول الإنسان البسيط إلى ضحية للاقتصاد والسياسة معاً، كما يتضح من بقية السطور.

أما في قصيدته الطويلة «العبيد يفاوضون السيد على عدد الجلدات»، وكما في معظم قصائد الديوان، يستنتج القارئ دائما المعنى الذي يتجاوز المعنى المباشر، يشعر بالألم الذي تنضح به الكلمات، ويستشعر المرارة والحزن وفقدان الأمل الذي يطل كالإشعاع الخارق، قاسياً، ومؤلما على نحو مؤثر، كأنه يقاوم النسيان والتلاشي. إنه يسرد في إحدى الفقرات:

«أقول لكم:

أمي بائعة الجرجير

قذفتها الأيام إلى الشارع

تجلدها الشمس

وتطاردها الريح وأعوان البلدية

وأبي فلاح طيب

متطوع

من قبل عصور الحزن بحزنين وقبل عصور الصبر بألف

متخصص في حفر الأنهار وتقليم الأشجار

ورصف طريق الحب لأولاد الباشا».

ثمة وصف عائلي للأب والأم والأخ والأخت والابن ستجده هنا، في مونولوغ يقطر ألماً وسرد مفعم بالأسى، هو في حقيقته يصف حال شرائح تعيش على الكفاف وتعاني صعوبات جمة.

إن تحديد المهن المهمشة كبيع الجرجير، يشير إلى الفاقة والعمل اليومي، القائم على نقود قليلة لا تكفي لمواجهة الظروف البائسة. أما وصف الأب بالفلاح الطيب، فهذا الوصف الأخلاقي الذي يعني الأصالة والقدرة على العمل الشاق قد يحيلنا إلى قابليته للاستغلال. ثم نجد أنفسنا بعد ذلك أمام «أولاد الباشا» لنكتشف بنية طبقية غير متكافئة: الفقراء/ السلطة. العمل/الامتياز. الهامش/المركز.

الفقراء يعملون ويبنون ويزرعون ويهيئون الطرق، لكن الثمار تذهب لغيرهم دائما، وكأن العامل يخلق العالم لكنه في النهاية لا يملكه. الأب الذي حفر القناة من أجل بصلة حمراء وكسرة خبز، والأخ الحالم المثالي أكثر مما يجب، الذي أكمل تعليمه فالحقته الحكومة بوظيفة صغيرة، راح يجوب المدينة صامتاً يدفع الذباب عن روحه الهائمة. والأخت الرقيقة، فائقة الجمال، التي زفت إلى رجل نفط عاجز، لكي تنقذ العائلة من العوز. عملية جرد ميلودرامية لنماذج بشرية، تسلم الراية من جيل إلى جيل، على نحو محبط لا يترك فسحة للتمرد أو انفراجة أمل، حالات امتثال كامل تواجه بها مستقبلاً غامضاً وغير مأمون مطلقاً.

إنه يصرح بوضوح بأنه لا يريد قصيدة كاملة الأوصاف يصفق لها الناس، فهو يعتقد أن الشعر ليس وزناً وقافية، بل قنابل موقوتة تتخفى تحت الحروف، حين تفشرها بعينك، تنفخ فيها الروح لتصبح كائناً حياً يتمشى معك.

في مقطع من قصيدة «زوجة العم» قريب من الطابع الرثائي، يطلعنا الشاعر على ذكرى لا تنسى:

«ذات صباح سقطت في فناء المدرسة

فشجت رأسي

لم تكن أمي في البيت

كي تغسل دمي

قالوا إنها في الجنة

قلت لكنني في الأرض

وأبي الذي يعيش دور الأولياء

لا يعرف الخناق

وزوجة العم غير الأم

لم تضرب على صدرها

ولم تصرخ في ألم».

إنها الأم في كل مرة، تارة عن طريق المجاز، وتارة تكون الوطن، وكثيراً ما تعبر عن نوستالجيا ضاربة في العمق، تفضح رغبة دفينة في الدفء والأمان؛ فهناك حالة من الفقد لا تعوضها البدائل الزائفة. السقوط يشكل جرحاً غائراً، علامة على الضعف، وشج الرأس ليس مجرد إصابة جسدية، بل يبدو كأثر على جرح نازف في الوعي والذاكرة. لقد صار خارج البيت، بعيداً عن دائرة الحماية الأمومية، غائباً عن العلاقات العاطفية الاجتماعية، التي تمثل الأم فيها العزاء الحقيقي الشافي من المحن.

ثمة إيغال في توصيف حال المواطن المقهور الذي يحمل فوق ظهره تاريخاً ثقيلاً من المآسي، وثمة فوارق طبقية تتسع يوماً بعد يوم تكشف عنها القصائد، كما نلحظ في قصيدة «في رثاء لاعب كرة جميل وأسود» التي جاءت على هيئة نجوى مقدمة إلى لا أحد، وكل أحد، ربما تجد من ينصت باهتمام، ويلتمس الأعذار لشخص يبوح بما لديه عبر المفردات العادية، بعيداً عن فخامة اللغة، متحدثاً بلسان البسطاء البعيدين تماماً عن ألعاب الشعر وبلاغة الكلمات، المهم أن يستطيع الوصول إلى ما يريد، من خلال عرض الواقع كما هو، مخلصاً للحقيقة وحدها:

«أنا اللاعب الأسود

لم أسرق مال الوطن

ولم أهرب من خدمتي العسكرية

سقطت في الإعدادية

لأنهم في مدارس الفقراء لا يسرقون الامتحانات

ولا يهربون الإجابة

ونحن كما تعلمون

لا ظهر ولا صوت لنا

رأيت نصف الحرب خدعة ونصفها هرب

وكنت متكئاً على خسائري العظمى اعتدلت

ثم قلت:

إن هذا الموت رحلة جميلة والعيش بين كل حربين حرب

قلت فعلاً لقمة العيش مُرة ولقمة البعاد».

إن ضمير المتكلم الذي يشير إلى اعتراف شخصي يتحول في بقية القصيدة إلى صوت للفقراء، يؤكده لاحقاً ظهور «نحن» التي تمثل التحول من الفردي إلى الجمعي، لتبرز ثنائية البراءة والفساد، في إدانة غير مباشرة للمنظومة الاجتماعية، والمدرسة هنا ليست مؤسسة تعليمية بقدر ما هي رمز صارخ لعملية عدم تكافؤ الفرص.

في هذه النصوص نشعر أننا نستمع إلى إنسان قبل أن يكون شاعرا، إنسان يحكي تجربته، كاشفاً عن فساد يخدم مجموعات مهيمنة، وبنية تفتقر إلى العدالة، تجلب الشعور بالإقصاء، ما جعله يلجأ إلى الاحتجاج والإشارة إلى عبثية الحروب وانهيار القيم، مقدماً شهادة على زمن مـأزوم، على نحو يستحضر المعنى الإنساني للشعر، بالصور السردية المكثفة، بوصفه فعلاً للمكاشفة، لا مجرد صياغة جمالية معزولة عن الواقع.

فهو لا يكتفي بوصف الألم وآليات القهر التي تثقل كاهل الكثيرين، وإنما يعبر عن هؤلاء الذين يعيشون على هامش الحياة:

«وهذه البلاد مُرّة وظالمة

وكشاعر لا يستوي على خيانة ولا يقر

أسير

كنت متكئاً على انتصار زائف وما اعتدلت

قلت ليس كل حر في الحياة حراً

وليس كل مأسور أسيراً

وكخارج للتو من معركة الحياة

فقدت كل الأسلحة».

في النهاية، نلحظ ثمة تحولات تستند إلى إنكار الواقع المفروض ونقده، ورفض الخيانة والتواطؤ كفعل أخلاقي، مدعوماً بسؤال وجودي عن الحرية الحقيقية من خلال قلب المعاني المألوفة، وبأسلوب يزعزع اليقين ويفجر الوعي بالهزيمة، جاعلا الرفض ذاته شكلا من أشكال مقاومة هذا الاستنزاف النفسي الكامل.

حسني الإتلاتي: «قطار بضائع محدود الحركة»
دار حروف الفارس، القاهرة 2026
115 صفحة.

> نطالع في هذه المجموعة ذاتاً شاعرة تنوء بحمولة من التجارب والذكريات، لكنها لا تعيق انطلاقها، وهي تمضي في رصد العقبات المزمنة التي باتت كالقدر في ارتباطها بالماضي والحاضر.

المقال

عبدالباسط سيدا

معاناة اللاجئين في الفردوس الغربي: السويد مثالاً

هناك توجه عام في غالبية الدول الغربية للتشدد في سياسات استقبال اللاجئين والمهاجرين، ومنح الإقامات الدائمة والجنسية. فقد كانت هذه الدول مقصداً لأولئك الناس الذين أجبرتهم ظروف بلادهم على مغادرتها، والبحث عن فرصة في بلاد تتقدّم من الملاحقات والقمع والقتل والتشرد، وتفسح المجال أمامهم لحياة جديدة، تضمن لهم ولأسرهم الحد الأدنى الممكن من شروط العيش الكريم، والتعليم، والصحة.

وهناك جملة أسباب تضافرت في ما بينها، وأدّت إلى هذا التحول، حتى لدى بعض القوى السياسية التي عُرفت بتساهلها مع ملف اللاجئين، وتعاطفها الإنساني معهم؛ ويُشار هنا إلى الاشتراكيين الديمقراطيين والأحزاب الليبرالية، وحتى قسم من أحزاب الوسط. وفي مقدمة الأسباب المعنية هنا: تنامي التيارات العنصرية والقومية المتطرفة، والنزعات الوطنية المتشددة، بفعل تأثير واضح من جانب الشككين في سلامة سياسات العولمة التي اعتمدتها هذه الدول في العقود الأخيرة. فقد كانت تلك السياسات، وفق ما يذهب إليه هؤلاء، لصلحة الصين التي تمكنت من الاستفادة من التكنولوجيا الغربية بصورة شبه مجانية؛ ووجدت الأسواق الغربية، سواء في الولايات المتحدة أو في أوروبا، مفتوحة أمامها؛ الأمر الذي شجعها على العمل لمدّ نفوذها الاقتصادي نحو أفريقيا وآسيا، والتفكير في تعزيز مكانتها في منطقة جنوب شرق آسيا. وكل ذلك يمثّل تهديداً للمستقبل الحضارة الغربية وفق منظور القوى اليمينية المتطرفة الغربية، بل تهديداً لحضارة العرق الأبيض وفق أكثر تلك القوى تشدداً وعنصرية.

كما أن الثورة التكنولوجية المعاصرة، خاصة في مرحلة انتعاش الذكاء الاصطناعي، قد مكّنت تلك الدول من الاستغناء عن أعداد كبيرة من الأيدي العاملة في مختلف الميادين الاقتصادية، وحتى الإدارية الوظيفية. وهذا ما قلّص دائرة الحاجة إلى الأيدي العاملة الوافدة.

بالإضافة إلى ذلك، أدّت إخفاقات سياسات الاندماج، التي كان الهدف منها استيعاب اللاجئين ضمن المجتمع على الصعيدين المجتمعي والثقافي، وذلك لأسباب متعددة منها ما تخص الحكومات (الإخفاق في توسيع توزيع اللاجئين بين البلديات والمناطق السكنية ضمن المدن، والتقصير في ميدان التعليم والتدريب المهني، والاكتفاء بأرقام الإحصائيات المضللة التي تحجب الواقع الحقيقي)؛ وأسباب أخرى تخص اللاجئين (عدم بذل الجهود المطلوبة لإتقان اللغة والتحصيل العلمي، والانغلاق ضمن المجتمعات الموازية، وممارسة النشاطات الاقتصادية بعيداً عن القوانين المعتمدة، وفرض قيم وثقافة المجتمع الأم على الأطفال في المجتمع الجديد)؛ إلى تراكم الكثير من السلبيات من أهمها: التفكك الأسري، وهيمنة البطالة، وانتشار الجريمة في أوساط اللاجئين؛ وارتفاع منسوب النزعات العنصرية في مواجهة اللاجئين؛ وهذا ما يتمظهر في سياسات بعض الأحزاب والحركات اليمينية المتشددة.

وكل ذلك دفع بالحكومات الأوروبية، بعد أن تحولت قضية اللاجئين إلى مسألة تؤثر على نتائج الانتخابات، إلى التفكير في اعتماد جملة تدابير قانونية قاسية تثير الكثير من النقاش والجدل في أوساط الرأي العام، وذلك بهدف التضييق على اللاجئين والضغط على الذين ينتظرون منهم الحصول على الإقامة، ودفعهم نحو الخروج من البلد؛ وإعطاء رسالة في الوقت ذاته لمن يفكرون في المجيء مفادها: انه من شبه المتعذر الحصول على الإقامة، والبقاء، وبالتناغم مع هذه السياسات والتوجهات الأوروبية؛ تُناقش حالياً جملة تدابير بين مختلف الأحزاب في البرلمان السويدي منها: التفكير في إمكانية سحب الإقامات الدائمة (لا تمنح حالياً) من الذين قد حصلوا عليها في السابق؛ على أن يمنحوا بدلاً عنها إقامات مؤقتة، يمكن سحبها في أي وقت حينما تنتفي الأسباب. والإقامة المؤقتة لا تعطي صاحبها، وفق القوانين السويدية، الحق بالحصول على الجنسية مهما بلغت مدة إقامته في البلاد. والآن هناك مشروع ينص على رفع السقف الزمني المطلوب بالنسبة للحاصل على الإقامة الدائمة، حتى يتسنى له التقدم بطلب الجنسية (المدة الحالية خمسة أعوام أما المقترحة فهي ثمانية أعوام)؛ مع إضافة شروط أصعب تخص مستوى الدخل، والسجل العدلي، وغير ذلك.

وفي السياق ذاته، هناك مشروع مطروح من قبل الحكومة، يناقش من قبل مختلف الأحزاب السويدية ويدعو إلى سحب الجنسية من الذين يرتكبون جرائم أو مخالفات مالية كبيرة تصل عقوبتها إلى السجن أربع سنوات؛ وهناك توجسات من أن هذا المشروع قد يفسح المجال مستقبلاً، إذا ما أقره البرلمان وأصبح قانوناً، أمام التلاعب بتفسير هذا القانون، أو توسيع دائرة شموله.

ولكن النقاش الأكثر حدة بين مختلف الأحزاب في البرلمان السويدي هذه الأيام بخصوص قضايا اللاجئين، هو الذي يتركّز حول القرار الخاص بترحيل اليافعين الذين وصلوا إلى السويد برفقة ذويهم كلاجئين، وأكملوا عامهم الـ 18 في السويد، وذلك بحجة أنهم قد أصبحوا بالغين، ولم يعودوا مرافقين لوالديهم، وليست لديهم الأسباب الموجبة التي تبيح لهم التقدم بطلب اللجوء في السويد؛ لذلك عليهم الخروج من البلد. هذا مع العلم أن معظم هؤلاء قد اندمجوا في المجتمع وأتقنوا اللغة السويدية، وهم يتابعون تعليمهم في المدارس والمعاهد. ونتيجة الإجراحات الكثيرة التي رافقت عمليات تطبيق هذا القانون في حالات كثيرة، اعترف حزب ديمقراطي السويد اليميني المتشدد نفسه (صاحب الفكرة) بضرورة البحث عن مخرج، وهو الأمر الذي لم يتم حتى الآن؛ كما تراجع الحزب الاشتراكي الديمقراطي عن موقفه السابق الذي كان مؤيداً لهذا الإجراء.

وفي سياق تشجيع اللاجئين الحاصلين على الإقامات الخاصة بالحماية، تم رفع سقف المساعدة المالية التي من المفروض أن تمنح للشخص البالغ الراغب في العودة إلى بلاده أو السفر إلى بلد آخر إلى 35 ألف دولار تقريباً؛ وللأسرة إلى حدود 60 ألف دولار؛ وهو مبلغ كبير مقارنة بالمبالغ التي كانت تمنح سابقاً للراغبين في العودة. ولكن المشكلة أنه حتى الآن لم يسجل حصول أي من الذين تقدموا بطلبات العودة على المبلغ المذكور، رغم أنهم أجروا المقابلات، وأجابوا على أسئلة المسؤولين المعنيين في دائرة الهجرة؛ الأمر الذي يثير الكثير من التساؤلات حول مدى جدّية السلطات في مساعدتهم، وبشأن إمكانية استغلال إجاباتهم لصالح سياسات اليمين الحاكم الخاضع إلى حد بعيد لشروط وسياسات حزب ديمقراطي السويد المعروف برفضه المطلق لموضوع استقبال السويد اللاجئين، وسعيه المستمر لخفض عدد اللاجئين إلى أدنى حد ممكن. وقد تمكن من تحقيق ذلك بالفعل، إذ تحت أرقام الإحصائيات أن عدد طالبي اللجوء في السويد قد انخفض خلال عام 2025 إلى ما دون 7 آلاف شخص، وهو المستوى الذي عرفته السويد قبل أربعين عاماً (عام 1985).

ومن الملاحظ أن سياسات الهجرة الخاصة بموضوع اللاجئين قد باتت موضوعاً حيوياً يشغل الرأي العام في السويد هذه الأيام، وذلك في أجواء تصاعد الحملات الانتخابية البرلمانية التي ستجرى في منتصف شهر أيلول/سبتمبر القادم. وهي انتخابات مفصلية بالنسبة لليمين الحاكم، وكذلك بالنسبة للتحالف الاشتراكي الليبرالي اليساري المعارض. ونظراً لحساسية هذه القضية، يلاحظ أن الحزب الاشتراكي الديمقراطي (أكبر الأحزاب السويدية) يقترب هو الآخر من سياسات حزب ديمقراطي السويد (ترتيبه هو الثاني حالياً). أما الهدف فهو التنافس على الجمهور المشترك بينهما الذي يتأثر كثيراً بالدعاية الانتخابية التي يمارسها هذا الأخير بخصوص موضوع اللاجئين.

من جهة أخرى، يثير هذا الموضوع في الوقت ذاته انتقادات حادة من جانب اليساريين والليبراليين والحقوقيين والمثقفين والصحافيين. وهناك من يربط بين هذا الموضوع وظاهرة الإسلاموفوبيا التي تسبّبت في تكريسها العمليات الإرهابية التي تعرضت لها العديد من الدول الأوروبية، وهي العمليات التي تبنتها جماعات إسلاموية متطرفة؛ هذا إلى جانب نشاطات وتصريحات بعض المنظمات والقوى الإسلاموية المتشددة سواء في السويد أم غيرها من الدول الأوروبية. وهي مسائل تُستغل من قبل اليمين السويدي المتطرف، والقوى اليمينية المتطرفة في مجمل دول الاتحاد الأوروبي بأشكال مختلفة، وهي القوى التي ترى في المهاجرين القادمين من الدول الإسلامية تهديداً مستقبلياً لهويتها، وهي تتوافق بذلك مع وجهة نظر ترامب في هذا المجال.

وضمن إطار الاحتجاجات على سياسات الحكومة السويدية اليمينية الخاصة بترحيل اليافعين، قدّم لودفيغ بيكمان، أستاذ العلوم السياسية بجامعة ستوكهولم، استقالته من مجلس القيم الأخلاقية التابع لدائرة الهجرة الذي كان عضوا فيه منذ عام 2019؛ وذلك احتجاجاً على التجاوزات غير المقبولة من جانب دائرة الهجرة مع ملفات اليافعين.

والجدير بالذكر في هذا السياق أن سياسات وتصريحات الرئيس الأمريكي دونالد ترامب السلبية العلنية بشأن مسألة اللاجئين والمهاجرين في الولايات المتحدة، بالإضافة إلى انتقاداته الحادة لسياسات الدول الأوروبية، ومن بينها السويد، في ميدان اللجوء والهجرة، وإشادته بجهود القوى اليمينية الرامية إلى الحد من أعداد اللاجئين؛ قد أعطت دفعا قويا لسياسات الأحزاب اليمينية المتطرفة على مستوى القارة. هذه الأحزاب التي لم تعد تعاني من أي حرج أخلاقي أو إنساني في الإفصاح عن عدم ترحيبها باللاجئين، وتعمل على إخراجهم من البلاد بمختلف الأساليب، وهي تتفاخر بذلك.

بقي أن نقول: إن الحل الأمثل المستدام لمعالجة قضية اللجوء هو تشجيع الاستقرار والتنمية، في البلدان التي تعاني من الاستبداد والفساد والفقر في آسيا وأفريقيا وأمريكيا اللاتينية، ومساعدة شعوب تلك البلدان في بناء أنظمة سياسية توجهاتها ديمقراطية، تمتلك خططاً واضحة مقنعة لمناهضة الفساد والاستبداد، وضمان مقومات العيش الكريم للمواطنين. أما أن تظل تلك الشعوب محكومة بأنظمة مستبدة فاسدة، تحظى بدعم القوى الإقليمية والدولية التي توجهها مصالحها العارية، فهذا مؤداه استمرارية الأزمات الإنسانية في تلك المناطق، والمزيد من اللاجئين.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

طلب المساعدة

كاريكاتير: محمد سباعنة

منصف الوهايبي

بغداد «تحت جداريّة فائق حسن»:

من «جداريّة تكعيبيّة» إلى «جداريّة شعريّة»

أحببت دائما أن أقرأ بغداد في نصوص مبدعيها من شعراء وكتّاب ورسّامين، دون غيرهم؛ لأنّهم «الأصدق» والأقرب إلى «روح الشعب».. نصوص ولوحات ترتّب الضوء، حتّى يلامس أحداقنا، وتجعله أصفى.. وفي هذا المقال اتّخذ من قصيدة سعدي يوسف الشهيرة «تحت جداريّة فائق حسن» موضوعا، أحاول أن أنيره بطريقتي. امّا من حيث التصنيف، فلا بدّ من الإقرار بصعوبة مقاربة الرسم بالشعر، فمكوّنات الشعر ليست من آثر الزمن المرئي والخطوط والضوء، على حين أنّ القصيدة ليس لها سوى أن تستدعي هذه المؤثّرات بواسطة الصور؛ وهي تجري في الزمان، واللغة زمان؛ وتدرك بالقوّة العاقلة. وواضح أنّ «جداريّة فائق حسن» الرسّام العراقي، في ساحة الطيران في بغداد أي في الهواء الطلق، «رسم جداريّ» ضخم حامله «الفنّ الحضري» ويمكن أن يكون عماده جدارا داخليّا أو قبوا أو سقفا.

هذه القصيدة «تحت جداريّة فائق حسن» هي من حيث دلالتها الأعمق، قراءة شعريّة في عمل فنّي شهير، تنطوي على تأمّل في وظيفة الفنّ والفنّان معا، في سياق الحركة الفنّيّة الفكريّة «الملتزمة» التي ينتمي إليها فائق حسن وسعدي يوسف؛ وليست مجرّد استلهام للرسم.

ولنا أن نتنبّه في ما يأتي ضوء كل من القصيدة والجداريّة، أوّل ما نلاحظه أنّ العمل الشعري عند سعدي يتولّد في الحركة وبها: استعارة الطيران التي تجمع بين التوازي والتناقض: «تطير الحمامات في ساحة الطيران. ارتفعنا معا.. في سماء الحمائم/ قلنا لسعف النخيل ولِلسنبل الرطب/ هذا أوان الدموع التي تضحك الشمس فيها، وهذا/ أوانُ الرحيل إلى المدن الفاضلة».

وهذا «الطيران» يتشكّل في صورة استعاريّة أساسها وحدة عميقة من صيغة الجمع بين «الحمَامَات» و«نحن»، وبين «طار» و«ارتفع». وهو توازٍ من جهة بين الحيوان والإنسان وتضادّ من جهة أخرى، فالطيران هو حركةٌ ذي الجَناح في الهواء بِجَنَاحِه، فيما الارتفاع من الرُّفْعْ: ضدّ الوَضْع، رَفَعْتُه فارْتَفَع، فهو نَقيض الخَفْض في كل شيء.. ارْتَفَعَ الشيءُ ارْتِفاعاً بنفسه إذا عَلا.

لكنّ النصّ لا يُختزل في هذه الثنائيّة «خافضة رافعة»، وإنّما هو يتولّد منها في حركة دائبة من «الطيران» و«الخفض»؛ تحط هذا «الجمع» عن مراتب، وترفعه إليها؛ شريطة أن لا نحمل «الخفض» على المعنى المبذول: ليس العيش وسعته وطيبه، وإنّما على معنى حياة «الرصيف» ورمزيّته الاجتماعيّة: «الطبقة الكادحة» أو «طبقة العمّال» أو «المهمّشون»، وللرصيف أيضا كمن رمز، وهو المماثل لحركاتنا أو تنقّلاتنا في مجتمعاتنا، وإن بـ«حميميّة» ما. وهو أيضا يرمز إلى الحدود المفروضة على المشاة أثناء التنقّل عليه، وهي ليست سوى القيود الاجتماعيّة.

لنقل هو كناية عن المدينة بشكل عامّ، وعن أنماط الحياة فيها، وللكلمة في الفرنسيّة معان حافّة، فهي غالبا ما ترتبط بالبغاء، وحياة الشوارع والتسوّل، وقذارة الوالوعات؛ فضلا عن معنى آخر قائم بذاته مثل «المَخبّ» وهو المكان الذي تدرّب فيه الأفراس على الخبب. ولذا يؤثر البعض استعمال مصطلح «الفضاء العامّ»؛ وهو ليس «الرصيف»، إذ يشمل أيضًا الطريق والساحات والمساحات الخضراء؛ ويرمز إلى قيم المواطنة. امّا في لسان العرب فالرصيف من رَصَفَ الحجرَ أي بناه فوَصَل بعضه ببعض. والرَّصْفُ: الحجارة المُتراصفة. ثمّ اكتسبت الكلمة الدلالة الجديدة: المكان المخصّص للمشاة، المرتفع قليلا على جانبيْ الطريق؛ لكن دون تلك المعاني الحافّة التي تميّز الكلمة الفرنسيّة، ما عدا ما نقف عليه عند شعراء الحداثة العربيّة، كالقصيدة التي نحن بها: «...تطير الحماماتُ في ساحة الطيران. البنادقُ تتبعها/ وتطير الحماماتُ. تسقط دافئة فوق أذرع من جلسوا/ في الرصيف يبيعون أذرعهمْ...».

والدالّ «رصيف» عديل للدّالّ «جدار» في القصيدة. ولا يخفى أنّ كلمة «جدار» التي تتردّد في القصيدة، إنّما قادحها «الجداريّة»؛ وهو ما يضفي عليها وجودًا لغويًا قويًا، خاصّة أنّ الجَدر «جدر» في العربيّة يتّسع في الأسماء المشتقّة منه أو «السائلة» مقارنة بالأسماء «الجامدة»، لأكثر من معنى، فمثلما هو للحائط عامّة أو الحائط المجرّد، هو أيضا للبَيْت والشجر، عندما تطلع رؤوسه في أوّل الربيع. وهذا يجعله بمثابة «مولّد صوتي» أو إيقاعيّ يصل النصّ بالمرئي «الجداريّة»؛ ويحوك خيوط الضوء بينهما من حيث البناء في مستوى العناصر المكانيّة عند فائق حسن؛ إذ اختزلناها عند سعدي في مقتضى خطّة «هندسيّة» و«رياضيّة» محكمة، وعند سعدي أيضا، لكن بوسائط لغويّة. وكلّ منهما «يُطعّم» عمله بتجارب الرسم والتصوير المعاصرة. فليس بالمستغرب أن يتعمّد الجدار في القصيدة، حتّى وأن أداره الشاعر على صيغة المفرد لا الجمع، فهو جدران: جدار الحمائم المنشود، وهو عديل الشجرة والغصون والمطمْئنة والسلام، أي ملاذها الذي لا تبلغ منه البنادق، والجدار الذي ينته سواعد الكادحين، وجعلت منه بيتا وغصنا، فهو ينزّ دما «أسود» أي هو جدار من لحم هؤلاء، والجدار الذي اتّخذوه وهم أطفال صغار سَدًا، وناموا تحته يكابدون الحرقة والهمّ. وهذه ثلاثة جدران تناسب أزهار الوطن الثلاث: زهرة القتيل، وزهرة طفل القتيل، وزهرة «المقيمين» «المهمّشين» تحت الجدار.

فكلّ جدار في النصّ جدار مضاعف أو هو صورة من جدار، وهو ملاذ مثلما هو سجن، مثلما هو انعتاق وعقبة وحاجز، بما يُكسبه قيمة رمزيّة. وقد يرى القارئ غير هذه الثنائيّات، بل قد يحمل الضوء الذي يجري بين القصيدة والجداريّة، على معنى «التجاذب السالب»؛ فعلى قدر ما تبدو «الجداريّة» المحكومة بـ«نسق الحرّيّة» بقطعها المفتوح، أمسّ بالسياسة أو بالموقف السياسي منه بـ«الجداريّة» فنّا. على أنّ الجدار، يمكن أن يُكتنَه في علاقته بالباب/ المتاه الذي لا يؤدّي إلى أيّ مكان. ولعلّ مباشرته من منظور «العدول الدلالي» ما دامت القصيدة مثلها مثل الجداريّة، تقول شيئا وتومئ إلى شيء، هو الذي يقع في مركز العلاقة بين الشعر والرسم؛ ويقدح نوعا من «التوتّر» في بنية القصيدة، وهي تأخذ بـ«لغتين» إحداهما منشدّة إلى المرئي، والأخرى إلى السردي والمسموع معا؛ من أجل إنشاء معنى لا تقوله الجداريّة.

كان آخر عهدي ببغداد عام 1989، ولا أدري ما فعل الزمان بجداريّة فائق حسن... لكن مهما يكنْ فجداريّة سعدي شاهد لها... ولبغداد... وعليها..

كاتب من تونس

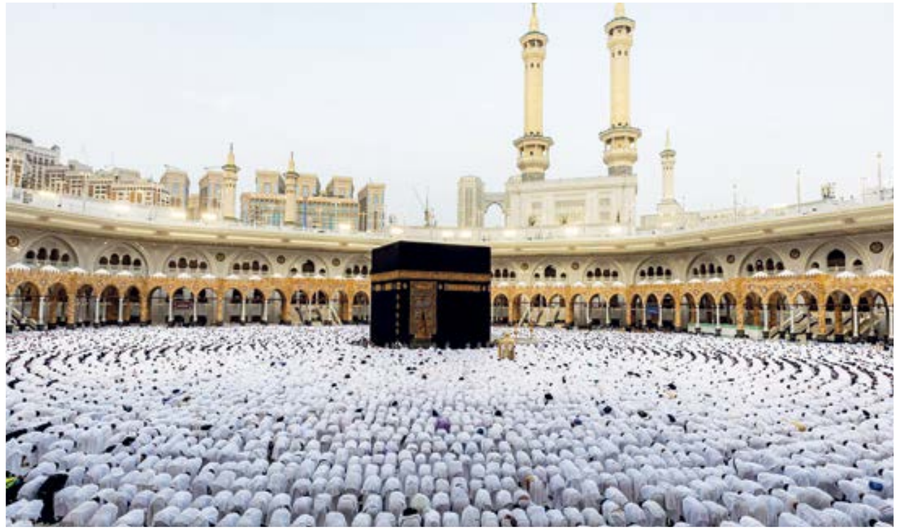

عيد فطر حزين في فلسطين

بقيت فرحة احتفال المسلمين في فلسطين الجمعة بعيد الفطر ناقصة، إذ شابَتها غصّة استحالة الصلاة في المسجد الأقصى الذي ظلّت مداخله مغلقة، منذ بداية الحرب مع إيران.

وحاول عدد من المصلين الصلاة أمام أسوار البلدة القديمة، تحت أنظار عناصر شرطة الاحتلال الذين لم يترددوا عن إبعادهم بالركلات والصفعات، وباستخدام القنابل المسيلة للدموع.

ولدى بزوغ فجر أول أيام العيد الجمعة، توافد المصلون إلى المكان في مجموعات صغيرة من مختلف الأعمار، يحمل بعضهم سجادات الصلاة، وحاولوا الاقتراب من الأبواب وهم يرددون هتافات التكبير والشهادة.

أداب وفنون

المثقف العربي المشتبك: من برج اللغة إلى قلب العاصفة

إياد شماسنة

في زمنٍ عربيّ تتزاحم فيه الحروب مع التهجير، والانهيارات مع الخيبات، والبروباغندا مع تآكل الحقيقة، لم يعد النظر إلى المثقف أو الأديب ممكناً بوصفه كائناً يقيم في برجٍ لغويّ بعيد، أو شاهداً محايداً يراقب الخراب من خلف زجاجٍ نظيف. فالأزمنة المزلقة لا تحتاج إلى كاتب يصف المأساة ويدوّن تفاصيلها، بل إلى من يشتبك معها: يفهمها، ويكشف آلياتها، ويسمّيها بأسمائها، ويقاومها بما يملك من معرفة وخيال ونزاهة وحسّ أخلاقي وثبات انفعالي. ومن هنا تبرز صورة المثقف العربي المشتبك، بوصفه ضميراً نقدياً يكتب من قلب الأسئلة الكبرى: الحرية، والعدالة، والكرامة، والهوية، والذاكرة، والسلطة، والمعنى.

لا يُقاس هذا المثقف بعلوّ صوته وحجم قاموس شتائمه، بل بقدرته على تعميق الفهم وسط الضّجيج. فهو يرى الكتابة فعلَ كشف ومقاومة، لا زينةً لغوية أو وجاهةً ثقافية، ويتعامل مع الاحتلال والاستبداد والفقر والطائفية بوصفها قوى تصوغ مصير الناس، أكثر من كونها مجرّد موضوعات للكتابة. لذلك يصبح الحياد، في أزمنة الخراب، أقربَ إلى تواطؤ قليلِ التهذيب أو رفاهٍ أخلاقيٍّ يمقته المقهورون..

الاشتباك ليس اشتباكا أيديولوجيا

لكن الاشتباك لا يعني الهتاف، ولا التحول إلى بوق أيديولوجي، ولا نشر شعارات رنانة تنتفخ لفظيا وتفلس معرفيا. الاشتباك الحقيقي حساسية نقدية تقاوم التبسيط والتزوير معاً. فالمثقف المشتبك يسائل الجميع، بما في ذلك نفسه، ويعرف أن الحقيقة أعقد من الهتاف، وأن الثقافة تبدأ من السؤال والتفكيك والنقد.

أما المثقف المؤدلج، فيستبدل التفكير بالتردید، والتحليل بالاصطفاف، والمعرفة بيقين مغلق. إنه لا يقرأ الواقع، بل يفرض عليه قوالبه الجاهزة. ولا يشتبك مع المأساة، بل يستهلكها لصالح خطابه. وهنا تتجلى إحدى فضائح المشهد العربي: كثرة من يتكلمون باسم القضايا الكبرى وهم في الحقيقة يقتاتون عليها، يجمّلون عجزهم بالشعار، ويخفون كسلهم الفكري وراء صرامة لغوية كاذبة. إنهم لا يدافعون عن الحقيقة، بل عن مواقعهم داخل سوق المزايدة.

وقد عرفت الثقافة العربية الحديثة صوراً متعددة للمثقف، لكن صورة المثقف المشتبك تبدو اليوم الأكثر إلحاحاً؛ لأن المثقف العربي لم يعد يواجه سلطة سياسية أو أمنية فقط، بل يواجه أيضاً ضغط السوق والجمهور والجماعة والقبيلة والخوارزمية وكاميرات المراقبة والخوف. إنه محاصر من الخارج بالرقابة، ومن الداخل بإغراءات التكيّف، ومن الأعلى بسقف المؤسسة، ومن الأسفل بابتزاز القطيع.

وقد يُدفع إلى الصمت أو المسايرة حفاظاً على موقعه أو جمهوره أو رزقه أو سمعته. وقد يُغرى بالتخفف من الحقيقة كي لا يخسر التصفيق. لذلك يغدو الحفاظ على الاستقلال المعرفي والأخلاقي فعلاً شاقاً، لكنه يظل شرطاً لأي كتابة حقيقية. فالاستقلال لا يعني العزلة ولا التعالي، بل القدرة على البقاء داخل المجتمع دون الذوبان في أمراضه، والقرب من الناس من دون السقوط في الابتذال العاطفي.

هنا تتجلى أزمة المثقف العربي المعاصر في الزمن المزلق. فزمن المنصات يكافئ من يختصر ويثير أكثر مما يفسر. لقد صارت الفكرة تُقاس بانتشارها لا بقدرتها على التغيير، ويُقاس الرأي بعدد التفاعلات لا بدرجة صدقه وقيمته العلمية والفكرية. ولذلك يواجه المثقف إغراءً دائماً بالتخلي عن التعقيد لصالح اللمعان، وعن الحفر المعرفي لصالح العبارة الجاهزة، وعن الموقف المركب لصالح الاستقطاب السريع.

المشكلة أن كثيرين ممن يقدَّمون بوصفهم مثقفين استسلموا لهذا المنطق، فصاروا يكتبون كي يلمعوا لا كي يوضحوا، وكي ينتشروا لا كي يُفهموا. وهكذا تحولت الثقافة عند بعضهم إلى أداء استعراضي، وإلى هوية زائفة، وإلى حرفة علاقات عامة مغسولة بمفردات الحرية أو المقاومة أو الإنسان. وهذا انحطاط لا يقل خطورة عن الرقابة نفسها؛ لأن الرقابة تمنع الكلمة، أما السوق فيفرغها من معناها ثم يعرضها بكامل زينتها للبيع.

في السياق العربي، تتضاعف أهمية الاشتباك لأن الأزمة أزمة معنى ووجود وليست مجرد أزمة سياسية فقط، بل إن كثيراً من الكلمات الكبرى أنهكت، إمّا بكثرة الاستهلاك، أو بسوء التوظيف، أو بتفريغها من مضمونها. فالحرية صارت تُقدَّم بوصفها فوضى، والوطن بوصفه أداة تخوين، والمقاومة بوصفها احتكاراً رمزياً، والإصلاح بوصفه غطاءً لإعادة إنتاج الخلل نفسه. ومن هنا تبرز تحديات وظيفة المثقف المشتبك: أن يستعيد المفاهيم من الابتذال والتزييف، ويعيد وصلها بحياة الناس وتجاربهم الفعلية، لأن الثقافة، في أحد وجوهها الأساسية، معركة على المعنى وسلامة اللغة والوعي.

كما أن المثقف المشتبك يواجه العطب الداخلي أيضاً بالإضافة إلى مواجهة السلطة أو الاحتلال أو الهيمنة، بل يواجه كل ما يعيد المجتمع إنتاجه في لغته وسلوكه ومرجعياته. فالطائفية، والذكورية، والعنصرية، وعبادة الزعيم، واحتقار المعرفة، والتسامح مع الكذب حين يخدم «معسكرنا»، كلها انحرافات لا يجوز تبريرها أو الصمت عنها. لذلك لا تكون النزاهة الثقافية حقيقية إلا إذا شملت نقد الداخل كما تشمل نقد الخارج.

ومع ذلك، فإن هذا النقد لا ينبغي أن ينقلب إلى استعلاء على المجتمع، أو إلى ازدراء للناس، أو إلى لعب دور القاضي المتفوق أخلاقياً. فالمثقف ليس وصياً على المجتمع، ولا مالكاً للحقيقة المطلقة. إن دوره الأعمق هو أن يساعد المجتمع على رؤية ما يُراد إخفاؤه عنه، وعلى مقاومة ما يُراد تطبيعه في حياته ووعيه. والمثقف المشتبك لا يتكلم بدلاً عن الناس، بل يوسّع مساحة سماعهم وتمثيلهم، ويصغي إلى تجاربهم الملموسة، ويحوّل الألم الفردي إلى سؤال عام.

ولهذا فإن حسن النية لا يكفي. فالقضايا الكبرى لا يحسمها الانفعال وحده. لا بد من الكفاءة المعرفية، والعدة النقدية، والاطلاع العميق على التاريخ والاقتصاد والقانون وعلم الاجتماع وآليات الإعلام. لأن الظلم اليوم لا يعمل بصوره القديمة وحدها، بل يتخفى أيضاً في الخوارزمية، وفي اللغة الدبلوماسية، وفي انتقاء البيانات، وفي صناعة السردية. والمثقف الذي لا يطوّر أدواته يظل معرضاً لأن يكون صادق النية، لكن ضعيف التأثير.

المعرفة بوصفها عدة اشتباك

ومن المهام المركزية للمثقف العربي المشتبك أيضاً حماية الذاكرة من التبديد. فالمنطقة العربية تعيش منذ عقود تحت ضغط النسيان المنظم: محوٌ للأرشيف، وتزويرٌ للروايات، وإعادة صياغة للتاريخ، وإغراقٌ للحاضر في العاجل حتى يفقد صلته بالجذور. وفي مثل هذا السياق، تصبح الكتابة فعل مقاومة وممانعة، وجزءا أصيلا من الصراع على الشرعية والحق والاعتراف والمعنى.

كما أن المثقف المشتبك لا يعمل وحيداً. إنه جزء من شبكة أوسع من الفاعلين في المجال العام: الصحافي، والمحامي، والمؤرخ، والمعلم، والفنان، والمترجم، والباحث، وأمين الأرشيف. غير أن خصوصيته تكمن في قدرته على الجمع بين التفسير والتمثيل، بين الفكرة واللغة، بين الوثيقة والوجدان، بين الشهادة والتخييل. ولهذا تبقى للأديب والمفكر وظيفة لا يمكن الاستغناء عنها: أن يردّ للإنسان تعقيده في زمن التبسيط، وأن يحمي المعنى من الابتذال.

في لحظة عربية يطغى عليها الإحباط، قد يبدو أن الحديث عن المثقف المشتبك رفاهٌ نظري. لكن الحقيقة أن المجتمعات لا تنهار فقط حين تُهزم سياسياً أو اقتصادياً، بل تنهار أيضاً حين تفقد قدرتها على التفكير النقدي، وحين تستسلم للروايات الجاهزة، وحين تتحول اللغة من أداة كشف إلى أداة تخدير. يصبح وجود المثقف العربي المشتبك ضرورة عامة، لا مطلباً ثقافياً خاصاً.

إن المثقف العربي المشتبك هو من يكتب والقضية في قلبه ولو كانت روحه على كفه، لكن من دون أن يخنق السردية باسم القضية؛ هو من ينحاز للعدالة، لكن من دون أن يفرّط في الحقيقة؛ ومن يشارك الناس خوفهم وجرحهم، لكن من دون أن يتحول إلى صدى للغضب. وهو، في أفضل صوره، يفهم أن الكلمة ليست تعليقاً ساخراً على العالم فقط، بل تدخل فيه وإعادة ترتيب له ومقاومةٌ لتشوّهه.

ولعل القمع الخارجيّ وحده ليس أخطر ما يهدد المثقف العربي اليوم، بل التعب الداخلي أيضاً: تعب التكرار، وتعب اليأس، وتعب الشعور بأن الكلمات فقدت قدرتها على التأثير. غير أن وظيفة المثقف المشتبك تبدأ من مقاومة هذا اليأس. فالكلمات لا تغيّر العالم دفعة واحدة، لكنها تغيّر شروط فهمه وتفتح باباً في تجاربه الاستسلام.

ولهذا كله، فإن الدفاع عن المثقف العربي المشتبك ليس دفاعاً عن نخبة تبحث عن امتيازها الرمزي، بل دفاعٌ عن حق المجتمع نفسه في أن يفهم نفسه بعمق، وأن يحاسب قواه، وأن يحمي ذاكرته، وأن يقاوم من يريد اختزاله إلى جمهور أو أرقام أو كتلة موجّهة. فالأديب والمفكر المشتبك عاملٌ حيوي في ترميم الوعي، وشاهدٌ على الجرح، وحارسٌ للمعنى.

يمكن للثقافة أن تتآكل وأن تفاوض العالم من مسافة في الأزمنة العادية. أما في الأزمنة الجارحة، فإن الثقافة تُختبر من داخل قدرتها على أن تبقى أمينةً للإنسان. وتتحدد قيمة المثقف العربي المشتبك في أنه يرفض أن يتحول إلى شاهد زور؛ يملك شجاعة المراجعة، وينزل إلى جراح الناس من بدون أن يستثمرها.

المثقف العربي المشتبك، إذن، ليس ترفاً، ولا صورة رومانسية من ماض ثقافي قد انقضى، بل حاجة حيوية تفرضها طبيعة اللّحظة نفسها. ففي عالم يتوسع فيه التزييف، ويتعاظم فيه التمزيق وتزداد فيه هَشاشة المعنى، وتُعاد فيه صياغة الإنسان باعتباره رقماً أو تابعاً أو مادةً دعائية، تصبح الكتابة الصادقة فعل مقاومة، ويصبح التفكير النقدي شكلاً من أشكال الدفاع عن الكرامة العامة.

ومن هنا فإن من يكتب في ساحة النار، لا يدافع عن الثقافة وحدها، بل يدافع عن حق المجتمع في ألا يُترك أعمى وسط الدخان.

معرض رسل قرطاج: عالم من الصمت والتأمل حيث تتجلى الروح عبر اللون والمادة

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

يجتمع إثنا عشر فنانا تشكيليا تونسيا في تجربة فنية لافتة تحت عنوان "رُسل فن قرطاج الإثنا عشر لقرطاج". ويتعلق الأمر بمعرض تشكيلي تحتضنه هذه الأيام قاعة صلاح الدين بسيدي بوسعيد بضواحي العاصمة تونس.

منذ الوهلة الأولى يلفت العنوان الانتباه بما يحمله من دلالات رمزية وثقافية، إذ يستحضر موروثا مسيحيا روحيا عريقا يتمثل في صورة الرسل الإثني عشر، أولئك الذين حملوا رسالة وبشّروا بها. غير أن الرسل هنا ليسوا دعاة عقيدة أو خطباء منابر، بل هم فنانون جعلوا من اللون والشكل والمادة والضوء أدوات لرسالة جمالية وإنسانية مختلفة.

خطاب بصري

ويبدو هذا العنوان للوهلة الأولى جريئاً ومجازيا، لكنة يفتح في الحقيقة بابا واسعاً للتأمل في العلاقة بين الفن والروحانية، وبين الإبداع والتجربة الإنسانية العميقة. فالفنان، في كثير من الأحيان، يشبه الرسول في مهمته الرمزية، فهو يحمل رؤية ويترجمها إلى لغة يفهمها الآخرون، حتى وإن كانت هذه اللغة غير لفظية. وهكذا يتحول العمل الفني إلى خطاب بصري يتجاوز الكلمات، ويصبح اللون بديلاً عن العبارة، والخط بديلاً عن الجملة، والضوء بديلاً عن المعنى المباشر.

في تقديمه للمعرض، يشير جمال شوقي المهداوي إلى أن هؤلاء الفنانين «لا يعظون بالكلمة، بل باللون والشكل والمادة والضوء». وهي عبارة تختصر فلسفة هذا اللقاء الفني الذي يجمع بين تجارب مختلفة، لكنها تتقاطع جميعا في البحث عن جوهر الجمال في محاولة للامسة أعماق النفس الإنسانية. فالفن هنا لا يهدف إلى الزخرفة أو المتعة البصرية فحسب، بل يسعى أيضاً إلى فتح نوافذ للتأمل وإثارة الأسئلة حول الإنسان والعالم.

ولعل أول ما يميز هذا المعرض هو الجو العام الذي يلفه. فبمجرد دخول قاعة العرض يشعر الزائر بأنه ينتقل من صخب العالم الخارجي إلى فضاء آخر أكثر هدوءاً وتأملا. موسيقى هادئة تنساب في الخلفية، واللوحات والمنحوتات موزعة بعناية في الفضاء، وكأن كل عمل منها يشغل موقعه في حوار صامت مع بقية الأعمال. هذا الترتيب لا يخلق فقط تجربة بصرية، بل يخلق أيضاً تجربة حسية وروحية تجعل الزائر يتوقف أمام الأعمال ويتأملها ببطء.

في هذا السياق، يستحضر المهداوي مقولة الرسام السويسري الألماني بول كلي: «الفن لا يعيد إنتاج المرئي، بل يجعل المرئي مرئيًا». وهي مقولة تعبر بدقة عن جوهر التجربة الفنية التي يقدمها هذا المعرض. فالفنان لا يكتفي بنقل الواقع كما هو، بل يعيد اكتشافه ويكشف أبعاده الخفية. إنه يضيء ما لا نراه عادة في تفاصيل الحياة اليومية، ويجعلنا نعيد النظر في الأشياء التي نظن أننا نعرفها.

مواضيع متنوعة

من بين الفنانين المشاركين في هذا المعرض تبرز تجربة الفنانة ريم الحجّام التي تعتمد تقنية المزج على القماش لتقديم أعمال تتميز بالنعومة والرمادية. ففي لوحتها «نَفَس السوسن» تبرز الزهور وكأنها تنبض بالحياة، وتتحول الألوان إلى حركة لطيفة توحي بالرقة والشفافية. وتبدو هذه الأعمال أقرب إلى تأمل شعري في الطبيعة، حيث تتداخل الألوان والخطوط لتخلق إحساساً بالانسجام والهدوء. كما تقدم الفنانة بورتريهات مرسومة بالأكريليك على القماش بدقة لافتة، تعكس قدرة كبيرة على التقاط تعابير الوجوه وإيحاءاتها العاطفية.

أما الفنانة هدى بن حمودة فتقدم تجربة مختلفة تحتفي بالمرأة في أبعادها الجمالية والإنسانية، ففي أعمالها تظهر المرأة كرمز للقوة والحرية والجمال في آن واحد. ولا تقدم الفنانة صورة نمطية للأنوثة، بل تسعى إلى إبراز شخصية المرأة وحضورها المستقل، من خلال تركيبات لونية جريئة وخطوط تعبيرية تمنح اللوحات طاقة خاصة.

ومن جانب آخر نجد الفنانة إيناس لزرق، وهي فنانة عصامية تشق طريقها في عالم الفن التشكيلي برؤية شخصية واضحة. أعمالها تبدو وكأنها محاولة لإعادة قراءة الواقع من زاوية مختلفة، حيث تتقاطع فيها الذاكرة مع الجسد في علاقة معقدة بين الماضي والحاضر. فاللوحات لا تكتفي بتصوير أشكال أو شخصيات، بل تطرح أسئلة حول الهوية والذاكرة والوجود.

أما درّة بن غفار فتأخذ الزائر إلى عالم آخر هو عالم الزهور، لكنها لا تقدم الزهور بوصفها عناصر زخرفية فحسب، بل كعناصر حية مليئة بالحركة والإيقاع. ويتم ذلك باستخدام تقنية الزيت على القماش، وتعمل الفنانة على إبراز أدق تفاصيل الزهرة، من انحناءات الأوراق إلى تدرجات الألوان الدقيقة. والنتيجة هي ما يمكن وصفه فعلاً بـ«سيمفونية زهرية»، حيث تتحول اللوحة إلى فضاء موسيقي بصري تتناغم فيه الألوان كما تتناغم النغمات.

وتأتي تجربة الفنانة إيمان علولو لتضيف بعداً آخر إلى المعرض من خلال الجمع بين الرسم والنحت. فهي تستخدم تقنيات مختلطة على القماش، إلى جانب النحت في خشب الزيتون والحديد، لتعيد قراءة التراث التونسي بطريقة معاصرة. ويلمس الزائر في أعمالها حضور الماضي، لكن هذا الماضي لا يظهر في شكل حنين جامد، بل يتحول إلى مادة حية يعاد تشكيلها في ضوء الحاضر.

وفي أعمال نرجس مراد الدالي ينفتح أمام الزائر عالم رمزي غني بالدلالات. وتعتمد الفنانة تقديم لوحات تتمحور حول الكون الأنثوي، حيث تتداخل الرموز والأشكال لتخلق فضاء بصرياً مليئاً بالإيحاءات. والمرأة هنا ليست مجرد موضوع للرسم، بل هي محور الكون الفني الذي تبنيه الفنانة.

تقنيات ومواد مختلفة

أما دنيا بوعتور، ضيفة الشرف في هذا المعرض، فتقدم أعمالاً تتميز بحساسية لونية عالية. وباستخدام الأكريليك على القماش والخشب، تخلق الفنانة عالماً زهريا ساحراً يفيض بالحياة. ومن أبرز أعمالها عمل ثلاثي كبير يتوسطه حضور دعسوقة وزهور التوليب الصفراء، حيث يلفت اللون الأصفر القوي انتباه المتلقي منذ النظرة الأولى. وبالتالي فإن هذه اللوحات لا تكتفي بإبراز جمال الطبيعة، بل تنقل أيضاً إحساساً بالبهجة والدفء.

أما الفنانة سنية لخوة فتقدم بدورها تجربة تنتمي إلى ما يعرف بالفن الخام أو الفن الفطري. وهي أيضاً فنانة عصامية تعتمد على عفويتها في التعبير. لوحتها «مخططات الروح» تبدو وكأنها رحلة داخلية في أعماق النفس، حيث تتحول الخطوط والألوان إلى إشارات ورمزية تدعو المشاهد إلى التأمل.

أما الفنانة نادية الدالي فتقدم أعمالاً تجمع بين الذاكرة والتراث، فتعود إلى مشاهد من الحياة البدوية وهمسات المدينة العتيقة باستخدام الزيت على الخشب والقماش. وتتميز لوحاتها بقدرة خاصة على استحضار أجواء الماضي، لكن بطريقة لا تنفصل عن الحاضر. فالوجوه والملابس والفضاءات التي تصورها تحمل في طياتها روح التراث التونسي وخصوصياته الثقافية.

ومن جهة أخرى تقدم الفنانة نايلة الزيادي تجربة تقع في منطقة وسطى بين التجريدية والتعبيرية. ففي لوحاتها التي تنفذها بالأكريليك على القماش يظهر تأثير البحر الأبيض المتوسط واضحاً. فالألوان الزرقاء بتدرجاتها المختلفة تخلق إحساساً بالحركة والاتساع، وكأن اللوحات تحاول التقاط روح البحر وتحويلها إلى لغة بصرية.

ولا يقتصر المعرض على الرسم فقط، بل يفتح المجال أيضاً لفن النحت والخزف من خلال مشاركة الفنانين نصر الدين الفرحاتي وبلال القرايري. فالأول يستكشف من خلال أعماله الخزفية عالم الإنسان داخل المجتمع بنظرة واقعية تميل أحياناً إلى السخرية. أما الثاني فيقدم منحوتات برونزية تعكس بحثاً عميقاً في الحالة الإنسانية. أعماله مثل «أناقة» و«المتجول في الضوء» و«هدوء داخلي» تقدم تأملاً في الإنسان المعاصر الذي يعيش بين إغراءات الحداثة وضغوطها.

إن هذا المعرض لا يقدم مجرد مجموعة من الأعمال الفنية، بل يخلق تجربة متكاملة تجمع بين الجمال والتأمل. إنه دعوة إلى التوقف قليلاً في عالم يتسارع باستمرار، وإلى إعادة النظر في علاقتنا بالأشياء من حولنا. فالفن، في جوهره، ليس ترفاً ثقافياً، بل هو طريقة لفهم العالم وإعادة اكتشافه. ومن هذا المنطلق، يبدو معرض «رسل الفن الإثنا عشر لقرطاج» تجربة تستحق الزيارة بالفعل، لأنه يفتح أمام الزائر نافذة جديدة لرؤية العالم، ليس كما يبدو في ظاهره فقط، بل كما يمكن أن يُرى عندما يمر عبر عين الفنان وروحه.

تحقيقات

بين الضغوط الدولية والتحفظ السوري: الحدود السورية–اللبنانية أمام اختبار جديد

دمشق ـ «القدس العربي»:
هبة محمد

في ظل تصاعد غير مسبوق للتوترات الإقليمية وتداخل ساحات الصراع في الشرق الأوسط، تعود الحدود السورية–اللبنانية إلى واجهة الأحداث بوصفها إحدى أكثر النقاط حساسية في المشهد الأمني والسياسي. فقد كشفت تقارير إعلامية، نقلا عن مصادر مطلعة، عن طرح أمريكي يدعو دمشق إلى النظر في دور عسكري محتمل داخل شرق لبنان يستهدف نزع سلاح حزب الله، بالتزامن مع المواجهة المفتوحة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران وحلفائها من جهة أخرى.

هذا الطرح، الذي قوبل بنفي رسمي من الجانب الأمريكي، يسلط الضوء على تصاعد الضغوط الدولية لإعادة ترتيب الملف اللبناني، خاصة في ما يتعلق بسلاح حزب الله ونفوذه المتجذر داخل الدولة. وفي المقابل، تتعامل دمشق مع هذه التطورات بحذر شديد، مدركة تعقيدات الانخراط في أي تحرك عسكري خارج حدودها، وما قد يحمله ذلك من مخاطر الانزلاق إلى صراع إقليمي واسع، أو فتح جبهات مباشرة مع أطراف فاعلة في المنطقة.

وبين النفي والتسريبات، والتحفظات السورية والقلق اللبناني، تتشابك الحسابات السياسية والعسكرية، حيث تبرز عدة عوامل تتحكم في مسار أي قرار محتمل، من بينها التوازنات الدولية، وطبيعة البيئة الداخلية في لبنان، وجاهزية الجيش السوري، فضلا عن تداعيات أي تدخل على الاستقرار الداخلي في سوريا. وفي ظل هذه المعطيات المعقدة، يبقى السؤال مفتوحا حول ما إذا كانت المنطقة مقبلة على تحول جديد في قواعد الاشتباك، أم أن هذه الطروحات ستبقى ضمن إطار الضغوط السياسية بدون ترجمة ميدانية.

في هذا السياق، أفادت وكالة «رويترز»، نقلا عن مصادر مطلعة، بأن الولايات المتحدة شجعت سوريا على النظر في إمكانية إرسال قوات إلى شرق لبنان للمساهمة في نزع سلاح حزب الله، وحسب الوكالة، أكدت خمسة مصادر أن واشنطن طرحت فكرة تنفيذ عملية عسكرية سورية داخل الأراضي اللبنانية تستهدف حزب الله، وذلك في إطار تصاعد الجهود الدولية للحد من نفوذه، بالتزامن مع المواجهة القائمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى. وأوضحت المصادر أن هذه الفكرة طُرحت لأول مرة خلال العام الماضي في لقاءات جمعت مسؤولين أمريكيين وسوريين، قبل أن يعاد طرحها مجددا مع احتدام التوترات في المنطقة.

وفيما اختلفت التقديرات بشأن توقيت تقديم هذا الطرح، أشار مصدران سوريان إلى أنه قُدم قبل اندلاع الحرب بفترة قصيرة، بينما رجّح مصدر استخباراتي غربي أنه طرح بعد بدايتها مباشرة. كما نقلت «رويترز» عن عشرة مصادر، من بينهم مسؤولون سوريون ومستشارون حكوميون ودبلوماسيون غربيون، أن دمشق تدرس بحذر خيار تنفيذ عملية عسكرية عبر الحدود، من دون أن تكون قد حسمت قرارها حتى الآن.

وترى هذه المصادر أن المقترح يعكس تصاعد الضغوط الدولية لنزع سلاح حزب الله المدعوم من إيران، خاصة بعد دخوله في مواجهة مع إسرائيل مطلع آذار/مارس، وما تبع ذلك من ضربات إسرائيلية داخل لبنان. كما أشار دبلوماسيون غربيون إلى وجود قبول أمريكي لفكرة اضطلاع سوريا بدور عسكري في هذا الملف، في حين تحدثت مصادر أخرى عن رغبة واشنطن في أن يلعب الجيش السوري دوراً أكثر فاعلية، قد يشمل التوغل في شرق لبنان.

في المقابل، امتنعت وزارة الخارجية الأمريكية عن التعليق على هذه المعلومات، مؤكدة أنها لا تناقش ما وصفته بـ«المراسلات الدبلوماسية الخاصة»، كما لم يصدر أي تعليق رسمي من الجانب السوري.

وفي الإطار الميداني، كشف مصدر رفيع في وزارة الدفاع السورية لـ«القدس العربي»، عن وجود تنسيق مباشر مع الحكومة اللبنانية بخصوص الانتشار العسكري الذي تنفذه وحدات من الجيش السوري وقوات حرس الحدود على امتداد الشريط الحدودي بين البلدين عبر قنوات أمنية وعسكرية مشتركة.

وأوضح المصدر أن التحركات العسكرية التي ينفذها الجيش السوري على الحدود مع لبنان منذ شهر شباط/فبراير، عبر نشر وحدات صاروخية وآلاف الجنود، تأتي في إطار إجراءات تنظيمية تهدف إلى إحكام ضبط الحدود الدولية ومكافحة الأنشطة غير القانونية.

وأوضح أن هذه الخطوة تندرج ضمن مهام سيادية ودفاعية بحتة داخل الأراضي السورية، ولا تنطوي على أي طابع هجومي أو نوايا عابرة للحدود.

وأضاف أن الانتشار يشمل إعادة تثبيت نقاط المراقبة وتعزيز عمليات الاستطلاع الميداني المستمرة على طول الشريط الحدودي، بالتوازي مع التنسيق مع الجهات المعنية، في مسعى لدعم الاستقرار الإقليمي وطمأنة الدول المجاورة في ظل الظروف الحساسة التي تشهدها المنطقة، مؤكدا أن هذا الانتشار هو إجراء دفاعي سيادي تنظيمي لقوى حرس الحدود داخل الأراضي السورية، ويهدف حصرا إلى حماية الحدود وضبطها ومنع الأنشطة غير القانونية، ولا يحمل أي طابع هجومي أو نوايا عابرة للحدود.

لبنانيا، أكدت الرئاسة أنها لم تتلق أي إشعار بوجود محادثات حول عملية سورية محتملة داخل الأراضي اللبنانية، فيما شدد الرئيس السوري أحمد الشرع، خلال اتصالات مع نظيره اللبناني جوزف عون، على احترام سيادة لبنان وعدم وجود نية للتدخل في شؤونه. كما أوضح الجيش اللبناني أن التنسيق مع سوريا مستمر في إطار القضايا الحدودية والتحديات الأمنية المشتركة، بما يساهم في الحفاظ على الاستقرار ومنع التوتر.

في المقابل، نفى المبعوث الأمريكي إلى سوريا، توم باراك، صحة هذه التقارير، مؤكدا عبر منصة «إكس» أن ما يتداول بشأن تشجيع واشنطن لدمشق على إرسال قوات إلى لبنان «كاذب وغير دقيق»، في موقف يعكس تبايناً بين ما يتم تداوله إعلامياً والتصريحات الرسمية.

طبيعة المنطقة الحدودية

تعتبر الحدود السورية مع كل من لبنان والعراق من أكثر المناطق حساسية على المستوى الأمني، نظرا لطبيعتها الجغرافية وتداخلها مع مناطق سكانية وزراعية واسعة، حيث تمتد لنحو 375 كيلومترا، شكلت بعد التحرير تحديا أمنيا كبيرا، وخاصة في ظل تزايد الشبكات غير القانونية زمن النظام السابق، والتي تستغل المناطق الحدودية في عمليات التهريب بمختلف أشكالها لزعزعة أمن الجوار.

وتشمل أبرز التحديات الأمنية على الحدود تهريب الأسلحة والذخائر، والمخدرات والمؤثرات العقلية، وتهريب الوقود والبضائع المدعومة، ونشاط شبكات الجريمة المنظمة التي تستفيد من المسارات غير النظامية وتهريب الأسلحة والمخدرات بحسب تصريحات سورية رسمية.

حزب الله والعلاقة السورية–اللبنانية

وفي قراءة لتداعيات التطورات الأخيرة على الحدود السورية–اللبنانية، رأى الكاتب والخبير السياسي طلال عبد الله جاسم، في حديثه لـ«القدس العربي»، أن حزب الله يشكل العقبة الأبرز أمام بناء علاقات طبيعية ومستقرة بين سوريا ولبنان، معتبرا أن وجوده ونفوذه يعرقلان أي محاولة للتوصل إلى تفاهمات مشتركة أو تحقيق تقدم في الملفات العالقة بين البلدين.

وأوضح جاسم أن الحكومة اللبنانية والجيش اللبناني يبدوان، في نظره، عاجزين عن مواجهة تغوّل حزب الله داخل مؤسسات الدولة، سواء العسكرية أو الإدارية أو السياسية، الأمر الذي ينعكس سلبا على قدرة الدولة اللبنانية على إدارة ملفاتها مع دمشق.

تسريبات عن مقترحات أمريكية وضغوط لنزع سلاح حزب الله تضع دمشق أمام خيارات معقدة وسط مخاوف من التصعيد

الفترة المقبلة، سواء عبر استهداف مناطق داخل الأراضي السورية أو عبر تنفيذ اعتداءات ضد السوريين، مشيراً إلى أن الأيام القادمة قد تشهد مزيدا من الاستفزازات ما لم تتوقف الحرب وتتجه الأطراف نحو التهدئة.

واتفق مع هذا الرأي الباحث السياسي لدى مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، أيمن الدسوقي، في حديثه لـ«القدس العربي»، حيث اعتبر أن المشهد لا يمكن فصله عن الضغوط السياسية والعسكرية المتزايدة التي يواجهها حزب الله في المرحلة الراهنة.

وبرأي الدسوقي فإن إطلاق القذائف من قبل حزب الله اللبناني باتجاه الأراضي السورية قد يندرج في إطار رسائل موجهة إلى دمشق، مفادها أن الحزب لن يتهاون في مواجهة أي محاولات لتضييق الخناق عليه أو محاصرته، وأن تداعيات الحرب الجارية قد تمتد إلى الساحة السورية إذا استمر الضغط عليه، مؤكدا أن الحزب يبدو مستعدا للتعامل مع مثل هذا السيناريو، خاصة وأنه ينظر إلى المعركة الحالية بوصفها معركة مصيرية بالنسبة له.

وأمام ما تقدم، يبقى السؤال الأكثر جدلا في النقاشات السياسية: هل يمكن أن يتجه الجيش السوري إلى دخول الأراضي اللبنانية للتعامل مع ملف حزب الله؟

وفي الإطار أشار الدسوقي في حديث سابق مع «القدس العربي» إلى أن الآراء تتباين في هذا الشأن، فهناك من يرجح أن تفضل دمشق النأي بنفسها عن أي تدخل مباشر في لبنان، انطلاقا من أولويات الحكومة السورية الحالية التي تركز على إعادة البناء الداخلي وترسيخ الاستقرار، في المقابل، يرى آخرون أن سوريا قد تجد نفسها مدفوعة نحو تدخل محتمل بدافع ردع التهديدات الأمنية، وكذلك بهدف استعادة دورها في المعادلات الإقليمية المتشكلة حديثا واستحقاقاتها الدولية، وهو ما تعززه أيضا الذاكرة السلبية لدى بعض دوائر القرار السوري تجاه حزب الله نتيجة مشاركته في الحرب السورية إلى جانب نظام الأسد.

ويضيف الدسوقي أن قرار التدخل من عدمه تحكمه مجموعة من العوامل الأساسية التي يمكن أن ترجح أحد السيناريوهين. ويتمثل العامل الأول في توفر مظلة إقليمية ودولية تسمح بدخول الجيش السوري إلى لبنان، وهو شرط يستند إلى دروس التجربة التاريخية، ويرتبط كذلك بتطورات الحرب الدائرة مع إيران والتوازنات الإقليمية الناتجة عنها.

أما العامل الثاني فيتعلق بمدى جاهزية البيئة اللبنانية لتقبل خطوة من هذا النوع، إذ يتطلب الأمر وجود قوى أو حلفاء داخل لبنان يمكن أن يوفروا غطاء سياسيا أو شرعية داخلية لأي تحرك عسكري سوري، الأمر الذي قد يسهم في تسهيل مهمة الجيش السوري على الأرض.

ويتمثل العامل الثالث في مستوى جاهزية الجيش السوري نفسه للدخول في مواجهة داخل الأراضي اللبنانية، سواء من حيث التسليح أو عدد القوات أو طبيعة الأساليب القتالية المطلوبة. ويشير الدسوقي إلى أن أي تحرك من هذا النوع قد يأخذ طابع حرب المدن أو حرب العصابات، وهي أنماط قتال اكتسبت تشكيلات من الجيش السوري خبرة فيها خلال سنوات الصراع الماضية.

أما العامل الرابع فيرتبط بكيفية قراءة صانع القرار السوري لهذه الخطوة، وما إذا كان ينظر إليها باعتبارها تهديدا ينبغي احتواؤه أو فرصة يمكن توظيفها سياسيا. مشيرا إلى تجربة دخول الجيش السوري إلى لبنان في مراحل سابقة، حيث جاء القرار آنذاك بدافع مواجهة تهديدات أمنية، لكنه تحول لاحقا إلى مكسب سياسي واقتصادي لسوريا في ظل أزمات داخلية كانت تمر بها البلاد آنذاك.

ولفت إلى أن هناك عددا من القضايا التي لا تزال عالقة بين الجانبين، من بينها ملف الموقوفين السوريين والمطلوبين منذ عهد النظام السابق، إضافة إلى ما وصفه بإرث حزب الله في سوريا ودوره في العمليات العسكرية التي شهدتها البلاد خلال سنوات الحرب، وما رافقها من عمليات قتل وتهجير طالت شرائح واسعة من السوريين.

وأضاف أن حزب الله كان قد التزم لفترة بوقف إطلاق النار مع إسرائيل تحت ضغط التهديدات الإسرائيلية، غير أن التطورات الأخيرة، ولا سيما مقتل قيادات إيرانية رفيعة على رأسها المرشد الإيراني علي خامنئي، أعادت إشعال المواجهة في المنطقة. ولفت إلى أن الحزب أعلن دخوله مجددا في المعركة، ولم يقتصر نشاطه العسكري على استهداف إسرائيل، إذ تشير بعض المعلومات، بحسب جاسم، إلى أنه استهدف أيضا القاعدة البريطانية في قبرص، في خطوة اعتبرها محاولة لتوسيع نطاق الفوضى والتوتر في المنطقة.

توسيع بؤر التوتر

ويرى جاسم أن هذه التحركات تندرج ضمن سياق أوسع من السياسات التي تتبعها إيران في الإقليم، عبر توسيع بؤر التوتر والضغط في أكثر من ساحة، مشيرا إلى أن هذا النهج شمل في فترات سابقة استهداف دول في الخليج، إضافة إلى أذربيجان وحتى تركيا التي شهدت بدورها توترات مرتبطة بهذه الصراعات الإقليمية.

وفي المقابل، أشار الخبير السياسي إلى أن الجيش السوري اتخذ إجراءات احترازية مبكرة، من خلال حشد قواته على الحدود مع لبنان والعراق، تحسبا لاحتمال تسلل عناصر من الميليشيات العراقية أو من حزب الله إلى الأراضي السورية. وأوضح أن هذه المخاوف ترتبط بإمكانية استخدام الأراضي السورية لشن هجمات، سواء ضد سوريا نفسها أو ضد إسرائيل، وهو ما قد يؤدي إلى جرّ سوريا إلى ساحة الصراع الدائر في المنطقة.

وأضاف جاسم أن حزب الله والميليشيات العراقية، التي شاركت في الحرب داخل سوريا خلال السنوات الماضية، تنظر بقلق إلى هذه التحركات العسكرية السورية، خشية أن تتحول القوات السورية إلى طرف فاعل في أي تحرك مستقبلي لنزع سلاح تلك الجماعات في لبنان أو العراق. وأشار إلى أن هذا القلق يرتبط أيضا بما وصفه بالعداء السابق بين هذه الأطراف والسلطة الحالية في دمشق، فضلا عن الاعتقاد بوجود دعم أمريكي قوي للحكم القائم في سوريا.

وفي السياق ذاته، أوضح أن هذه الأطراف لا تخفي موقفها العدائي تجاه القيادة السورية الحالية، رغم أن الحكومة السورية حاولت طمأنة الجانب اللبناني حيال طبيعة التحركات العسكرية على الحدود. فقد أكد وزير الخارجية السوري والقائم بالأعمال في لبنان للمسؤولين اللبنانيين أن انتشار القوات السورية يهدف حصرا إلى حماية الأراضي السورية وضمان أمن المواطنين السوريين.

ومع ذلك، أبدت الحكومة اللبنانية، بحسب جاسم، قلقا من هذه التحركات العسكرية، في ظل الضغوط التي يمارسها حزب الله داخل الساحة اللبنانية، وما يرافقها من مخاوف من احتمال تطور الوضع إلى تدخل سوري مباشر في الشأن اللبناني.

وأشار إلى أن رئيس الحكومة اللبنانية أجرى اتصالا بالرئيس السوري أحمد الشرع للاطمئنان إلى طبيعة التحركات العسكرية على الحدود، موضحا أن الرئيس السوري أكد خلال الاتصال أن انتشار القوات السورية يندرج في إطار إجراءات دفاعية هدفها حماية سوريا وشعبها، وليس التدخل في الشؤون اللبنانية.

محاولات لجر سوريا إلى دائرة الحرب

ورغم هذه التطمينات، يرى جاسم أن المؤشرات الميدانية والسياسية توحي بأن حزب الله، ومن خلفه إيران وبعض الأطراف الأخرى، قد يسعى إلى جرّ سوريا إلى دائرة الحرب الدائرة في المنطقة، بهدف إضعاف الحكم في دمشق وتقويض استقراره. وتوقع أن تستمر محاولات الضغط على سوريا خلال

ميديا

عيد حزين في غزة والقدس يُغرق شبكات التواصل العربية... والأقصى مغلق لأول مرة

لندن – «القدس العربي»:

اشتعلت شبكات التواصل الاجتماعي في العالم بالتعليقات الحزينة التي تأتي بالتزامن مع حلول عيد الفطر المبارك في الوقت الذي تتوسع فيه المعاناة فلسطينياً وعربياً، ويستمر النزيف في قطاع غزة، فيما ودع المسلمون والفلسطينيون شهر رمضان والمسجد الأقصى مغلق في وجوههم بأوامر من قوات الاحتلال الإسرائيلي التي منعت الصلاة فيه ومنعت المسلمين من الوصول إليه.

وسرعان ما تصدر الحديث عن عيد الفطر في غزة وصلاة العيد الممنوعة في المسجد الأقصى اهتمامات المستخدمين والنشطاء العرب في كافة الدول العربية، كما تصدر العيد والتعليقات الخاصة به أحاديث العلقين. كما تطرق الكثيرون إلى الحديث عن الحرب الدموية الكبيرة التي تشهدها المنطقة والتي توسعت إلى كافة دول الخليج التي تضررت من أحداثها.

وفي الوقت الذي استمرت فيه الاغتيالات والقصف والمعاناة في قطاع غزة، فقد واصلت قوات الاحتلال الإسرائيلية إغلاق المسجد الأقصى ومنعت الفلسطينيين من أداء صلاة العيد فيه لأول مرة منذ 59 عاماً، حيث غاب صوت التكبير عن الأقصى المبارك، وتم منع صلاة عيد الفطر عن المصلين في رحابه، وترك الاحتلال ساحاته خالية وصامتة.

ومنعت السلطات الإسرائيلية المصلين من الوصول إلى المسجد الأقصى منذ اليوم التاسع من رمضان وحتى نهاية الشهر الفضيل، بحجة الأوضاع الأمنية المرتبطة بالحرب الأمريكية الإسرائيلية على إيران.

ويعتبر هذا الإجراء سابقة خطيرة، إذ لم يشهد المسجد الأقصى منذ عام 1967 إغلاقاً شاملاً خلال شهر رمضان، وحرماناً كاملاً من الشعائر الدينية بهذه الصورة.

وكانت قوات الاحتلال قد منعت المواطنين من أداء صلاة التراويح في عدة أحياء من مدينة القدس المحتلة، وانتشرت في محيط باب العامود وباب الساهرة، ومنعت المصلين من أداء صلاة التراويح، وأجبرتهم على مغادرة المكان، في محاولة لتفريقهم ومنع أي تجمعات للصلاة.

ويأتي ذلك وسط انتشار كثيف في محيط المسجد الأقصى والبلدة القديمة، حيث تفرض قوات الاحتلال قيوداً مشددة على الحركة، وتغلق عددًا من الأبواب، وتمنع التجمعات، في حين طالت الإجراءات موظفي الأوقاف أنفسهم، مع تقليص أعداد المسموح لهم بالدخول، ما ينعكس على إدارة شؤون المسجد اليومية.

وكتب الناشط عبود بلال على شبكة «إكس» مغرداً بالقول: «انتهى رمضان وأتى العيد والأقصى قبلة المسلمين مغلق».

أما محمد أبوصلاح فنشر مقطع فيديو من مقابر قطاع غزة قبل العيد بيوم واحد، وكتب معلقاً: «مشهد مؤثر لمقابر غزة قبل يوم واحد من عيد الفطر المبارك. أكثر من 70 ألف شهيد احتضنتهم هذه الأرض المباركة خلال العامين الماضيين، تقبلهم الله جميعاً».

وأضاف أبو صلاح في تدوينة ثانية: «العيد الحقيقي عندما يهل هلال الهدنة في غزة وتتوقف الإبادة والمجازر والنزوح والموت وتُفتح المعابر وتدخل المساعدات والغذاء والدواء».

أما الناشط خالد صافي فنشر صورة لسيدة فلسطينية تصنع ألعاب الأطفال في غزة، وكتب يقول: «في غزة.. شيرين الكردي من جباليا ناذجة في منطقة البريج تصنع دمى، وتسوقها في موسم العيد في ظل غياب ألعاب الأطفال بسبب الحرب لترسم بها الفرحة على وجوه الأطفال الغزيين. شيرين وزوجها لم يحصلا على فرصة عمل رغم تخرجهما من قسم اللغة العربية. معلوم لديك طبعاً أن المحتل المجرم هدم منزلهم في جباليا ومنزل الأسرة في بيت حانون خلال حرب الإبادة ومن خلال هذا المشروع هي تحاول توفير مصدر دخل لإعالة أبنائها الخمسة داخل خيمتها».

وكتب أحد المعلقين: «لا تنسوا غزة في هذا العيد.. تذكروا أهلها الذين يقاومون الألم بالحياة، والدموع بالصبر. افرحوا، ابتسموا، لكن اجعلوا لغزة نصيباً من أحاديثكم، أخبروها للعالم، احكوا عن وجعها وعن صمود أهلها في كل مكان تصل إليه أصواتكم».

ونشر الناشط المصري الدكتور أحمد عطوان تدوينة كتب فيها: «خجلتُ من فرحة العيد، استحييتُ الرد على التهاني، شعرتُ بالخيانة أن أهنئكم، سامحوني.. سأفرح بالعيد يوم أن تفرح غزة».

وقال أحد النشطاء: «يُقبل العيد علينا في غزة هذا العام، والعدوان الإسرائيلي لم ينته بعد، بل إن عدد الشهداء يتزايد يوماً بعد آخر، وما زالت العائلات تجلس فاقدة في خيامها.. ركام في كل مكان، ووجهٌ غزة لا يبدو من بعيدٍ وكأنه عيد».

وقال الدكتور علي شعث: «كل عام وأنتم بخير بمناسبة عيد الفطر المبارك. يأتي العيد وأهلنا في غزة يواجهون ظروفاً قاسية. نستحضر كل طفلٍ حُرم من فرحته، وكل أم لم تستطع إدخال البهجة، وكل عائلة تثقلها التحديات. نسأل الله أن يكون العيد بداية انفراجة قريبة، وأن تعود الحياة لأهلنا بالأمن والكرامة.. عيدكم مبارك».

وقال أسامة أبوحويط: «زكاة الفطر ليست رقماً يُدفع، بل كرامة تُحفظ قبل أن يهلّ العيد. في غزة، تُسابق الوقت لتصل إلى أهلها، وتكون فرحة العيد حاضرة في كل بيت. حقًا يُؤدّى، وأثراً لا يُنسى».

وكتبت ضحى محمد: «تعجبتُ وأنا أشاهد تقريراً عن استياء مواطني أمريكا من موجة الغلاء عندهم، حيث يصورون السلع ويتعجبون من أسعارها المرتفعة، فتعجبتُ من حالنا في غزة الفقيرة المحاصرة والتي وصلت فيها السلع لأسعار خيالية؛ سعر كيلو البندورة بـ25 شيكل أي ما يعادل 10 دولارات، كيلو الفسيخ بـ 55 شيكل أي 20 دولارا، وكيلو حلو العيد بـ120 شيكل».

وقال محمد: «غزة.. هذا عيدكم، لكن العيد هناك لا يأتي بثوب جديد بل بثوبٍ من صبر أما الآن ففي جميع بقاع الأرض.. اللهم أعزنا بالإسلام».

وكتبت فاطمة عبد الله في ليلة عيد الفطر: «شهيدان صباحاً، وبيوت عزاء تُفتح قبل محاولة الفرح بيوم واحد وأمهاتٌ ثكلى كنّ قد أعددن كعك العيد لكن الموت سبق كعادته. وأهل المدينة يسألون: لِمَ لا يأتي العيدُ كاملاً لمرة واحدة».

وقال سهيل أيازا: «تحضيرات العيد.. فرحة مثقلة بالفقد في غزة، يأتي عيد الفطر هذا العام مجردا من الفرح الحقيقي ومثقلا بذكريات البيوت المدمرة والشهداء».

ونشر حساب «غزة الآن» تدوينة يقول فيها: «لأول مرة في تاريخه.. الأقصى بلا عيد، لليوم الـ20، يبقى المسجد الأقصى مغلقا بالكامل، في سابقة لم يشهدها تاريخه، مع منع المصلين من أداء صلاة عيد الفطر. الإغلاق الذي ترافق مع تشديد عسكري واسع، وسط تحذيرات من فرض واقع جديد على المسجد».

وقال محمد علي: «العيد هو نيل الجوائز لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا، وأما الفرح فكل الشعوب تفرح بانتهاء الطغاة، ولكن ندعوا لأهل غزة ولكل الشعوب الإسلامية والعربية بأن يُفرج الله عنهم هذه الحرب اللعينة وأن يعم السلام في المنطقة».

أما باسم أبو مسلم فقال: «أكثر من 2.4 مليون إنسان في غزة يستقبلون عيد الفطر وسط كارثة إنسانية غير مسبوقة، في ظل آلاف الخروقات والتصعيد العسكري، ومئات الشهداء والجرحى، ونقص حاد في المساعدات والوقود».

يشار إلى أنه على الرغم من إغلاق المسجد الأقصى فقد واصل المقدسيون التوافد إلى محيطه وأبوابه، وأدوا الصلوات خلال رمضان في الشوارع وعلى العتبات لليالي متتالية، في مشهد يعكس رفضاً شعبياً للقيود المفروضة.

كما امتدت إجراءات الاحتلال إلى أحياء متفرقة من القدس، إذ مُنعت صلوات جماعية، بما فيها التراويح خلال العشر الأواخر من شهر رمضان، مع انتشار عسكري ملحوظ حول أبواب البلدة القديمة، ومنع أي تجمعات دينية.

ويأتي هذا الإغلاق في سياق أوسع من القيود المتصاعدة، حيث يتزامن مع فرض إغلاق شامل على الضفة الغربية، وتصاعد التوترات الإقليمية، إلى جانب تحذيرات من تنامي دعوات جماعات استيطانية لفرض تغييرات في واقع المسجد الأقصى.

أندونيسيا تُقيد وصول الأطفال إلى شبكات التواصل الاجتماعي

لندن – «القدس العربي»:

قررت أندونيسيا تقييد وصول الأطفال إلى شبكات التواصل الاجتماعي لتلحق بذلك أستراليا التي سبقت ومنعت الأطفال من استخدام هذه الشبكات في وقت سابق، وذلك بعد أن تبين بأنها تضر في الصحة العامة لهم، فيما ما زال الجدل مشتعلاً في الاتحاد الأوروبي وبريطانيا حول هذا الملف.

وقررت أندونيسيا تقييد الوصول إلى منصات التواصل الاجتماعي المصنفة بأنها «عالية الخطورة»، ومن بينها «تيك توك» و«فيسبوك» و«يوتيوب»، بالنسبة للأطفال دون 16 عاماً.

ومن شأن هذه القواعد أن تجعل أندونيسيا من أوائل الدول غير الغربية التي تفرض قيوداً عمرية على وصول الأطفال إلى المنصات الرقمية، في إطار ما تصفه الحكومة بمحاولة مواجهة تزايد المخاطر التي يتعرض لها مستخدمو الإنترنت من صغار السن.

ويخشى الوزراء من أن الأطفال يواجهون تهديدات متزايدة، تتراوح بين التعرض للمواد الإباحية والتنمر الإلكتروني والاحتيال عبر الإنترنت، فضلاً عن خطر الإدمان.

وتضم أندونيسيا، رابع أكبر دولة في العالم من حيث عدد السكان، واحداً من أكبر أعداد مستخدمي الإنترنت في جنوب شرق آسيا، حيث يستخدم عشرات الملايين من الأطفال والمراهقين مواقع التواصل الاجتماعي والألعاب الإلكترونية. وقد أعرب المسؤولون بصورة متزايدة عن قلقهم من تداعيات الإفراط في استخدام الأجهزة الإلكترونية والجريمة الإلكترونية والمحتوى الضار على المستخدمين صغار السن.

ولم تذكر الحكومة بعد تفاصيل كيفية تحقق المنصات من أعمار المستخدمين أو كيفية تطبيق هذه القواعد، وهي مسألة أعاقت جهوداً تشريعية مماثلة في دول أخرى.

ويُذكر أن أستراليا أصبحت أول دولة في العالم تطبق حظراً عاماً على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لمن هم دون 16 عاماً. ووصفت الحكومة هذه الخطوة بالرائدة، والتي دخلت حيز التنفيذ في كانون الأول/ ديسمبر الماضي، مشيرة إلى أنها تهدف إلى «إعادة الطفولة إلى الأطفال» وحمايتهم من التنمر الإلكتروني والتعرض للمحتوى المزعج.

وتواجه الشركات غرامات تصل إلى 49.5 مليون دولار أسترالي (نحو 35 مليون دولار) في حال انتهاك القواعد الجديدة. وتنطبق هذه القواعد على «إنستغرام» و«تيك توك» و«سناب شات» و«فيسبوك» و«يوتيوب» و«إكس» و«ريديت» و«تويتش» ومنصات أخرى، فيما استثنيت بعض خدمات الرسائل والألعاب مثل «روبلوكس» و«واتساب» و«فيسبوك ماسنجر».

وتقول الحكومة إن الحياة اليومية اختلفت بصورة ملحوظة منذ ذلك الحين. وأشار رئيس الوزراء الأسترالي أنتوني ألبانيزي إلى أن صغار السن أصبحوا يتركون أجهزتهم الإلكترونية ويخرجون لركوب الدراجات وقراءة الكتب أو قضاء الوقت مع الأسرة خلال عطلات المدرسة في عيد الميلاد، التي انتهت في يناير/كانون الثاني الماضي.

لكن بعض الآباء اشتكوا من أن معظم المراهقين وجدوا سريعاً طرقاً للالتفاف على الحظر. وكتبت أم غاضبة في تعليق على إنستغرام: «لدي توأمان، ولم يتغير الوضع كثيراً سوى أن الحكومة تحتفل بنفسها». وأضافت أن القواعد الجديدة أثرت فقط على بعض الأطفال وصغار السن، قائلة: «معظمهم عادوا إلى الإنترنت على الفور وأنشأوا حسابات جديدة».

ويرى المراهقون أن التحايل على خاصية التعرف على الوجه للتحقق من العمر أمرٌ سهل للغاية. وكتب أحد المراهقين (15 عاماً) على منصة ريديت: «نظرت إلى الكاميرا وعبست قليلاً، وقالوا إنني أكبر من 16 عاماً». وكتب مراهق آخر على «ريديت» أن وسائل التواصل الاجتماعي «واحدة من أكبر وأسهل وأكثر الطرق شعبية بين صغار السن للتعبير عن آرائهم». ويقول بعض المراهقين إن هذا الحظر يسكت أصواتهم ويتجاهل حقهم في التعبير. وعلق أحدهم بأن القانون «غبي للغاية ومعيب وضار». ويقول ألبانيزي إن التغيير لا يحدث بين ليلة وضحاها. وعلى الرغم من أنه ربما يكون من المبكر الحكم على مدى فعالية القانون، فإنعدة دول حول العالم تخطط بالفعل للسير على خطى أستراليا.

ورغم تصاعد الدعوات لفرض قيود عمرية في بعض الدول الأوروبية، فإن المفوضية الأوروبية لم تقترح حتى الآن تشريعاً يتيح للعواصم الأوروبية تطبيق حد أدنى للعمر. وكان البرلمان الأوروبي قد صوّت لصالح تحديد الحد الأدنى للعمر عند 16 عاماً في أنحاء الاتحاد الأوروبي، مع السماح لمن تبلغ أعمارهم 13 عاماً أو أكثر باستخدام مواقع التواصل الاجتماعي بموافقة الوالدين، إلا أن القرار غير ملزم.

ولا يعتزم الاتحاد الأوروبي تطبيق حظر شامل، لكن الخبراء يدرسون سبل تحسين سلامة الأطفال على الإنترنت، وقد تكون توصياتهم حاسمة في النقاش الدائر بشأن تحديد الحد الأدنى للعمر لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي.

القضاء الأمريكي يأمر بإعادة إذاعة «صوت أمريكا» التي أغلقها ترامب

لندن – «القدس العربي»:

أصدرت محكمة أمريكية حكمها الأسبوع الماضي بإعادة تشغيل إذاعة «صوت أمريكا» بعد عام على توقفها بأوامر من الرئيس دونالد ترامب، كما أمرت المحكمة بإعادة مئات الموظفين بمن فيهم الإدارة والصحافيون إلى أعمالهم.

ومنح قاضي المحكمة الجزئية الأمريكية، رويس سي لامبرث، في قراره الصادر يوم الثلاثاء الماضي، منح وكالة الإعلام العالمي الأمريكية أسبوعاً واحداً فقط لوضع خطة لإعادة بث الإذاعة.

وإذاعة «صوت أمريكا» هي أكبر وأقدم هيئة بث دولية في الولايات المتحدة، وهي تمول وكالات أنباء مثل «راديو آسيا الحرة» و«راديو أوروبا الحرة». ودأبت الهيئة على بث الأخبار إلى دول حول العالم منذ تأسيسها خلال الحرب العالمية الثانية، وغالباً ما كانت تبث إلى دول تفتقر إلى تقاليد الصحافة الحرة. وقبل الأمر التنفيذي الذي أصدره ترامب، كانت الإذاعة تبث برامجها بـ49 لغة مختلفة، لتصل إلى 362 مليون مستمع.

لكن الإذاعة تعمل بطاقم محدود منذ أن أصدر الرئيس دونالد ترامب أمراً تنفيذياً بإغلاقها، ووضع موظفيها في إجازة إدارية مدفوعة الأجر لمدة عام. وقد سعت إدارة ترامب إلى تقليص تمويل الهيئة منذ عام 2025.

وأصدرت تعليماتها إلى المديرة السابقة لوكالة الإعلام الأمريكية العالمية «USAGM»، كاري ليك، بتقليص حجم الوكالة إلى «الحد الأدنى من الوجود والوظائف التي يقتضيها القانون».

ويأتي قرار القاضي لامبرث الأخير بعد عشرة أيام فقط من حكمه بأن المديرة السابقة لوكالة الإعلام الأمريكية العالمية «USAGM» قد أدارت الوكالة بشكل غير قانوني. وأشرفت ليك على الوكالة من 31 تموز/يوليو إلى 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2025، وأقدمت خلالها على تسريح أكثر من ألف موظف. من جانبها، أعلنت ليك في تغريدة اعتزامها استئناف قرار لامبرث بشأن الوضع القانوني لإدارتها.

وفي العام الماضي، منع قاض فيدرالي ليك أيضاً من عزل مايكل أبراموفيتز من منصب مدير «صوت أمريكا». وقد رفع أبراموفيتز ومجموعة أخرى من الموظفين دعاوى قضائية منفصلة ضد الحكومة لاحقاً. وأشاد أبراموفيتز بقرار لامبرث في بيان لصحيفة «واشنطن بوست»، حيث قال إنه «لم تكن الحاجة إلى صوت أمريكا أشدّ منها اليوم. أنا ممتنّ لصمود وتفاني العاملين الرائعين في صوت أمريكا».

علوم وتكنولوجيا

علماء يبتكرون ساعة فائقة الدقة قد تُعيد تعريف الثانية وتعاود ضبط الوقت

لندن – «القدس العربي»:

ابتكر العلماء ساعة فائقة الدقة قد تُعيد تعريف الثانية، وبالتالي قد تُحدث أول تغيير في مقاييس الزمن العالمية، وذلك لأول مرة منذ عقود طويلة، أو ربما لأول مرة في التاريخ الحديث على الإطلاق.

وبحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي»، فإن ساعة الشبكة البصرية المصنوعة من السترونتيوم تُعدّ من أدق الساعات التي صُنعت على الإطلاق، إذ تستطيع قياس الثواني بدقة تصل إلى 19 خانة عشرية.

ولتوضيح ذلك، لو عملت الساعة لمدة 30 مليار سنة – أي أكثر من ضعف عمر الكون الحالي – لكان الخطأ فيها لا يتجاوز ثانية واحدة.

وقد تحققت هذه الدقة بفضل التطورات التكنولوجية الهائلة، وهي تُمثل إنجازاً كبيراً في تكنولوجيا الساعات البصرية، بل إنها تُشير إلى خطوة هامة نحو هدف تغيير التعريف الرسمي للثانية خلال العقد القادم تقريباً، بحسب تقرير «دايلي ميل».

وفي مقال نُشر في مجلة «مترولوجيا»، ذكر الفريق أن ساعتهم «تُحقق الدقة المطلوبة لخريطة طريق إعادة تعريف الثانية».

ووفقاً للباحثين، فإنه بالإضافة إلى إعادة تعريف الثانية، يُمكن أن تلعب هذه الساعة دوراً حاسماً في مجالات مُتعددة.

وأوضح العلماء أن هذه التقنية، على سبيل المثال، قد تُسهم في البحث عن المادة المظلمة، بل وحتى في إجراء قياسات دقيقة لحقل جاذبية الأرض.

وكان يُعرَّف الزمن سابقاً بجزء من اليوم، حيث تمثل الثانية الواحدة جزءاً من 86 ألفاً و400 من 24 ساعة، إلا أن هذا القياس ليس دقيقاً جداً نظراً لاختلاف سرعة دوران الأرض.

وقد مكّن اختراع الساعات الذرية في خمسينيات القرن الماضي العلماء من قياس الزمن بدقة أكبر بكثير، ومنذ عام 1967، تُعرَّف الثانية في النظام الدولي للوحدات (SI) بأنها 9.192.631.770 ذبذبة لذرة السيزيوم133–.

ورغم دقة هذا القياس الفائقة، إلا أنه لا يزال هناك هامش خطأ، إذ تتأرجح ذرات السيزيوم ذهاباً وإياباً تسعة مليارات مرة في الثانية.

ومع ذلك، يتذبذب السترونتيوم بمعدل أسرع بكثير، يصل إلى 700 كوادريليون نبضة في الثانية، مما يجعله قياساً أكثر دقة.

وكتب الباحثون: «يلبي هذا الأداء متطلبات دقة الساعة الواحدة البالغة 2 × 10^{-18} لإعادة تعريف الثانية في النظام الدولي للوحدات».

وأشار العلماء إلى أن ساعتين بصريتين آخريين من السترونتيوم قد تجاوزتا هذا الإنجاز بالفعل. ويعني وجود ساعة ثالثة أنهم على بُعد خطوة واحدة من إعادة تعريف الثانية رسمياً. ولتغيير التعريف الرسمي، يجب استخدام ثلاث ساعات بصرية على الأقل، تعتمد على نفس نوع النبضة، وبمستوى معين من الدقة والاستقرار، في مؤسسات مختلفة.

ويُحدد الجدول الزمني لإعادة التعريف المقترحة من خلال اجتماعات المؤتمر العام للأوزان والمقاييس.

وتُعقد هذه الاجتماعات كل أربع سنوات، وقد طلب من اللجنة العمل على اقتراح تعريف جديد للثانية لعرضه في الاجتماع التاسع والعشرين للجنة العامة للأوزان والمقاييس. وسيُعقد هذا الاجتماع في عام 2030.

وقال الباحثون من الأكاديمية الصينية للعلوم: «يوفر هذا الإنجاز الجديد مسارًا تقنيًا عمليًا لتطوير ساعات ضوئية محمولة وفضائية».

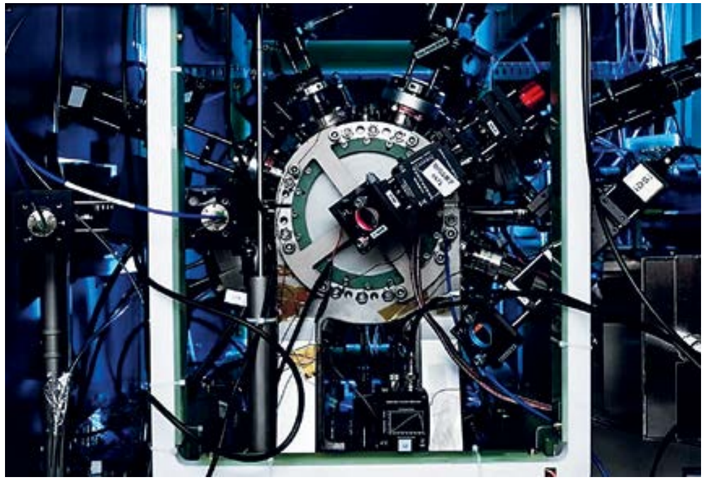

وأضافوا: «يمكن أن يدعم هذا الإنجاز تطبيقات مستقبلية، بما في ذلك اختبارات القوانين الفيزيائية الأساسية، وأنظمة الملاحة عبر الأقمار الصناعية من الجيل التالي، وإنشاء معيار عالمي موحد فائق الدقة للوقت».

ما هي الساعات الضوئية وكيف تعمل؟

الساعات الضوئية هي ساعات ذرية فائقة الدقة تقيس الوقت باستخدام الضوء (الترددات الضوئية) بدلاً من ترددات الميكروويف المستخدمة في الساعات الذرية التقليدية. وهي حالياً من بين أدق أجهزة ضبط الوقت التي صُنعت على الإطلاق.

وتشمل المكونات الرئيسية للساعة الضوئية ذرات مثل السترونتيوم أو الألومنيوم، والتي تُستخدم نظراً لاستقرار انتقالاتها الضوئية. وداخل هذه الذرات، تستطيع الإلكترونات الانتقال بين مستويات الطاقة، وعندما يحدث ذلك، تتفاعل الذرة مع الضوء بتردد دقيق للغاية، وتقيس الساعة هذا التردد، الذي يُصبح إشارة «دقاتها».

وتُعدّ الساعات الضوئية مهمة لنظام تحديد المواقع العالمي «GPS» والملاحة، ورسم خرائط جاذبية الأرض، وللفيزياء الأساسية. كما يُمكنها أن تُساهم في إعادة تعريف الثانية، من خلال توفير قياسات بالغة الدقة.

أول عملية اعتقال من نوعها في العالم: الشرطة الصينية تحتجز روبوت بعد أن أرعب امرأة

لندن – «القدس العربي»:

في مشهد يُشبه أفلام الخيال العلمي، ألقت الشرطةُ القبض على إنسان آلي «روبوت بشري» بعد أن أرعب امرأة مسنة في الصين، ليكون هذا التوقيف هو أول عملية اعتقال من نوعها في العالم.

ووفقاً للسلطات المحلية، فزعت السيدة البالغة من العمر 70 عاماً عندما لاحظت وجود الروبوت خلفها فجأة.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي»، فإن مقطع فيديو انتشر على نطاق واسع يُظهر المرأة وهي تصرخ وتلوّح بحقيبتها في وجه الروبوت الصغير، الذي كان يرفع ذراعيه في الهواء مراراً وتكراراً.

ثم يُظهر المقطع شرطيين يُرافقان الروبوت الذي يحمل الاسم «Unitree G1» في الطريق، أحدهما يقوده من كتفه.

وصرحت الشرطة بأن المرأة توقفت لتفقد هاتفها عندما توقف الروبوت خلفها، منتظراً منها أن تُخلي الطريق، ثم شعرت السيدة المسنة بالخوف عندما اكتشفت أن الروبوت كان يتبعها بصمت في الطريق.

وبعد الحادثة، أبلغت المرأة الشرطة أنها تشعر بتوعك، ونُقلت إلى المستشفى لإجراء الفحوصات وتلقي العلاج.

وبعد أن أكد الأطباء عدم وجود أي احتكاك جسدي بينها وبين الروبوت، صرّحت المرأة، التي لم يُكشف عن اسمها، أنها لن تتقدم بشكوى ضد مُشغّل الروبوت.

ووقعت المشادة في تمام الساعة التاسعة مساءً بالتوقيت المحلي خارج مجمع سكني في ماكاو، بالصين، وفي الفيديو تظهر المرأة وهي تصرخ: «أنت تُثير دقات قلبي.. لديك ما يكفيك من العمل، فلماذا تُضيّع وقتك مع هذا؟ هل أنت مجنون؟».

وعلى الرغم من عدم إلقاء القبض على الروبوت رسمياً، إلا أن الشرطة قامت بإزالته من الموقع وإعادته إلى مُشغّله، وهو رجل في الخمسينيات من عمره، وتم تذكيره بضرورة توخي الحذر. وأثار مقطع الفيديو القصير للروبوت خلال اقتياده من قبل الشرطة موجة من الصور الساخرة على مواقع التواصل الاجتماعي، حيث علّق البعض مازحين بأن هذه «أول حالة اعتقال لروبوت في التاريخ».

وعلّق أحدهم ساخراً: «يبدو أن الروبوت بحاجة إلى محامٍ أو بعض الحقوق الأساسية». وأضاف آخر: «نحن نقترب بسرعة من حقبة زمنية جديدة غريبة»، فيما تساءل أحدهم: «هل تم تصوير الروبوت؟ هل مثل أمام المحكمة؟»، بينما علّق آخر: «هكذا بدأت قصة المصفوفة تماماً».

لكن آخرين كانوا أقل تعاطفاً، وألقوا باللوم على المرأة السنّة لمبالغتها في ردة فعلها تجاه وجود الروبوت. وكتب أحدهم ببرود: «من الواضح أن المرأة هي المشكلة، وليس الروبوت». وأضاف آخر: «يجب سجن تلك المرأة لعرقلتها كائناً آلياً».

وكشفت السلطات أن الروبوت تابع لمركز تعليمي قريب، حيث كان المركز يستخدم الروبوت «Unitree G1» ضمن حملة ترويجية.

وصرح توين ماك، المتحدث باسم المركز الصيني أن الروبوت كان يغادر المنطقة عندما صادف السيدة المسنة. وأضاف ماك أنه كان يعمل بنظام يجمع بين البرمجة الذاتية والإشراف عن بُعد. وقد اعتذر مشغل الروبوت عن التسبب في هذه المشكلة.

ورغم أن هذه قد تكون المرة الأولى التي تضطر فيها الشرطة إلى احتجاز روبوت، إلا أن قوات الشرطة بدأت بالفعل في دمج الروبوتات ضمن استراتيجياتها لمكافحة الجريمة.

وكان البروفيسور إيفان صن، من جامعة ديلاوير، قد توقع سابقاً أن يقوم ضباط شرطة آليون بدوريات في شوارعنا خلال خمس سنوات فقط. وسيكون بإمكان هؤلاء الضباط الآليين كشف المشتبه بهم ومطاردتهم والقبض عليهم، ومن المرجح أن يعملوا جنبا إلى جنب مع مشرفين بشريين.

في غضون ذلك، بدأت دول مثل الصين وسنغافورة تجارب على روبوتات الشرطة، وحققت نجاحات متفاوتة. فعلى سبيل المثال، يقوم روبوت «زافيير» في سنغافورة بدوريات في الأماكن العامة لرصد السلوكيات الاجتماعية غير المرغوب فيها، كالتدخين، قبل إبلاغ ضباط الشرطة.

أما في الصين، فقد تم دمج روبوتات تعمل بالذكاء الاصطناعي، مثل «أنبوت»، في أنظمة الأمن لإجراء عمليات المراقبة والتحقق من الهويات وتسيير دوريات في مراكز النقل. وفي الإمارات العربية المتحدة، استُخدمت الروبوتات في أدوار خدمية أكثر، مثل استقبال السياح أو تقديم المساعدة متعددة اللغات خلال الفعاليات الكبرى.

دراسة مُرعبة تتوقع بدقة عدد الوفيات المتوقعة بحلول عام 2050 بسبب تغير المناخ

لندن – «القدس العربي»:

توقعت دراسة مُرعبة ودقيقة عدد الوفيات المتوقعة بحلول عام 2050 إذا لم يتخذ البشر إجراءات عاجلة للحد من تغير المناخ.

وسعى باحثون من الجامعة الكاثوليكية في الأرجنتين إلى فهم كيفية تأثير ارتفاع درجات الحرارة على النشاط البدني، وبالتالي على الوفيات المبكرة.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي»، إن الفريق البحثي حلل بيانات من 156 دولة خلال الفترة من 2000 إلى 2022، واستخدمها للتنبؤ بما ستكون عليه العقود القادمة.

ومن المثير للقلق أن نتائجهم تشير إلى أنه بحلول عام 2050، سيؤدي كل شهر إضافي بمتوسط درجة حرارة أعلى من 27.8 درجة مئوية إلى زيادة الخمول البدني بنسبة 1.5 في المئة على مستوى العالم. ويُترجم هذا إلى ما بين 470 ألف و700 ألف حالة وفاة مبكرة إضافية سنوياً، وخسائر في الإنتاجية تصل إلى 3.68 مليار دولار.

واستنادًا إلى هذه النتائج، يدعو الباحثون إلى اتخاذ إجراءات عاجلة.

وقالوا: «من المتوقع أن يؤدي ارتفاع درجات الحرارة إلى زيادة انتشار الخمول البدني، مما سيؤدي بدوره إلى وفيات مبكرة إضافية وخسائر في الإنتاجية، لا سيما في المناطق الاستوائية».

وأضاف الباحثون: «يُعدّ إعطاء الأولوية للتصميم الحضري المُتكيف مع الحرارة، وتوفير مرافق رياضية مُكيّفة مدعومة، والتوعية المُوجّهة بمخاطر الحرارة، أمرًا ضروريًا للتخفيف من هذه الأعباء الصحية والاقتصادية المُستجدة، بالإضافة إلى خفض الانبعاثات بشكل كبير».

ويُساهم تغير المناخ في زيادة حرارة العالم، حيث سُجّلت السنوات الثلاث الماضية كأكثر السنوات حرارة على الإطلاق.

ونتيجةً لذلك، باتت ممارسة الرياضة في أجزاء كثيرة من العالم أكثر صعوبة.

وفي دراستهم المنشورة في مجلة «ذا لانسيت غلوبال هيلث»، أوضح الباحثون، بقيادة كريستيان غارسيا–ويتولسكي: «يفرض التعرّض للحرارة قيودًا فسيولوجية من خلال زيادة الضغط على القلب والأوعية الدموية وزيادة الجهد المُدرَك، مما يُشكّل عوائق كبيرة أمام ممارسة النشاط البدني في الهواء الطلق». ولفهم كيفية تأثير ارتفاع درجات الحرارة على القدرة على ممارسة الرياضة، حلل الفريق بيانات من 156 دولة خلال الفترة من عام 2000 إلى عام 2022.

وترسم نتائجهم صورة قاتمة لما هو قادم، لا سيما في البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط.

وبحلول عام 2050، سيؤدي كل شهر إضافي بمتوسط درجة حرارة أعلى من 27.8 درجة مئوية إلى زيادة الخمول البدني بنسبة 1.5 في المئة عالمياً، وبنسبة 1.85 في المئة في البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط، بينما لن يكون هناك تأثير واضح في البلدان ذات الدخل المرتفع.

وكما هو متوقع، ستكون الزيادة الأكبر في الخمول البدني في المناطق الأكثر حرارة، وفقًا للباحثين.

ويشمل ذلك أمريكا الوسطى، ومنطقة البحر الكاريبي، وشرق أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وجنوب شرق آسيا الاستوائية، حيث قد يرتفع الخمول البدني بنسبة تصل إلى 4 في المئة شهرياً عند درجات حرارة أعلى من 27.8 درجة مئوية.

وكتب الباحثون: «إن تداعيات ذلك على الصحة العالمية فورية».

وبدون اتخاذ إجراءات تخفيفية أقوى، قد يؤدي ارتفاع درجات الحرارة وحده إلى تقويض – أو حتى عكس – جزء كبير من هدف منظمة الصحة العالمية المتمثل في خفض الخمول البدني العالمي بنسبة 15 في المئة بحلول عام 2030، مع تباطؤ النمو الاقتصادي في الوقت نفسه نتيجة انخفاض إنتاجية العمال بسبب الحرارة.

كما يقدم الباحثون عدة أفكار لتدابير يمكن اتخاذها للتخفيف من آثار ارتفاع درجات الحرارة، حيث يقترحون إمكانية دمج رسائل التوعية بمخاطر الحرارة في إرشادات ممارسة الرياضة، مع توجيه التمويل نحو إنشاء مرافق رياضية أكثر برودة.

وخلص الباحثون إلى أن «التعامل مع النشاط البدني كضرورة مرتبطة بتغير المناخ – وليس كخيار نمط حياة اختياري – سيكون أساسياً لمنع التحول نحو نمط حياة خامل مدفوع بالحرارة وما يصاحبه من ارتفاع في أمراض القلب والأيض والخسائر الاقتصادية».

يشار إلى أن اتفاقية باريس، التي وُقّعت لأول مرة عام 2015 والتي هي اتفاقية دولية للسيطرة على تغير المناخ والحد منه، تهدف إلى إبقاء الزيادة في متوسط درجة الحرارة العالمية أقل من درجتين مئويتين (3.6 درجة فهرنهايت)، ومواصلة الجهود للحد من ارتفاع درجة الحرارة إلى 1.5 درجة مئوية.

ويبدو أن الهدف الأكثر طموحاً المتمثل في الحد من الاحتباس الحراري إلى 1.5 درجة مئوية قد يكون أكثر أهمية من أي وقت مضى، وفقاً لأبحاث سابقة تشير إلى أن 25 في المئة من العالم قد يشهد زيادة ملحوظة في الجفاف.

وتتضمن اتفاقية باريس للمناخ أربعة أهداف رئيسية فيما يتعلق بخفض الانبعاثات: الأول هدف طويل الأجل يتمثل في إبقاء الزيادة في متوسط درجة الحرارة العالمية أقل بكثير من درجتين مئويتين فوق مستويات ما قبل الثورة الصناعية.

أما الهدف الثاني فهو السعي للحد من الزيادة إلى 1.5 درجة مئوية، حيث أن ذلك من شأنه أن يقلل بشكل كبير من مخاطر وتأثيرات تغير المناخ.

والهدف الثالث هو ضرورة بلوغ الانبعاثات العالمية ذروتها في أسرع وقت ممكن، مع إدراك أن ذلك سيستغرق وقتاً أطول بالنسبة للدول النامية. فيما ينص الهدف الرابع على القيام بتخفيضات سريعة بعد ذلك وفقاً لأفضل ما توصل إليه العلم.

المخابرات الأمريكية متهمة بـ«تسميم السماء»... وأجندة سرية للتحكم بالطقس

لندن – «القدس العربي»:

كشفت ملفات سرية للغاية لوكالة المخابرات المركزية عن خطط أمريكية للسيطرة على العالم من خلال التلاعب بالطقس.

وناقشت الوثائق، التي رُفعت عنها السرية عام 2003 موضوعاً مثيراً للجدل وهو تعديل الطقس، أي استخدام الصواريخ أو الطائرات لإلقاء مواد كيميائية في الغلاف الجوي لتغيير المناخ وأنظمة العواصف المحلية.

وقال تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي»، إنّه يُسيطر على الطقس يُسيطر على العالم».

وبعد 18 شهراً فقط من إلقاء هذا الخطاب الذي دعا فيه الولايات المتحدة إلى السيطرة على الطقس، أصبح جونسون الرئيس السادس والثلاثين للولايات المتحدة، وأشرف على مشروعين سيئَي السمعة مُصمَّمين للتلاعب بالطقس – مشروع ستورمفيوري ومشروع بوباي.

وبعد الخطاب، أظهرت السجلات أن برامج حكومية حقيقية كانت قيد التنفيذ بالفعل بحلول عام 1965، مثل مشروع ستورمفيوري، الذي كان يطير إلى الأعاصير ويحقنها بمادة تجميد تسمى يوديد الفضة في محاولة لإضعاف العواصف عن طريق تعطيل بنيتها الداخلية.

وأشارت رسالة جونسون، التي وردت ضمن تقرير وكالة المخابرات المركزية المكون من 18 صفحة، بعد سنوات من إيداعه سراً من الأرشيف العام لوكالة المخابرات المركزية، متضمناً رسالةً من الرئيس الأمريكي ليندون جونسون تُشيد بالعملية السرية.

وجاء تأييد جونسون لمشروع وكالة المخابرات المركزية لتعديل الطقس بعد ثلاث سنوات فقط من إلقائه خطاباً مُنذراً حول مستقبل أمريكا والعمل على إنشاء «أقمار اصطناعية للأرصاد الجوية» قادرة على تقوية العواصف.

وأثناء إلقائه خطاب التخرج في جامعة ولاية جنوب غرب تكساس في أيار/مايو 1962، قال نائب الرئيس آنذاك جونسون: «من يُسيطر على الطقس يُسيطر على العالم».

على الرغم من أن الوثائق التي ظهرت مجدداً من عام 1965 لم تذكر المواد الكيميائية المحددة المستخدمة في التجارب، إلا أنها ناقشت الحاجة إلى مزيد من التمويل لمشاريع تعديل الطقس التي ستُستخدم قريباً كسلاح حرب.

وفي الواقع، أشارت المذكرات إلى أن التمويل الفيدرالي للبرنامج السري كان من المقرر أن يرتفع أربعة أضعاف في عام 1967 – وهو نفس العام الذي بدأت فيه الولايات المتحدة برش مواد سامة فوق فيتنام لإحداث فيضانات وانهيارات أرضية.

وزعم منشور على موقع «إكس» أن وكالة المخابرات المركزية تسمم السماء وتتحكم في الطقس منذ عام 1965، وذلك بالاستناد إلى هذه الوثائق.

ونشر مُنظِر المؤامرة مؤخراً تقريراً من 18 صفحة، بعد سنوات من إيداعه سراً من ذلك العام، تحديداً إلى عمل المشروع في التلاعب بإعصار ضرب فلوريدا، يُعتقد أنه إعصار بيتسي، والذي وصل إلى لويزيانا كعاصفة قوية من الفئة الرابعة.

ومع ذلك، بحلول عام 1967، توسع هذا العمل ليشمل مشروع بوباي، الذي استُخدم ضد خطوط إمداد العدو خلال حرب فيتنام لإطالة موسم الأمطار الموسمية في البلاد بشكل مصطنع. وأشار مسؤولو المخابرات أيضاً إلى أنهم يحظون بدعم جونسون الكامل، الذي كان مصمماً على إفشال جهود الاتحاد السوفييتي للسيطرة على الطقس مع تصاعد التوترات العالمية.

وتؤكد الحكومة الأمريكية أن تعديل الطقس لم يُستخدم إلا للمساعدة في إضعاف العواصف الخطيرة وتحفيز هطول الأمطار في المناطق التي تعاني من الجفاف.

ومع ذلك، اتهم منظرو المؤامرة الذين يتداولون هذه الملفات وكالة المخابرات المركزية باستخدام هذه المشاريع لإبقاء العالم معتمداً على الحكومات من خلال تسليح العواصف، وحجب ضوء الشمس، وتسميم الإمدادات الغذائية بهدف إلحاق الأمراض بالناس عمداً.

وتركز هذه الادعاءات على ما يُسمى بـ«الآثار الكيميائية»، وهي الخطوط البيضاء التي تُرى من الطائرات النفاثة المحلقة على ارتفاعات عالية في الأيام الصافية، والتي تبدو وكأنها تنتشر وتتلاشى ببطء شديد.

ومنذ بدء جهود الحكومة لتعديل الطقس، زعم مؤيدو نظريات المؤامرة أن هذه الخطوط مليئة بمجموعة من المواد الكيميائية الخطيرة التي ترشها الطائرات العسكرية والتجارية فوق المدن المأهولة بالسكان.

وزعم أحدهم على مواقع التواصل الاجتماعي، دون تقديم أي دليل: «تلك الآثار الطويلة التي تُحوّل السماء الزرقاء إلى ضباب حليبي لساعات؟ ليست تكثّفاً. إنها سموم تتساقط على عائلتك، ومياهك، ورئتيك».

ووفقاً لوزير الصحة الأمريكي روبرت ف. كينيدي جونيور والباحث البيئي داين ويغينغتون، يُزعم أن الآثار الكيميائية تحتوي على سموم ومعادن، بما في ذلك الألومنيوم والباريوم والسترونتيوم وحتى الزئبق.

وزعم روبرت كينيدي جونيور في نيسان/أبريل 2025: «تُضاف هذه المواد إلى وقود الطائرات. سأبذل قصارى جهدي لوقف ذلك، وسأكشف هوية المسؤولين وأحاسبهم».

ولطالما اعتبرت الغالبية العظمى من العلماء هذه النظرية خاطئة، مؤكدين أن معظم آثار التكثيف، أو ما يُعرف بـ«الخطوط النفاثة»، ناتجة عن تجمد بخار الماء المنبعث من عوادم الطائرات وتحوله إلى بلورات جليدية عند اصطدامه بالهواء البارد على ارتفاعات عالية.

ومع ذلك، كشفت الملفات التي رُفعت عنها السرية، وتصريحات الرئيس السابق جونسون نفسه، عن أدلة جديدة تُشير إلى أن الولايات المتحدة كانت تخوض معركة خلال الحرب الباردة للسيطرة على تكنولوجيا التحكم في الطقس قبل الاستيلاء السوفييتي.

وأظهرت سجلات نُشرت للجمهور بعد حرب فيتنام أن الولايات المتحدة قامت بتلقيح السحب بمادة سامة تُسمى يوديد الرصاص لزيادة هطول الأمطار بالقرب من ممر هو تشي منه، ما تسبب في انهيارات أرضية وجعل الطريق غير سالك.

ويُعدّ يوديد الرصاص سماً للإنسان لاحتوائه على الرصاص، الذي قد يُسبب التسمم، والذي تتجلى أعراضه في الصداع، والإرهاق، وآلام البطن، وتلف الأعصاب، ومشاكل الكلى، واضطرابات النمو لدى الأطفال. ووفقاً للسلطات الصحية، لا يوجد مستوى آمن للتعرض له.

وزعم ويغينغتون، الباحث البيئي المخضرم الذي عمل في هذا المجال لثلاثين عاماً، أن نظرية المؤامرة المحيطة بظاهرة «الكيمترول» ليست صحيحة فحسب، بل إنها قد أضعفت قدرة الأرض على التغلب طبيعياً على التلوث البشري.

وأوضح أن التحاليل المخبرية لعينات الأمطار، وصور الطائرات المُجهزة خصيصًا والتي تحمل هذه المواد الكيميائية، والوثائق الحكومية، وشهادات المُبلغين، تُقدم جميعها أدلة واضحة على وجود برنامج سري يُحاول تسخير الطقس كسلاح.

وقدّرت تحاليل التربة أن الطائرات، التي يُزعم أنها مُجهزة بفوهات وخزانات سرية على أجنحتها، مملوءة بالألمنيوم والباريوم والمغنيز والجرافين وبوليمرات متنوعة، تُلقي ما بين 40 و60 مليون طن من الجسيمات النانوية في الجو سنويا.

الإنفاق على استيراد الأسلحة وهشاشة سياسة الأمن الإقليمي للدول العربية الخليجية

إبراهيم نوار

عندما بدأ والي مصر محمد علي سياسة مستقلة تجاه الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر كان إنشاء صناعات عسكرية محلية، من المدافع إلى البواخر والذخائر أساسا ضروريا لهذه السياسة. وعندما قررت إيران إنتهاج سياسة مستقلة تجاه العالم «لا شرقية ولا غربية» فإن إقامة صناعات عسكرية محلية كان أساسا لتلك السياسة. وعندما أرادت الولايات المتحدة الهيمنة على العالم فإن أهم أدوات تلك الهيمنة كانت صادرات السلاح والدولار. وتضع شروط الولايات المتحدة في تجارة السلاح أرضية للتبعية الدفاعية تفرضها على الدول المستويدة، بدءا من وضع الأهداف إلى اختيار الوسائل وصياغة الاستراتيجية الدفاعية، بما في ذلك تحديد وتعريف من هو العدو الذي يتم توجيه السلاح ضده، ومن هو الصديق الذي يمكن التحالف معه. ومع السلاح يلعب الدولار الدور المكمل في إتمام صيغة التبعية للولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا وسياسيا. ولذلك فإن الإنفاق الدفاعي لدولة ما، وخريطة المنشأ للأسلحة المستوردة، يشكلان جناحين لسياستها الدفاعية، مهما كانت صياغات البيانات السياسية المتلاعبة. الإنفاق الدفاعي لا يكذب على العكس من البيانات السياسية.

وفي هذا السياق فإن الإنفاق الدفاعي للدول العربية الخليجية يخضع لاختبار كبير وخطير في الظروف التي قد تؤدي حاليا إلى مسار يقود للتحول من الاعتماد على السلاح الأمريكي إلى الاعتماد على السلاح الإسرائيلي من خلال صفقات سرية أو معلنة، وقد تصل الأمور إلى ارتكاب حماقة إستراتيجية بإعلان الحرب على إيران. ولن يؤدي السلاح الإسرائيلي دورا في حماية الدول النفطية الغنية أكثر مما أدى السلاح الأمريكي. حقيقة الأمر هي أن التبعية الدفاعية التي تمثل أساس السياسة الدفاعية لدول الخليج ستنتقل جغرافيا من الولايات المتحدة إلى إسرائيل في هذه الحالة. ونحن هنا لا نتحدث عن أمر افتراضي، وإنما نشير إلى عملية بدأت بالفعل من خلال العلاقات العسكرية بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل، حيث أصبحت صادرات السلاح الإسرائيلي هي المحرك الأساسي لنمو التجارة المشتركة بين البلدين في السنوات الثلاث الأخيرة. إسرائيل تحاول حاليا اختراق سوق السلاح السعودي، الأكبر في الشرق الأوسط وأحد أكبر وأهم أسواق السلاح في العالم. ومن هنا تأتي ضرورة اخضاع دور السلاح المستورد في توفير الأمن العسكري ومواجهة التهديدات المباشرة وغير المباشرة للتدقيق وإعادة النظر، على ضوء تطورات الحرب الإسرائيلية – الأمريكية على إيران، حيث كشفت هشاشة دور منظومات الأسلحة المستوردة من الولايات المتحدة في حماية حدود الدول الخليجية من الاختراق. المفارقة الكبرى هنا هي أن القواعد العسكرية الأمريكية في دول الخليج هي الهدف الرئيسي الذي جلب الضربات الانتقامية الإيرانية إلى داخل حدود الدول الخليجية. ومن ثم فإن بقاء هذه القواعد سيظل عنصر تهديد للأمن القومي لدول الخليج النفطية العربية، كما أن السلاح الأمريكي سيظل عاجزا عن توفير الحماية لها في مواجهة أي تهديدات. تحقيق الأمن الإقليمي لن يكون بالانتقال إلى استيراد السلاح الإسرائيلي وإعلان الحرب على إيران، وإنما الحل هو وضع أسس سياسة دفاعية إقليمية مستقلة على أرضية صناعات عسكرية مستقلة وصيغة صحيحة لعلاقات الأمن الإقليمي. الدولة الصهيونية قد تزول لأنها كيان سياسي مصطنع، لكن زوال إيران مستحيل إلا إذا زالت المنطقة بأكملها.

إنطلاقا من هذه المقدمة نقدم في هذا المقال ملاحظات موجزة على العائد الحقيقي من الإنفاق الدفاعي لدول الخليج، وكيف أن مئات المليارات من الدولارات التي يتم إنفاقها على استيراد السلاح من الخارج كان يمكن أن تسهم في بناء صناعات عسكرية مستقلة ذات عائد دفاعي محترم، بدلا من هدرها في استيراد السلاح من الخارج بلا عائد تقريبا. وسوف نستعين بالأرقام المدققة عن الإنفاق الدفاعي الصادرة عن معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام «سيبري»، مع صياغة منهج لتقييم العائد الدفاعي الحقيقي طبقا لعدد من المعايير الدفاعية تضاهي كيفية قياس العائد على ما يقرب من 20 في المئة من واردات الأسلحة العالمية في الفترة 2021–2025. وخلال السنوات العشر الأخيرة (2016–2025)، كانت أنواع الأسلحة الرئيسية التي استوردتها دول الخليج العربي هي الطائرات والصواريخ – العمليات، وتعديل ميزان القوى الاستراتيجي تمثل وسيلة مفيدة في تدقيق العائد على الاستثمار الدفاعي والانفاق على استيراد السلاح. ومن حسن الحظ أن معهد سيبري نشر قبل أيام ورقة أعدها اثنان من الباحثين في برنامج تجارة السلاح، هما زين حسين وبيتر ويزمان، عن دور واردات الأسلحة في الحرب الحالية. وتقدم لنا الأرقام الواردة في الورقة صورة عن «البصمة الدفاعية» لدول المنطقة تظهر بوضوح أن إفراط دول الخليج في الاعتماد على الأسلحة المستوردة يمثل أكبر وأوسع ثغرات السياسة الدفاعية لتلك الدول.

إفراط في التبعية التسليحية

خلال السنوات الخمس الماضية، ذهب ما يزيد قليلا عن ربع إجمالي عمليات نقل الأسلحة الرئيسية دوليا – 26 في المئة – إلى الشرق الأوسط. ومن بين هذه النسبة، ذهبت الحصة الأكبر إلى دول الخليج العربية النفطية، ولا سيما السعودية والإمارات. واستحوذت دول مجلس التعاون الخليجي الست مجتمعةً على ما يقرب من 20 في المئة من واردات الأسلحة العالمية في الفترة 2021–2025، فإن استخدام معايير مثل النجاح في توفير قدرة على حماية الحدود، وتأمين المنشآت الاستراتيجية، والردع العسكري، والكفاءة في إدارة الرابع عشر من أكبر مستوردي الأسلحة في العالم خلال الفترة 2021–2025. ورغم امتلاكها صناعة أسلحة محلية ضخمة، إلا أنها متخصصة في مجالات محددة كالدفاع الجوي، ومعدات الاستخبارات والاستطلاع، والطائرات المسيّرة. والصواريخ. ويعتمد جيش الاحتلال الإسرائيلي بشكل كبير على الأسلحة المستوردة من الولايات المتحدة لتلبية العديد من احتياجاته الأساسية. فعلى سبيل المثال، نجد أن جميع طائرات إسرائيل المقاتلة العاملة حاليًا هي أمريكية الصنع. إضافةً إلى بما في ذلك صواريخ أنظمة الدفاع الجوي المستوردة من الولايات المتحدة، بما في ذلك أنظمة باتريوت وثاد المضادة للصواريخ الباليستية، ومجموعة متنوعة من أنظمة الدفاع الجوي الأخرى المضادة للطائرات المسيّرة وصواريخ كروز. كما تمتلك هذه الدول مخزونات كبيرة من الأسلحة المستوردة التي يمكن استخدامها لضرب أهداف في عمق الأراضي الإيرانية، ولا سيما الطائرات المقاتلة المتطورة، إلا أنها لم تُستخدم بعد في النزاع الحالي. وأنفقت حكومات الدول الخليجية في تمويل صفقات السلاح ما يعادل 20 في المئة من الإنفاق الحكومي الإجمالي. وكانت السعودية هي صاحبة النسبة الأكبر في الاستيراد منذ عام 2015 حتى الآن.

وطبقا لمعهد سيبري احتلت إسرائيل الموقع الرابع عشر من أكبر مستوردي الأسلحة الرئيسية دوليا – 26 في المئة – إلى الشرق الأوسط. ومن بين هذه النسبة، ذهبت الحصة الأكبر إلى دول الخليج العربية النفطية، ولا سيما السعودية والإمارات. واستحوذت دول مجلس التعاون الخليجي الست مجتمعةً على ما يقرب من 20 في المئة من واردات الأسلحة العالمية في الفترة 2021–2025، وخلال السنوات العشر الأخيرة (2016–2025)، كانت أنواع الأسلحة الرئيسية التي استوردتها دول الخليج العربي هي الطائرات والصواريخ – ذلك، تتمتع إسرائيل بمزايا استثنائية واسعة من الولايات المتحدة تسمح بدمج أنظمة فرعية مصممة محليًا في الطائرات المقاتلة الأمريكية العاملة في سلاح الجو الإسرائيلي، وهو ما يعكس عمق العلاقات العسكرية بين البلدين، ذلك أن الولايات المتحدة تفرض قيودا شديدة على مستوردي الأسلحة بشأن إدخال أو تطوير أنظمة الأسلحة المستوردة خصوصا في مجالات الأسلحة الحساسة مثل الطائرات المقاتلة القاذفة، والصواريخ والغواصات. وفي السنوات الخمس الأخيرة استوردت إسرائيل الأسلحة الرئيسية من ثلاث دول فقط هي الولايات المتحدة 68 في المئة، تليها ألمانيا بنسبة 31 في المئة، ثم إيطاليا بنسبة 1.3 في المئة. أما إيران، فهي ليست مستورداً رئيسيًا للأسلحة في العالم، إذ لم تتجاوز حصتها في واردات الأسلحة الإقليمية 0.2 في المئة خلال الفترة 2021–2025، وأقل من 0.05 في المئة من واردات الأسلحة العالمية. وعلى الرغم من مكانتها البارزة كقوة إقليمية، فإن إيران تستورد عددًا قليلاً جدًا من الأسلحة الرئيسية. كانت في السابق مستوردًا أكبر بكثير خصوصا من الصين وروسيا، لا سيما خلال تسعينيات القرن الماضي. وابتداءً من عام 2006، فرض مجلس الأمن الدولي سلسلة من قرارات حظر توريد الأسلحة إلى إيران. وكان الرد الإيراني على ذلك هو تكثيف إنتاجها المحلي من الأسلحة، وخاصة الصواريخ والطائرات المسيّرة. وبعد انتهاء الحظر في عام 2020، لم تعقد إيران صفقات كبيرة لاستيراد الأسلحة الرئيسية، وذلك بسبب تحقيقها مستوى عال من الاكتفاء الذاتي في الأنظمة التي تحتاج إليها. واستطاعت القوة العسكرية المحلية في الحرب الحالية، على الرغم من تواضع الإنفاق العسكري، الصمود والرد في آن واحد، بل إنها تمكنت من اختراق حواجز منظومة الدفاع الجوي الصاروخي التي أنشأتها القيادة العسكرية الأمريكية الوسطى وتوجيه ضربات قاسية إلى القواعد الجوية الأمريكية منها الضربة التي تعرضت لها قاعدة الأمير سلطان في الرياض والتي أدت إلى تدمير خمس طائرات لإعادة التزود بالوقود في الجو. منظومة الدفاع الجوي الصاروخي التابعة للقيادة العسكرية الوسطى للولايات المتحدة التي تشارك في تمويلها دول الخليج لم تحمها من الآثار الجانبية للهجمات الإيرانية المضادة بشكل كامل. وطبقا لتصريحات أطلقتها وزيرة التعاون الدولي في الإمارات ريم الهاشمي فإن منظومة الدفاع الجوي التي تحمي الإمارات تتكون من 7 طبقات مترابطة تبدأ من استهداف الطائرات والصواريخ في المجال الجوي المنخفض وتصل إلى الصواريخ التي تطير على ارتفاع شاهق في طبقات الجو العليا. هذا النظام يشبه في تصميمه نظام الدفاع الجوي الصاروخي الإسرائيلي مع فروق الكفاءة في الإدارة وفي التجهيزات التسليحية وقدراتها التكنولوجية.

قياس العائد من الإنفاق الدفاعي

تستخدم الدول العربية الخليجية التي استهدفتها إيران – البحرين والكويت وعُمان وقطر والسعودية والإمارات العربية المتحدة – أنظمة دفاع جوي مستوردة من الولايات المتحدة، بما في ذلك أنظمة باتريوت وثاد المضادة للصواريخ الباليستية، ومجموعة متنوعة من أنظمة الدفاع الجوي الأخرى المضادة للطائرات المسيّرة وصواريخ كروز. كما تمتلك هذه الدول مخزونات كبيرة من الأسلحة المستوردة التي يمكن استخدامها لضرب أهداف في عمق الأراضي الإيرانية. وهي ما ظهر بوضوح خلال فترة التورط العسكري السعودي في اليمن اعتبارا من عام 2015.

ويذكر تقرير معهد سيبري أنه من المرجح أن اعتراض آلاف الصواريخ والطائرات المسيّرة التي أطلقتها إيران على إسرائيل، والقواعد العسكرية والبحرية الأمريكية في المنطقة ودول الخليج العربي، قد أسفر عن كمية كبيرة من صواريخ الدفاع الجوي في عمليات اعتراض. وقد لاحظنا أن إيران قد عمدت في أول إسبوعين من الحرب إلى إطلاق كميات كبيرة من الطائرات المسيرة الرخيصة والصواريخ غير المتقدمة لاستنزاف ترسانة صواريخ الدفاع الجوي لدى الدول الأخرى. وإذا ما استُنزفت مخزونات هذه الصواريخ بشكل كبير، فقد نشهد اختراق المزيد من الصواريخ الإيرانية لأنظمة الدفاع الجوي في المنطقة، ما قد يُسبب خسائر بشرية وأضرارا أكبر بكثير مما حدث حتى الآن.

وتبلغ قيمة إجمالي الإنفاق الدفاعي لدول مجلس التعاون الخليجي ما يتراوح بين 150 إلى 200 مليار دولار سنويًا، تستحوذ السعودية والإمارات على النسبة الأعظم منه. في السنوات الخمس الأخيرة تراوح نصيب السعودية بين 75 إلى 78 مليار دولار سنويا (64 مليار دولار لعام 2026)، والإمارات بين 20 إلى 25 مليار دولار (27 مليار دولار لعام 2026). وتُعدّ دول مجلس التعاون الخليجي من بين الدول الأعلى إنفاقًا عسكريًا للفرد على مستوى العالم. ويذهب ما يتراوح بين 70 إلى 90 في المئة من الإنفاق العسكري الخليجي إلى موردي السلاح الأجانب خصوصا الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسرائيل. وتشمل واردات السلاح طائرات مقاتلة، وأنظمة للدفاع الجوي وسفنا حربية وصواريخ، وطائرات بدون طيار، وأجهزة إلكترونية عسكرية. وفي المقابل فإن نسبة ضئيلة جدا من الإنفاق العسكري تذهب إلى مشتريات محلية. وتتجه بعض الدول وأهمها السعودية إلى توطين صناعة السلاح محليا بالتعاون مع الشركات الأمريكية أساسا، وهو ما يبقي على نمط التبعية العسكرية لكن في صورة أخرى. وفي المقابل يختلف الإنفاق العسكري الإيراني اختلافاً كبيراً عنه في الدول العربية الخليجية، فهو يعتمد بشكل كبير على إنتاج الأسلحة محليا، مع واردات محدودة بسبب العقوبات. وطبقا لتقدير معهد سيبري يتراوح إجمالي الإنفاق العسكري الإيراني بين 7 إلى 10 مليارات دولار سنويا ما يعادل 5 في المئة من إجمالي الإنفاق العسكري الخليجي وحوالي 12 في المئة من الإنفاق العسكري للسعودية وحدها. ونظرا لعدم دقة وشفافية الأرقام الرسمية للإنفاق العسكري الإيراني فإن القيمة الحقيقية له قد تزيد إلى ما يقرب من ضعف قيمة الرقم الرسمي المعلن. لكن هذا لا يغير من حقيقة أن دول الخليج تنفق على الدفاع أضعاف ما تنفقه إيران. ويتم تمويل جزء كبير يقرب من 50 في المئة من خلال عائدات النفط، وغالبًا ما يكون ذلك خارج الميزانيات الرسمية. كذلك يتم ضخ أموال من المؤسسات الاقتصادية التابعة للحرس الثوري والمرشد الأعلى في الإنفاق العسكري. وتحصل هذه المؤسسات على موارد مالية ضخمة من خلال إيرادات الأخماس (التي يحصل عليها رجال الدين ووكلاء الولي الفقيه) وعائدات استثمارات المؤسسات الاقتصادية. وتصل مشاركة مؤسسات الحرس الثوري في تمويل الإنفاق الدفاعي إلى ما يقرب من 50 في المئة. الفارق الكبير بين الإنفاق الدفاعي الإيراني والإنفاق الخليجي يتمثل في أن أكثر من 90 في المئة من الإنفاق الإيراني يذهب للإنتاج المحلي للسلاح، في حين تذهب النسبة نفسها تقريبا بواسطة دول الخليج إلى موردي السلاح الأجانب. ونظرا لأن إيران لا تملك قوة جوية ذات مكانة إقليمية فإن صناعاتها العسكرية تركز على إنتاج الطائرات المسيرة والصواريخ والزوارق البحرية السريعة وذخائرها.

ويشمل العائد الدفاعي للإنفاق العسكري، مقدار التغير في القدرة على خفض المخاطر، وزيادة القدرة على الردع فعليا، والتغير في مستوى كفاءة العمليات العسكرية، إضافة إلى التغير في مستوى الاستقرار الإقليمي، مقابل كل دولار يتم تخصيصه للإنفاق الدفاعي. في المحصلة النهائية يجب أن يكون العائد الاستراتيجي لزيادة الإنفاق الدفاعي تغييرا في ميزان القوى مع دولتين أو أكثر من دول المنطقة المصنفة في خانة الخصوم أو الأعداء. وفي حال فشل الإنفاق العسكري في تحقيق هذا التغيير فإنه يعتبر مجرد هدر للموارد من أجل شراء الحماية الأجنبية أو الانحياز السياسي لصالح الدولة المشترية للسلاح في المحافل الدولية، خصوصا في مجلس الأمن. وقد رأينا منذ بداية تسعينات القرن الماضي صفقات عسكرية بين دول الخليج والدول الخمس الأعضاء في مجلس الأمن، بما في ذلك روسيا والصين، لا لغرض سوى الحد من احتمال صدور قرارات دولية في غير صالح الدول المشترية للسلاح.

ومن دون الدخول في تفاصيل شاقة أو مملة، فإن دول الخليج العربية لم تتمكن حتى الآن من خلق نظام للردع العسكري يحميها من هجمات خصومها، بما في ذلك ضد المنظمات غير الحكومية المسلحة. ولم تحقق السياسة الدفاعية الأهداف المرجوة من زيادة الإنفاق العسكري بشكل كامل. لكن هذا الإخفاق في تحقيق العائد الأمثل للمشتريات العسكرية الخليجية من الولايات المتحدة لا يعني أن نتيجتها هي الصفر، ولكنها حتى الآن أكبر من الصفر بكثير، حتى وإن كانت قد فشلت في تغيير موازين القوى العسكرية الإقليمية. الأمر يستدعي إذن إعادة النظر في السياسة الدفاعية الخليجية بأكملها، وأن تكون نقطة البداية هي إنهاء التبعية العسكرية الحالية لأمريكا، واستبعاد احتمال انتقال التبعية من أمريكا إلى إسرائيل.

«الدفع المؤجل» يزدهر في أفريقيا وسط تشدد في الضبط والتنظيم

نواكشوط ـ «القدس العربي»:
عبد الله مولود

يشهد قطاع «اشتر الآن وادفع لاحقًا»، توسعًا متسارعًا في أفريقيا، مدفوعًا بالانتشار الواسع للتجارة الإلكترونية وخدمات الدفع عبر الهاتف المحمول، في وقت تتجه فيه السلطات التنظيمية إلى تشديد الرقابة على هذا النوع من الائتمان الرقمي.

ويُتوقع أن يتحول هذا النمو السريع خلال السنوات المقبلة إلى سوق بمليارات الدولارات، لكنه قد يؤدي في المقابل إلى إعادة تشكيل المشهد التنافسي بين شركات التكنولوجيا المالية.

ووفق تقرير صادر عن شركة الأبحاث التجارية «ف Research and Markets» فإن حجم سوق الدفع المؤجل في أفريقيا مرشح للارتفاع من نحو 5.2 مليارات دولار في عام 2025 إلى 16.8 مليار دولار بحلول عام 2031، مدفوعًا بمعدلات نمو مرتفعة في قطاع الائتمان الرقمي الموجه للمستهلكين.

ويشير التقرير إلى «أن هذا القطاع حقق معدل نمو سنوي مركب بلغ 30.5 في المئة بين عامي 2022 و2025، في حين يتوقع أن يستمر في التوسع بمعدل يقارب 20.7 في المئة سنويًا بين 2026 و2031، ما يعكس تحولًا متزايدًا في سلوك المستهلكين الأفارقة نحو حلول الدفع المرنة التي تسمح بتقسيط المشتريات دون اللجوء إلى القروض التقليدية».

سوق تقودها التجارة الإلكترونية

في مختلف مناطق القارة، يتخذ نموذج BNPL شكل سوق ائتمان مجزأة، لكنها تزداد تنظيمًا وتداخلا مع متطلبات الدفع الرقمي والتجارة الإلكترونية. وتبرز عدة دول كمراكز رئيسية لهذا النشاط، على رأسها جنوب أفريقيا وكينيا ونيجيريا ومصر.

وتختلف أنماط انتشار هذه الخدمة بين هذه الأسواق. ففي جنوب أفريقيا يرتبط الدفع المؤجل بشكل وثيق بمنصات التجارة الإلكترونية ومتاجر التجزئة التقليدية، بينما يعتمد انتشاره في كينيا ونيجيريا بدرجة أكبر على خدمات الأموال عبر الهاتف المحمول والتطبيقات الرقمية متعددة الخدمات.

وتلعب شركات التكنولوجيا المالية دورًا محوريًا في هذا التوسع، حيث تقود شركات مثل Payflex في جنوب أفريقيا، و Lipa Later في كينيا، وvalU في مصر، و CredPal في نيجيريا عملية تطوير هذا القطاع.

كما بدأت منصات التجارة الإلكترونية في دمج هذا النوع من الخدمات ضمن خيارات الدفع؛ فقد عقدت منصة Jumia مثلا شراكات مع شركات تمويل استهلاكي لتوفير الدفع بالتقسيط مباشرة عند إتمام عمليات الشراء، ما يسمح للمستهلكين بتوزيع مدفوعاتهم على عدة دفعات، مع ضمان حصول التجار على مستحقاتهم فورًا.

دور الهاتف المحمول

إلى جانب التجارة الإلكترونية، تسهم منظومات الدفع عبر الهاتف المحمول في توسيع نطاق استخدام الدفع المؤجل ليشمل متاجر البيع التقليدية والنفقات اليومية. وتتيح خدمات مرتبطة بمنصة M–PESA مثل خدمة Faraja للمستخدمين شراء السلع أو الخدمات ودفع ثمنها لاحقًا.

كما دخلت شركات الاتصالات على خط المنافسة، مستفيدة من قواعد بياناتها الواسعة من العملاء لتقديم منتجات تمويل صغيرة تتجاوز التجارة الإلكترونية إلى مجالات مثل شراء الهواتف الذكية وخدمات الاتصالات وحتى أنظمة الطاقة الشمسية المنزلية.

غير أن النمو السريع لهذا القطاع دفع الجهات التنظيمية في عدة دول أفريقية إلى توسيع الأطر القانونية التي تحكم القروض الرقمية، بحيث تشمل منتجات الدفع المؤجل.

وتشمل هذه الإجراءات متطلبات الترخيص، وفرض معايير شفافية أكبر، إضافة إلى إلزام الشركات بتقييم قدرة العملاء على السداد.

وقد بدأت هذه السياسات بالفعل في رفع حواجز الدخول إلى السوق في دول مثل كينيا ونيجيريا ومصر، حيث أصبح مقدمو القروض الرقمية مطالبين بالحصول على تراخيص رسمية والامتثال لقواعد حماية المستهلك.

وحسبما ورد في التقرير فإن هذه التطورات ستؤدي على الأرجح إلى زيادة تكاليف الامتثال والمتطلبات الرأسمالية، وهو ما قد يصب في مصلحة الشركات الكبرى المدعومة من البنوك أو المستثمرين، في حين قد تجد الشركات الناشئة الصغيرة نفسها مضطرة إلى الاندماج أو الانسحاب من السوق أو الاكتفاء بتقديم حلول تكنولوجية.

نحو سوق أكثر تنظيمًا

ومع استمرار هذا الاتجاه، يتوقع أن يتجه سوق الدفع المؤجل في أفريقيا نحو عدد أقل من الشركات المرخصة لكن أكثر قدرة على إدارة المخاطر، مع توسع الشراكات بين شركات التكنولوجيا المالية والبنوك وشركات التأمين ومكاتب المعلومات الائتمانية.

وبينما يفتح هذا النمو آفاقًا واسعة لتعزيز الشمول المالي في القارة، فإنه في الوقت ذاته يضع قطاع التكنولوجيا المالية أمام مرحلة جديدة تتسم بالمنافسة العالية والرقابة التنظيمية الصارمة، ما قد يعيد تشكيل خريطة التمويل الرقمي في أفريقيا خلال السنوات المقبلة.

مدن وآثار

مدينة جبلة العراقية...
حكاية مكانٍ لم يسقط من التاريخ

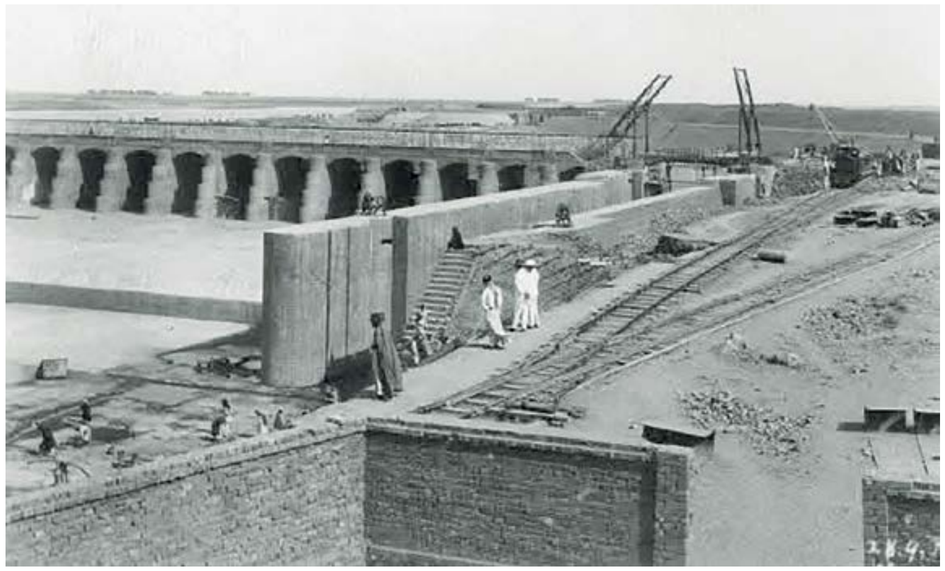

صادق الطائي

لا يمكن فهم مدينة كوثى – أو جبلة بصيغتها الإدارية الحديثة من دون الانطلاق من جغرافيتها بوصفها المفتاح الأول لتاريخها، فالمكان هنا ليس مجرد إطار محايد، بل عنصر فاعل في تشكيل هوية المدينة ووظيفتها عبر الزمن. تقع جبلة ضمن السهل الرسوبي الأوسط للعراق، في المنطقة الممتدة جنوب العاصمة بغداد، وقضاء كوثى إداريا هو أحد الأقضية التابعة لمحافظة بابل، مركزه مدينة جبلة، وتبلغ مساحته 874 كيلومترا مربعا وعدد نفوس المدينة حوالي 140 ألف نسمة، وتبعد عن مدينة الحلة 50 كم، ويشتهر القضاء بزراعة الخضراوات والفواكة والتمور ويضم مشاريع إروائية كبيرة وفي مقدمتها مشروع المسيب الكبير.

تمتد هذه المنطقة على تخوم الفرات، ضمن نطاق يتميز بانبساط الأرض وخصوبتها العالية، وهي خصوبة لم تكن نتاج الطبيعة وحدها، بل نتيجة تفاعل طويل بين الإنسان والنهر. فمدنية كوثى، في أصلها التاريخي، لم تكن مجرد موقع سكني عابر، بل نقطة ضمن منظومة مائية وزراعية معقدة، ارتبطت بشبكات أنهار وقنوات، كان أبرزها نهر كوثى نفسه، الذي شكّل أحد الشرايين الحيوية في المنطقة، وأسهم في تحديد نمط الاستقرار البشري وتوزعه.

الجغرافيا والتشكّل المكاني

هذا الموقع الوسيط، بين بابل التاريخية من جهة، ومناطق الفرات الأوسط من جهة أخرى، منح جبلة أهمية خاصة بوصفها حلقة وصل ضمن شبكة من المراكز الزراعية والحضرية. فهي ليست مدينة مركزية كبرى على غرار بابل، لكنها أيضا ليست قرية هامشية، بل تمثل نموذجا لما يمكن تسميته بـ«المراكز الثانوية الفاعلة»، التي تؤدي أدوارا اقتصادية وزراعية مهمة بدون أن تتحول إلى عواصم سياسية.

إن التحول في التسمية من كوثى إلى جبلة، لا يعني انقطاعا، بل يعكس تحولات إدارية واجتماعية شهدتها المنطقة في العصر الحديث، خاصة مع إعادة تنظيم الوحدات الإدارية في الدولة العراقية. ومع ذلك، بقي الاسم القديم حاضرا في الذاكرة المحلية والبحث التاريخي، بوصفه دالا على العمق الحضاري للمكان.

تكتسب مدينة جبلة أهميتها المعاصرة من كونها مركزا لمشروع المسيب الكبير الذي تم افتتاحه عام 1957، لذلك أطلق على المدينة لفترة من الزمن اسم ناحية المشروع، على اسم مشروع الري الجديد الذي مثل واحدا من أبرز مشاريع الري في العراق الحديث، والذي أعاد تشكيل الجغرافيا الزراعية في المنطقة بشكل جذري. غير أن هذا التحديث لم يُلغ البنية العميقة للمكان، بل أعاد توظيفها. فالأراضي التي كانت تُروى عبر القنوات القديمة، تحولت إلى أراض تروى بشبكة مشروع حديث، لكن وظيفتها الأساسية بوصفها أرضا زراعية بقيت ثابتة. وهذا ما يفسر استمرار الطابع الريفي–الزراعي للمنطقة، رغم مرورها بتحولات إدارية واقتصادية مهمة.

أما من حيث الاتصال المكاني، فإن جبلة ترتبط بشبكة طرق تربطها بالحلة وبغداد وبقية مدن الفرات الأوسط، ما منحها بعدا إضافيا بوصفها نقطة تواصل، لا مجرد مساحة زراعية مغلقة. هذا الارتباط ساهم في إدخال أنماط جديدة من الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وجعلها أكثر انفتاحا مقارنة بماضيها الريفي الخالص.

الاسم والتاريخ

يعتقد أن اسم المدينة جبلة يعود إلى كونها تحتوي على تلال فيها آثار تعود إلى أكثر من أربعة آلاف عام قبل الميلاد يتوسطها أحد المقامات التي تعود إلى النبي ابراهيم (ع) كما أطلق عليها اسم تل كوثي. والاسم القديم للمدينة كوثى له دلالة تتجاوز كونه مجرد تسمية جغرافية، إذ يرتبط بطبقات عميقة من التاريخ الرافديني، ويظهر في سياقات متعددة، دينية وتاريخية وجغرافية، ما يجعله من الأسماء التي احتفظت بحضورها عبر العصور، حتى وإن تغيّرت صيغ الاستعمال أو تراجعت أهميته الإدارية في الأزمنة المتأخرة.

يذكر مؤرخ المدينة د. كريم مطر حمزه الزبيدي في كتابه «صور من ماضي جبلة وحاضرها»، عن أصل تسمية المدينة: «ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان إن كوث: بالضم ثم السكون، والفاء مثلثة، والف مقصورة، تكتب بالياء لأنها رابعة في الاسم. وفي اللغة: كوث الزرع تكويثا إذا صار أربع ورقات وخمس ورقات وهو الكوث. وكوثي من المدن الأثرية في منطقة أكد السامية، وتعرف أطلالها اليوم بتل ابراهيم. تقع شرق مدينة المسيب على نحو ثلاثين كيلومترا منها، وعلى نحو خمسين كيلومترا شمال شرق أطلال بابل، وعلى بعد أقل من كيلو مترين من مركز ناحية المشروع جبلة التابعة لمحافظة بابل. ولكوثي ماض بعيد، وقد ذكرت في التوراة مرتين».

ويشير الآثاري العراقي طه باقر، في كتابه «مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة» إلى أن: «المدينة تعرف بالبابلية (كوتم)، وبالسومرية (gu-du-a)، ويمر عندها مجرى النهر القديم المسمى نهر كوثي. وتعد مدينة كوثى من أبرز مدن بابل الشمالية قبل نهوض بابل نفسها، وكانت تقع على نهر الفرات بحدود الألف الثالث قبل الميلاد، وهو المجرى الشرقي القديم المعروف بمجرى كوثي الذي يسير بمحاذاة نهر دجلة، وكان هذا المجرى يخرج من منطقة تقع في حوالي منتصف الطريق بين الفلوجة والمسيب، أي من فوق مدينة سبار القديمة فيمر فيها ثم يسير اتجاه تل ابراهيم ثم بلدة نيبور (نفر). ويتفرع من نهر كوثي، قرب مدينة سبار، فرع يجري باتجاه مدينة بابل».

وتأتي أهمية مدينة كوثي من كونها مركزا مرموقا للفكر الديني، ولها الإله الخاص بها نركال، وهو إله العالم الأسفل المذكور في التوراة، وكان له معبد عظيم يدعى أي–شد–لام أو أي–مسلام، وله زقورة تدعى أي–نبا أي دار الهلال، وتذكر بعض النصوص أن دونكي احد ملوك أسرة أور الثالثة، حوالي سنة 2300 قبل الميلاد، أعاد بناء المعبد والزقورة وجددهما.

في هذا السياق، لا يمكن النظر إلى كوثى بوصفها مجرد موقع جغرافي، بل بوصفها مركزا حضاريا نشأ ضمن منظومة المدن الأولى في وادي الرافدين، حيث تداخل الدين بالسلطة، والاقتصاد بالرمزية، في إطار المدينة–الدولة التي ميزت الحضارة السومرية ثم الأكدية والبابلية. وقد ورد ذكرها في عدد من النصوص القديمة، سواء في السجلات الملكية أو في النصوص الأدبية، ما يدل على أنها كانت مدينة معروفة ومؤثرة ضمن محيطها.

ومع انتقال المنطقة إلى العصور الإسلامية، استمر اسم كوثى في الظهور، لكن ضمن سياق مختلف. فقد ورد ذكرها في كتب البلدانيين والرحالة، بوصفها موضعا معروفا في أرض بابل، قريبا من الفرات، ومرتبطا بالأراضي الزراعية الخصبة. وتشير هذه المصادر إلى استمرار الاستيطان في المنطقة، وإن كان على نطاق أقل من المدن الكبرى، ما يدل على أن المكان لم يشهد انقطاعا سكانيا كاملا، بل حافظ على نوع من الاستمرارية، ولو بصيغ متغيرة.

ومن اللافت أن اسم كوثى ارتبط في التراث الإسلامي أيضا بروايات دينية، إذ يذكر ابن الأثير في كتابه «النهاية في غريب الحديث والأثر» حديثا يروى عن الإمام علي بن أبي طالب يرد فيه: «قال له رجل: أخبرني يا أمير المؤمنين عن أصلكم معاشر قريش، فقال: نحن قوم من كوثي»، أراد كوثي العراق، وهي سرة السواد، وبها ولد إبراهيم الخليل (ع). وفي حديثه الآخر: «من كان سائلا عن نسبنا فإنا قوم من كوثي»، وكذلك حديث يروى عن عبد الله ابن عباس (رض) «نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثي» والنبط هم أهل العراق.

كما ارتبطت المدينة بذكر النبي إبراهيم (ع)، حيث تشير بعض الروايات إلى أن مولده كان في هذه المدينة، أو في موضع قريب منها. وبغض النظر عن دقة هذه الروايات من الناحية التاريخية، فإنها تعكس حضور كوثي في المخيال الديني، وتحولها من مدينة ذات طابع وثني في العصور القديمة إلى موضع ذي رمزية في الذاكرة الإسلامية.

في العصور اللاحقة، ولا سيما خلال الفترات العباسية وما بعدها، تراجع ذكر كوثي بوصفها مدينة قائمة بذاتها، وبدأت تظهر بوصفها موقعا أو ناحية ضمن نطاق أوسع، وهو ما يعكس تحولات في الخريطة الحضرية للعراق، حيث تراجعت بعض المدن القديمة لصالح مراكز جديدة، نتيجة تغير طرق التجارة، أو تحولات سياسية، أو تغير مجاري الأنهار.

هذا التراجع لا يعني اختفاء الاسم، بل انتقاله من مستوى «المدينة» إلى مستوى «الموضع»، وهو تحول شائع في تاريخ المدن الرافدينية، حيث تتبدل الوظائف والأدوار، لكن الأسماء تبقى حاضرة، شاهدة على طبقات سابقة من التاريخ. وهنا تكمن أهمية كوثي، ليس فقط بوصفها مدينة قديمة، بل بوصفها اسما حافظ على استمراريته رغم التحولات.

وبهذا المعنى، فإن كوثي ليست مجرد اسم اندثر أو تبدّل، بل هي مثال على استمرارية المكان عبر تغيّر الأزمنة، حيث تبقى الجغرافيا حاضنة للذاكرة، حتى وإن تغيّرت الأسماء والوظائف. وهذا ما يمنح المدينة، في صيغتها الحديثة، عمقا يتجاوز حدودها الإدارية، ويجعلها جزءا من تاريخ أطول، يبدأ من المدن السومرية الأولى، ويمتد إلى الواقع العراقي المعاصر.

تحولات المكان

إذا كانت الجغرافيا قد منحت مدينة جبلة شروط الاستقرار الأولى، فإن البنية الاجتماعية والاقتصادية هي التي أعادت إنتاج هذا الاستقرار عبر الزمن، وحوّلته من مجرد إمكانية طبيعية إلى واقع معاش. ففي صيغتها الحديثة، ممثلة بناحية ومركز قضاء، تكشف المنطقة عن نموذج واضح لمجتمع ريفي–زراعي تشكّل في ظل تداخل عاملين حاسمين: الأرض بوصفها مصدر العيش، والماء بوصفه شرط الاستمرار.

يتكوّن النسيج الاجتماعي في جبلة من تجمعات سكانية ذات طابع عشائري واضح، حيث تلعب الروابط القرابية دورا محوريا في تنظيم العلاقات داخل المجتمع. غير أن هذه البنية العشائرية، على أهميتها، لم تبقَ جامدة، بل خضعت لتحولات تدريجية مع توسع مؤسسات الدولة، وظهور أنماط جديدة من العمل والتعليم، ما أفرز توازنا بين الانتماء التقليدي والانخراط في الأطر الحديثة.

كانت الزراعة تعتمد على أساليب تقليدية، مرتبطة بتقلبات النهر، وبقدرة الفلاح على إدارة موارده المحدودة. غير أن هذا النمط ظل هشا نسبيا، بسبب اعتماده الكبير على الظروف الطبيعية، خاصة في ظل تذبذب كميات المياه أو تغيّر مجاري الأنهار. ومع قيام الدولة العراقية الحديثة، بدأ تدخل الدولة في تنظيم المجال الزراعي يظهر بشكل أوضح، لكن التحول الحاسم جاء مع إنشاء مشروع المسيب الكبير نهاية خمسينيات القرن الماضي، والذي مثّل نقطة انعطافة في تاريخ المنطقة. فهذا المشروع لم يكن مجرد منشأة مائية، بل منظومة متكاملة لإعادة توزيع المياه وتنظيم استخدامها، ما انعكس مباشرة على طبيعة الإنتاج الزراعي.

أدى المشروع إلى توسيع المساحات المزروعة، وتحسين نوعية الري، وتقليل الاعتماد على التقلبات الطبيعية، وهو ما ساهم في استقرار الإنتاج الزراعي وزيادته. كما فتح المجال أمام إدخال محاصيل جديدة، وتطوير أساليب الزراعة، ما جعل المنطقة أكثر اندماجا في الاقتصاد الوطني، بعد أن كانت تعتمد بدرجة كبيرة على الاكتفاء المحلي.

لكن هذا التحول لم يكن اقتصاديا فقط، بل حمل في طياته آثارا اجتماعية عميقة. فمع تنظيم المياه، ظهرت الحاجة إلى تنظيم العمل، وتوزيع الأراضي، وإدارة الموارد بشكل أكثر مركزية، ما عزز حضور الدولة ومؤسساتها في حياة السكان. كما أدى ذلك إلى تراجع بعض أنماط التنظيم التقليدي، لصالح أشكال جديدة من العلاقات، تقوم على الملكية القانونية، والعمل المأجور، والانخراط في مؤسسات الدولة.

إلى جانب الزراعة، بدأت تظهر أنشطة اقتصادية مكمّلة، مثل التجارة المحلية، والخدمات المرتبطة بالحياة اليومية، خاصة مع تحسن شبكة الطرق وازدياد الاتصال بالمدن المجاورة. ومع ذلك، بقيت هذه الأنشطة محدودة نسبيا، ولم تتحول إلى بديل حقيقي عن الزراعة، التي ظلت العمود الفقري للاقتصاد المحلي.

على المستوى الاجتماعي، أفرزت هذه التحولات طبقة جديدة من المتعلمين والموظفين، خاصة مع انتشار التعليم وافتتاح المدارس، ما أتاح لأبناء المنطقة فرصا للانتقال إلى وظائف خارج القطاع الزراعي. وقد أدى ذلك إلى تغير تدريجي في بنية المجتمع، حيث لم يعد الانتماء إلى الأرض هو المحدد الوحيد للمكانة الاجتماعية، بل أصبح التعليم والعمل الحكومي عاملين مهمين في تحديد الموقع الاجتماعي.

ومع ذلك، ظل المجتمع محتفظا بجزء كبير من طابعه التقليدي، حيث استمرت العادات الاجتماعية، والروابط العائلية، وأنماط التضامن الداخلي، في لعب دور مهم في حياة الناس. هذا التداخل بين القديم والجديد خلق حالة من «الانتقال غير المكتمل»، حيث تتجاور أنماط مختلفة من العيش، دون أن يلغي أحدها الآخر بشكل كامل.

أما من حيث التحديات، فإن المنطقة، رغم ما حققته من استقرار نسبي، تواجه مجموعة من الإشكاليات، أبرزها تذبذب الموارد المائية، وتأثير التغيرات المناخية، وضعف التنوع الاقتصادي، ما يجعلها عرضة لتقلبات تؤثر في استقرارها على المدى الطويل. كما أن الاعتماد الكبير على الزراعة، دون تطوير قطاعات أخرى، يحدّ من إمكانات النمو الاقتصادي المستدام.

بهذا المعنى، يمكن النظر إلى جبلة بوصفها نموذجا لمجتمع ريفي عراقي يعيش على تخوم التحول، حيث لم يعد تقليديا بالكامل، ولم يصبح حديثا بشكل كامل أيضا. إنها مساحة تتقاطع فيها أنماط متعددة من الحياة، وتشهد تحولات بطيئة لكنها عميقة، تعكس تعلّم كيف يغيّر شكله كي لا يختفي

في جوهرها مسار الريف العراقي في القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين.

مدينة الاستمرارية الصامتة

ليست جبلة، في صورتها المعاصرة، مدينة صاخبة في التاريخ العراقي الحديث، ولا مركزا سياسيا أو اقتصاديا بارزا، لكنها في المقابل تمثل نموذجا مكثفا لما يمكن تسميته بـ«الاستمرارية الصامتة» في جغرافية العراق. فهي واحدة من تلك الأماكن التي لا تتصدر العناوين الكبرى، لكنها تبقى حاضرة في عمق البنية التاريخية والاجتماعية للبلاد.

إن تتبع مسار جبلة، من مدينة ذات حضور ديني في الحضارات الرافدينية القديمة، إلى موضع مذكور في كتب الجغرافيين المسلمين، ثم إلى فضاء زراعي أعيد تشكيله ضمن الدولة الحديثة، يكشف عن نمط خاص من البقاء، لا يقوم على القوة أو المركزية، بل على القدرة على التكيّف مع التحولات. فالمكان هنا لم يحافظ على نفسه عبر الثبات، بل عبر التحول المستمر، من دون أن يفقد جذره العميق.

في جبلة اليوم، لا تظهر آثار كوثى القديمة بوصفها أطلالا ضخمة أو معالم شاخصة، بل تتجلى في البنية غير المرئية للمكان: في توزيع الأراضي، في مسارات المياه، في أسماء المواقع، وفي الذاكرة المحلية التي ما زالت تحتفظ بشيء من ذلك الامتداد البعيد. وهذا ما يمنح المدينة خصوصيتها، بوصفها فضاء تتجاور فيه الأزمنة، من دون أن تكون حدودها واضحة تماما.

كما أن التحولات التي شهدتها المنطقة، خاصة مع مشروع المسيب الكبير، لم تقطع مع ماضيها، بل أعادت صياغته ضمن إطار جديد. فالزراعة، التي كانت أساس الحياة في كوثى القديمة، ما زالت تشكل جوهر النشاط الاقتصادي في جبلة، وإن اختلفت أدواتها وطرق تنظيمها. وهذا الاستمرار في الوظيفة، رغم تغير الشكل، هو أحد أهم مظاهر الاستقرار العميق للمكان.

غير أن هذا الاستقرار لا يخلو من تحديات. فالتغيرات البيئية، وضغوط الموارد المائية، وضعف التنوع الاقتصادي، كلها عوامل تضع المنطقة أمام اختبار مستمر، يفرض عليها أن تجد أشكالا جديدة من التكيّف، كما فعلت عبر تاريخها الطويل. وهنا يظهر السؤال الجوهري: هل تستطيع جبلة أن تحافظ على هذا التوازن بين الماضي والحاضر، في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها العراق؟

في النهاية، لا يمكن قراءة كوثى بوصفها مجرد صفحة من تاريخ قديم، ولا جبلة بوصفها وحدة إدارية حديثة فقط، بل بوصفهما معا تعبيرا عن استمرارية المكان العراقي، حيث تتراكم الطبقات، وتتبدل الأسماء، لكن الجغرافيا تبقى حاضنة لذاكرة لا تنقطع. إنها مدينة لا تُعرَف بما شهدته من أحداث كبرى، بل بما حافظت عليه من حضور هادئ، يمتد من عمق التاريخ إلى حاضر ما زال يتشكل. ليست كوثى مدينة بقيت، بل مكانٌ

رياضة

ريمونتادا وتسونامي وإفلاس في إياب ثمن نهائي دوري أبطال أوروبا!

أراوخو لاعب سبورتينغ يصرخ من فرحة فوز فريقه

لندن– «القدس العربي»: عادل منصور

كما كان متوقعا، لم تشهد مواجهات جولة الإياب للدور ثمن النهائي لدوري أبطال أوروبا، مفاجآت من العيار الثقيل أو حبكة درامية مختلفة عما شاهدناه الأسبوع قبل الماضي في مرحلة الذهاب، باستثناء العودة الملحمية التي حققها سبورتنغ لشبونة أمام ضيفه المزعج بودو غليمت، في ما عُرفت إعلاميا وفي عالم «السوشيال ميديا» بمعركة «الأحصنة السوداء» لهذه النسخة للبطولة، التي احتضنها ملعب «خوسيه الفالادي» وانتهت بفوز صاحب الأرض بخماسية نظيفة، وذلك بعد السقوط بالثلاثة في ذهاب ملعب «أسبميرا»، لتنتهي مغامرة فريق المدرب الشجاع كيتل كونتسن عند هذا الحد، بالرغم من الأفضلية التي تمتع بها الضيف الاسكندينافي في بداية المباراة على خلفية الفوز المريح الذي تحقق في موقعة الذهاب وما سبقه من انتصارات ونتائج أقل ما يُقال عنها تاريخية أمام عملاقة بحجم مانشستر سيتي وأتلتيكو مدريد والإنتر، فقد انهار الفريق النرويجي بطريقة فاقت كل التوقعات أمام الرغبة البرتغالية الجامحة والضغط الجماهيري الصاخب من أجل العودة إلى النتيجة، وكانت البداية باستقبال هدف عن طريق غونزالو إيناسيو بعد أول نصف ساعة في الشوط الأول، قبل أن يضيف بيدرو غونسالفيز ولويس خافيير سواريز ثاني وثالث الأهداف في الدقيقتين 61 و78 على التوالي، ما أدى إلى ذهاب المباراة إلى الأشواط الإضافية التي كانت شاهدة على كتابة الفصل الأخير في قصة هذا البودو مع الكأس ذات الأذنين، بعد استقبال الهدف الرابع عن طريق ماكسيميليانو أراوخو مع إطلاق صافرة بداية الشوط الإضافي الأول، وتبعه رافاييل نيل بإطلاق رصاصة الرحمة الخامسة في آخر لحظات الوقت المحتسب بدل الضائع، ليضرب سبورتنغ لشبونة عصفورين بحجر واحد، الأول أثبت بشكل عملي أنه المتحدث الأسود الحقيقي لهذه النسخة، والثاني وهو الأهم خطف بطاقة العبور إلى دور الثمانية بريمونتادا ستبقى عالقة في أذهان الجميع في العاصمة لشبونة لسنوات قادمة، وذلك قبل الاصطدام بالمرشح الأوفر حظا للفوز بلقب الدوري الإنكليزي الممتاز هذا الموسم أرسنال في مباراتي الدور ربع النهائي، بعد الفوز الاقتصادي الذي حققه فريق المدرب الإسباني ميكيل أرتيتا على مركز الظهير إلى جناح طائر، وبين ذاك وذاك قام بتعديل دور حارس المرمى، من أداة يقتصر دورها على منع الخصوم من هز الشباك، إلى مفتاح لعب الفريق في عمليات بناء الهجمات والتحضير من الخلف، والأهم بطبيعة الحال أسلوبه الكروي المستوحى من مدرسة «التيكي تاكا» الكتالونية، وغيرها من المواصفات التي بدأت تتحول إلى ذكرى، مع اختفاء وضياع البصمات المعروفة عن غوارديولا مع السيتي، مثلما يبدو في إصراره على اللعب بأربعة أو ثلاثة قلوب دفاع في الخط الخلفي، ومن ورائهم حارس لا يُجيد تمرير الكرة أكثر من 5 أمتار بشكل عمودي، والأعجب عودته إلى فصوله القديمة الباردة، من خلال المبالغة في التقلسف في المواجهات الفاصلة، على غرار ما فعله مع عمر مرموش، بإجلاسه على مقاعد البدلاء أمام الريال، رغم تألقه اللافت منذ عودته من المشاركة مع منتخب بلاده في كأس أمم أفريقيا، حتى أنطوان سيمينيو، قام بتعديل مركزه في المباراة الأولى، من جناح أيسر متوهج، إلى مهاجم ثان شبه مختف برفقة هالاند في الثلث الأخير من الملعب، وغيرها من الهفوات الفنية التي يرتكبها غوارديولا للموسم الثاني على التوالي، كمؤشر على نفاد طاقته وشغفه، كما حدث مع منافس الأمس بورغن كلوب، الذي اضطر للانسحاب في ظروف مشابهة بعد وصوله إلى قمة التشبع الكروي هناك في «الأنفيلد»، والآن وبعد الهزيمة المُذلة التي مني بها السيتي أمام ريال مدريد نسخة الفارو أربيلوا، التي لا تعتبر الأفضل للميرنغي منذ سنوات، فقد تصدق التوقعات التي ترجح خروجه من الباب الكبير بمجرد إطلاق صافرة نهاية الموسم الجاري.

الانتقام الباريسي

بالتزامن مع سقوط السيتي أمام الريال في عاصمة الشمال، كان تشلسي يعاني الأمرين أمام ضيفه الفرنسي الثقيل باريس سان جيرمان، في السهرة التي جرت على ملعب «ستامفورد بريدج»، وسط توقعات بأن ينجح كول بالمر ورفاقه في تكرار ما فعلوه أمام برشلونة في قمة مرحلة «الدوري المجمع» التي حسمها أبطال العالم بثلاثية نظيفة تحت قيادة المدرب السابق إنزو ماريسكا، لكن ما حدث هو العكس تماما، بعد انكشاف الفجوة الكبيرة بين الفريقين على مستوى الفوارق الفردية والقدرة على التعامل مع هذا النوع من الضغوط، إذ ظهر فريق البلوز بصورة المغلوب على أمره الذي يفتقر للمقاومات المطلوبة لمواجهة منافس بوزن وشراسة وحدة حامل اللقب، وهذا الأمر كان واضحا في تكرار الهفوات الفردية المخيبة للآمال على مدار المباراة، على غرار الهدية التي سجل منها كايوس تشلسي، كفارتاسيخليا أولى أهداف أثرياء عاصمة النور، قبل أن يضيف كل من برادلي باركولا وسيني مايولا ثاني وثالث الأهداف في ليلة إتمام الثأر من بطل المؤتمر الأوروبي، الذي قهر عثمان ديمبيلي ورفاقه في نهائي كأس العالم للأندية بثلاثية نظيفة هناك في الولايات المتحدة الأمريكية، واللافت أن عودة الفريق الباريسي جاءت بعد ارتفاع حدة الهجوم على المدرب لويس إنريكي ومشروعه في «حديقة الأمراء»، بعاصفة من الشكوك حول قدرته التي كان عليها في مثل هذه الأيام من العام الماضي، وكما رد بشكل عملي على كل من اتهمه بالجنون، بسبب تصريحاته الشهيرة بأن «بي إس جي» سيصبح أقوى وأكثر تحررا بعد انتقال هدافه التاريخي كيليان مبابي إلى مدينة «الفالديبياس» في صيف 2024، وقد كان الموسم الماضي بإظهار النسخة الأقوى والأفضل في تاريخ الكيان، وإخراج أفضل ما لدى اللاعبين وعلى رأسهم صاحب جائزة «الكرة الذهبية» كفاضل لاعب في العالم من قبل مجلة «فرانس فوتبول» عثمان ديمبيلي بعد الفوز بالسداسية التاريخية، ها هو الآن يكرر نفس السيناريو، بعودة واضحة للنسخة المهيبة المعروفة عن باريس سان جيرمان الذي يتعامل بكل قسوة وشدة مع خصومه، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمباريات الفارقة في مراحل خروج المغلوب، وذلك بعد الهزة التي تعرض لها الفريق في مرحلة الدوري المجمع، وكانت سببا في ضياع بطاقة العبور إلى دور الـ16 بشكل مباشر، وعلى إثرها خاض معركة حامية الوطيس مع غريمه المحلي موناكو في الملحق المؤهل للدور ثمن النهائي، قبل أن يعود لممارسة هوايته المفضلة، باستعراض قوته المفرطة أمام منافسيه الأقوياء، بانتصار أقل ما يُقال عنه كاسحا ومُهينا على البلوز بنتيجة 8–2 في مجموع مباراتي الذهاب والعودة، منها يكون إنريكي ورجاله قد نجحوا في رد الصاع صاعين لتشلسي بعد نهائي مونديال الأندية، ومنها بعثوا رسالة شديدة اللهجة للطامحين في إخراج «الأميرة الشقراء» من «حديقة الأمراء»، مفادها أن البطل لن يتنازل عن لقبه بأي شكل من الأشكال، والمفارقة أنه كما استهل مراحل خروج المغلوب الموسم الماضي بإقصاء ليفربول من دور الـ16 ثم أستون فيلا من دور الثمانية، سيواصل الاصطدام بخصومه الإنكليز، بمواجهة محمد صلاح ورفاقه في ليفربول في الدور القادم، وذلك بعد إزاحة البلوز من هذا الدور، فهل يا ترى ستكون أندية البريميرليغ بوابة العملاق الباريسي للاحتفاظ بلقبه للموسم الثاني على التوالي؟

تسونامي كتالوني

في اليوم التالي، انحصر التركيز في البداية على القمة الكتالونية الإنكليزية التي جمعت برشلونة بنيوكاسل يونايتد على ملعب «كامب نو»، في ما بدت في أول نصف ساعة وكأنها موقعة شبه متكافئة، لا سيما بعد نجاح فريق جيوش المدينة في العودة في النتيجة مرتين عن طريق أنتوني إيلانغا، لكن ما حدث في الشوط الثاني لم يجد له الغزال الأسمر تيري هنري سوى مصطلح «زلـزال عالمي» أثناء تحليله لمباريات الجولة عبر فضائية «سي بي إس» سبورت، محذرا من الخطر الذي بدأت تشعر به عمالقة أوروبا، مع عودة البارسا إلى الصورة المذهلة التي كان عليها مع هانزي فليك في النصف الثاني من الموسم الماضي. الفارق الآن أن لامين يامال بات أكثر نضجا، والخبر السار الآخر أن البطل البرازيلي رافينيا، بدأ يستعيد بريقه بنفس الصورة التي كان عليها قبل تعرضه لأكثر من إصابة في النصف الأول من هذا الموسم، حتى العجوز البولندي روبرت ليفاندوفسكي، تشعر وكأنه استعاد الكثير من شغفه في الأسابيع القليلة الماضية، وربما لو أحسن استغلال الفرص المحققة التي أتيحت له أمام نيوكاسل، لخرج من المباراة بأكثر من ثلاثة أهداف (هاتريك) بدلا من الاكتفاء بثنائية في شباك آرون رامسديل. الشاهد عزيزي القارئ أن حامل لقب الدوري والكأس في إسبانيا، ظهر في الشوط الثاني بصورة مغايرة تماما لتلك التي كان عليها في أول نصف ساعة من المباراة، فكانت النتيجة ذاك الحصار الذي استمر لمدة 45 دقيقة بالقرب من المناطق الدفاعية المحظورة للمنافس الإنكليزي، وأسفر في نهاية الأمر عن تسجيل أربعة أهداف دفعة واحدة، لينتهي اللقاء بمهرجان عن لقبه بأي شكل من الأشكال، والمفارقة أسلوبه الكروي المستوحى من مدرسة «التيكي تاكا» الكتالونية، وغيرها من المواصفات التي بدأت تتحول إلى ذكرى، مع اختفاء وضياع البصمات المعروفة عن غوارديولا مع السيتي، مثلما يبدو في إصراره على اللعب بأربعة أو ثلاثة قلوب دفاع في الخط الخلفي، ومن ورائهم حارس لا يُجيد تمرير الكرة أكثر من 5 أمتار بشكل عمودي، والأعجب عودته إلى فصوله القديمة الباردة، من خلال المبالغة في التقلسف في المواجهات الفاصلة، على غرار ما فعله مع عمر مرموش، بإجلاسه على مقاعد البدلاء أمام الريال، رغم تألقه اللافت منذ عودته من المشاركة مع منتخب بلاده في كأس أمم أفريقيا، حتى أنطوان سيمينيو، قام بتعديل مركزه في المباراة الأولى، من جناح أيسر متوهج، إلى مهاجم ثان شبه مختف برفقة هالاند في الثلث الأخير من الملعب، وغيرها من الهفوات الفنية التي يرتكبها غوارديولا للموسم الثاني على التوالي، كمؤشر على نفاد طاقته وشغفه، كما حدث مع منافس الأمس بورغن كلوب، الذي اضطر للانسحاب في ظروف مشابهة بعد وصوله إلى قمة التشبع الكروي هناك في «الأنفيلد»، والآن وبعد الهزيمة المُذلة التي مني بها السيتي أمام ريال مدريد نسخة الفارو أربيلوا، التي لا تعتبر الأفضل للميرنغي منذ سنوات، فقد تصدق التوقعات التي ترجح خروجه من الباب الكبير بمجرد إطلاق صافرة نهاية الموسم الجاري.

إفلاس ونهاية

بعد خماسية سبورتنغ لشبونة في شباك بودو غليمت، توجهت أنظار الملايين من عشاق كرة القدم الجميلة إلى ملعب «الاتحاد» للاستمتاع بالقمة الكلاسيكية المعتادة بين صاحب الأرض مانشستر سيتي وضيفه العريق ريال مدريد، وسط توقعات أن يظهر فريق المدرب بيب غوارديولا بصورة مختلفة عن تلك الحالة الباهتة التي كان عليها في ذهاب «سانتياغو بيرنابيو» الذي انتهى بثلاثية نظيفة للنادي الميريني، لكن بمجرد أن أطلق الحكم الفرنسي كليمان تورباان صافرة البداية، بدا وكأننا نشاهد الإعادة التلفزيونية لمباراة الذهاب، نفس الحالة الفنية المثيرة للشفقة والتخبط التكتيكي الذي تسبب في تعثر الفريق السماوي أمام نوتنغهام فورست في آخر اختبار في البريميرليغ قبل استضافة نادي القرن الماضي في القارة العجوز، ولو أن هناك بعض النقاد والمتابعين ربطوا بين النسخة التي كان عليها السيتي في سهرة الثلاثاء وبين تاريخ بيب المتواضع في ما يخص «الريمونتادا» والعودة من بعيد في الإياب كلما تعرض لهزيمة قاسية في الذهاب، وتجلى ذلك في الانطباع الذي تركه رودري ورفاقه في الدقائق التي سبقت اللقطة الحاسمة في اللقاء، بالظهور بثوب الفريق الجيد الذي يسعى لفك طلاسم اخطبوط اسمه تيبو كورتوا، لكنه لم يعط ذاك الإيحاء بأنه يملك من العزيمة والرغبة ما يكفي لقلب الطاولة على الريال، قبل أن تنقلب الأمور رأسا على عقب بعد الهفوة الساذجة التي ارتكبها النجم البرتغالي برناردو سيلفا، بإبعاد تسديدة فينيسيوس جونيور من على خط المرمى على طريقة حراس المرمى، ليحطم معنويات زملائه أكثر من أي وقت مضى، بالحصول على بطاقة حمراء في أول 20 دقيقة، ومعها ركلة الجزاء التي عوض بها فيني تلك الركلة التي أهدرها في المباراة الأولى، لتتحول من مباراة من المفترض أنها في أعلى مستوى تنافسي في أوروبا، إلى نزهة صيفية للريال في شرق آسيا أو الولايات المتحدة، وهذا الأمر كان واضحا في المقارنة شبه الجماعية في الجماهير من المدرجات، حتى بعد هدف حفظ ماء الوجه الذي سجله المدمر إيرلينغ بـراوت هـالاند بشق الأنفس قبل الذهاب إلى غرفة خلع الملابس بين الشوطين، حيث كانت الأغلبية التي تفهم قواعد اللعبة في الساحرة المستديرة، أن الأمور قد حُسمت بنسبة تلامس الـ99.9 %، والأمر لا يتعلق فقط بالطرد المبكر لزميل كريستيانو رونالدو في المنتخب، بل أيضا لغياب الروح القتالية المحفورة في الأذهان عن سيتي غوارديولا، وما وُصف على نطاق واسع بالحالة الانهزامية التي كان عليها الفريق بأكمله.

ويبقى المسؤول الأول دائما وأبدا عن غياب الرغبة والدافع عند اللاعبين هو المدرب، وذلك باعتراف غوارديولا الذي قال في جملة مأثورة «عندما تفشل في تجديد الرغبة والحافز عند اللاعبين، فهي اللحظة المناسبة للرحيل»، لكن الأخطر من هذه الجزئية، ما نشاهده من إفلاس كروي باللون السماوي، بظهور الفريق بصورة لا تتماشى أبدا عن الصورة المحفورة عن السيتيزينز المهيب تحت قيادة مُحدّث اللعبة في القرن الجديد، أو يمكن القول بضمير مستريح، إن السيتي يتبارى في تقديم المعنى الحرفي لـ«كرة القدم القبيحة»، التي لا تعبر أبدا عن أفكاره ومعتقداته المقدسة في صميم مهنته، كمدير فني ذاع صيته على سياسته الكروية المتطرفة التي ترتكز على الطاعة العمياء لتعليماته ومبادئه الثورية التي كانت في الماضي القريب لا تقبل حتى النقاش، أو كما تنظر إليه الأغلبية الكاسحة من قبل النقاد والمتابعين، باعتباره المدرب الأفضل عالميا في آخر 20 عاما على أقل تقدير، والرجل الذي أعاد اكتشاف مركز المهاجم الوهمي رقم (9.5) مع ليونيل ميسي، وحول مركز الظهير إلى جناح طائر، وبين ذاك وذاك قام بتعديل دور حارس المرمى، من أداة يقتصر دورها على منع الخصوم من هز الشباك، إلى مفتاح لعب الفريق في عمليات بناء الهجمات والتحضير من الخلف، والأهم بطبيعة الحال أسلوبه الكروي المستوحى من مدرسة «التيكي تاكا» الكتالونية، وغيرها من المواصفات التي بدأت تتحول إلى ذكرى، مع اختفاء وضياع البصمات المعروفة عن غوارديولا مع السيتي، مثلما يبدو في إصراره على اللعب بأربعة أو ثلاثة قلوب دفاع في الخط الخلفي، ومن ورائهم حارس لا يُجيد تمرير الكرة أكثر من 5 أمتار بشكل عمودي، والأعجب عودته إلى فصوله القديمة الباردة، من خلال المبالغة في التقلسف في المواجهات الفاصلة، على غرار ما فعله مع عمر مرموش، بإجلاسه على مقاعد البدلاء أمام الريال، رغم تألقه اللافت منذ عودته من المشاركة مع منتخب بلاده في كأس أمم أفريقيا، حتى أنطوان سيمينيو، قام بتعديل مركزه في المباراة الأولى، من جناح أيسر متوهج، إلى مهاجم ثان شبه مختف برفقة هالاند في الثلث الأخير من الملعب، وغيرها من الهفوات الفنية التي يرتكبها غوارديولا للموسم الثاني على التوالي، كمؤشر على نفاد طاقته وشغفه، كما حدث مع منافس الأمس بورغن كلوب، الذي اضطر للانسحاب في ظروف مشابهة بعد وصوله إلى قمة التشبع الكروي هناك في «الأنفيلد»، والآن وبعد الهزيمة المُذلة التي مني بها السيتي أمام ريال مدريد نسخة الفارو أربيلوا، التي لا تعتبر الأفضل للميرنغي منذ سنوات، فقد تصدق التوقعات التي ترجح خروجه من الباب الكبير بمجرد إطلاق صافرة نهاية الموسم الجاري.

لاعبو ليفربول يتصارعون على كرة عالية خلال الفوز على غالطة سراي

لاعبو برشلونة يحتفلون بالفوز الكبير على نيوكاسل

دي إيتاليا» بسداسية نكراء مقابل نفس الهدف، ونفس الأمر بالنسبة لحامل لقب البريميرليغ ليفربول، الذي ثأر لهزيمته أمام غالطة سراي التركي بهدف مقابل لا شيء في ذهاب اسطنبول، بفوز ساحق ومستحق برباعية بلا هوادة كانت قابلة للضعفين، في واحدة من ليالي ليفربول المهول الأوروبية في «الأنفيلد»، وفي رواية أخرى واحدة من أفضل عروض الريدز منذ بداية العام الجديد، حيث ظهر رجال المدرب آرني سلوت في أفضل حالاتهم الفنية والبدنية، وفي مقدمتهم كبير الهدافين في الدوري الحديث محمد صلاح، الذي عاد لاستكشاف شباك المنافسين على المستوى القاري، بتسجيل هدفه الشخصي رقم 50 في أعرق وأقدم كؤوس القارة العجوز، ومن حسن حظه، جاء الهدف بالماركة المعروفة عنه، بتسديدة مقوسة بقدمه اليسرى من على حدود منطقة الجزاء في المكان المستحيل على يمين الحارس المغلوب على أمره.

لكن ما أفسد فرحة المو تلك الانتكاسة العضلية التي أجبرته على طلب التغيير في آخر ربع ساعة، أما غير ذلك، فكانت ليلة مميزة للريدز ومدربه آرني سلوت، الذي بدوره تلقى دفعة معنوية لا تقدر بثمن من أجل تصحيح أوضاع الفريق في صراعه على المراكز المؤهلة الى دوري أبطال أوروبا، وأيضا قبل الاصطدام بمانشستر سيتي في كأس الاتحاد الإنكليزي ثم مقارعة باريس سان جيرمان في ربع نهائي الأبطال. وفي عالم مواز، اكتفى مدفعجية آرسنال بثنائية نظيفة في شباك بطل البوندسليغا الموسم قبل الماضي، لتوفير طاقة اللاعبين قبل تجديد اللقاء مع بيب غواردیولا وفريقه في المباراة النهائية لكأس كاراباو المقررة مساء اليوم الأحد على ملعب «ويمبلي»، ليشارك ليفربول في حفظ ماء وجه أندية البريميرليغ، التي تسابقت في الخروج أمام ممثلي الليغا على وجه الخصوص في هذه المرحلة، آخرهم توتنهام الذي ودع البطولة على يد أتلتيكو مدريد، بفوز معنوي بثلاثة أهداف مقابل اثنين في ملعب «توتنهام هوتسبر»، وذلك بعد الخسارة المذلة التي تعرض لها فريق المدرب الكرواتي إيغور تيودور بخماسية مقابل اثنين في «واندا متروبوليتانو»، وذلك كما أشرنا أعلاه بعد إقصاء مانشستر سيتي ونيوكاسل يونايتد على يد ريال مدريد وبرشلونة، وبينهما انحنى تشلسي أمام باريس سان جيرمان، لينحصر الصراع بين ثلاثة أندية من الدوري الإسباني واثنين من البريميرليغ وممثل وحيد لكل من فرنسا وألمانيا والبرتغال، بمواجهات أغلبها كلاسيكية ومن العيار الثقيل، وفي القلب منها قمة القمم بين ريال مدريد وبايرن ميونيخ، حيث سيقام لقاء الذهاب على ملعب «سانتياغو بيرنابيو» يوم 7 أبريل/ نيسان المقبل، على أن يستضيف «البانز آرينا» معركة الإياب في الأسبوع التالي من نفس الشهر، وكذلك الأمر للمواجهة المرتقبة بين حامل اللقب باريس سان جيرمان وليفربول، وأيضا بنفس توزيعة الموسم الماضي، بحيث يستضيف ملعب «حديقة الأمراء» ملحمة الذهاب، بينما «الأنفيلد» سيكون شاهدا على كلمة الفصل في العودة، بينما في إسبانيا سيكون برشلونة على موعد مع قمة بالصبغة المحلية امام الغريم العاصمي الثاني أتلتيكو مدريد، وأرسنال سيواصل مشواره المتوسط مقارنة بباقي الخصوم بمواجهة الحصان الأسود الصامد حتى الآن سبورتنغ لشبونة. مشاهدة ممتعة، وقراءة مفيدة، وعيد فطر سعيد على الجميع.

الإنكليز في التشامبونزليغ... أسود في الشتاء وحملان في الربيع؟

لندن – «القدس العربي»:

هل كان رئيس الاتحاد الأوروبي السابق، الفرنسي ميشيل بلاتيني، مُحقا حين وصف في فترة سابقة الأندية الإنكليزية بـ«أسود في الشتاء وحملان في الربيع» في تحليله لتألقها في دور المجموعات لمسابقة دوري أبطال أوروبا وإخفاقها في الأدوار الإقصائية.

في النسخة الحالية، كان الإنكليز ملوك دور المجموعة الموحدة بعدما حصل خمسة من فرقهم الستة على بطاقة التأهل المباشر إلى ثمن النهائي قبل أن يلحق بها السادس عبر الملحق. لكن جاء ذهاب الدور ثمن النهائي ليظهر إخفاقا جماعيا للإنكليز إذ عجز أي منها عن تحقيق الفوز وخسر مانشستر سيتي وتشلسي وتوتنهام بفارق ثلاثة أهداف أمام ريال مدريد وباريس سان جيرمان حامل اللقب وأتلتيكو مدريد الإسباني تواليا، كما خسر ليفربول في تركيا أمام غلاطة سراي بهدف، فيما تعادل نيوكاسل وأرسنال مع برشلونة وباير ليفركوزن.

وفي مباريات إياب الدور، تمكن ليفربول وأرسنال من قلب الأمور أمام غلاطة سراي وباير ليفركوزن بانتصارين سهلين، فيما تلقى نيوكاسل خسارة قاسية أمام برشلونة في «كامب نو» قوامها سباعية مقابل هدفين. وأكتملت كارثة البريميرليغ باقصاء السيتي وتشلسي وتوتنهام.

ولم تُترجَم الأفضلية المالية للدوري الممتاز مقارنة ببقية الدوريات الكبرى الأخرى في أوروبا، والناتجة عن عقود البث التلفزيوني الأكثر ربحية، في الأدوار المتقدمة من دوري الأبطال منذ فترة. وأبرز دليل على ذلك أن ثلاثة فقط من آخر 13 بطلا للمسابقة القارية كانوا من البريميرليغ. وكان أرسنال النادي الإنكليزي الوحيد الذي بلغ نصف النهائي الموسم الماضي، في حين لم يصل أي فريق إنكليزي إلى هذا الدور في موسم 2023–2024.

وغالبا ما يُبرر تراجع الأندية الإنكليزية بالإرهاق الناتج عن الجدول المرهق، كون البريميرليغ الدوري الكبير الوحيد الذي لا يعتمد عطلة شتوية وتقام فيه مسابقتان للكؤوس. وقال المدرب الهولندي لليفربول آرنه سلوت: «عموما، لا أعتقد أن غياب العطلة الشتوية مفيد للأندية الإنكليزية». ومن بين الأندية الإنكليزية الستة المشاركة في دوري الأبطال، بلغ أربعة منها نصف نهائي كأس الرابطة المحلية، كما شاركت خمسة منها في مباريات كأس الاتحاد الإنكليزي قبل أيام فقط من إخفاقاتها الأوروبية الأسبوع الماضي.

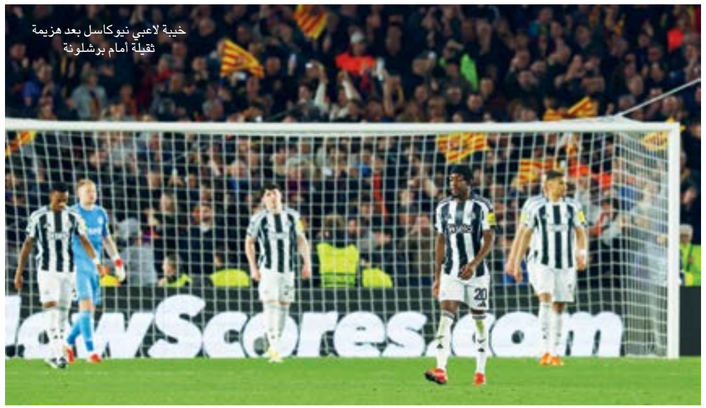
خيبة لاعبي نيوكاسل بعد هزيمة ثقيلة أمام برشلونة

الجميع مستعدون

رغم القوة المالية الجماعية للدوري الإنكليزي، فإن ثلاثا من مواجهاته الست في ثمن النهائي جاءت ضد أندية ذات إيرادات أكبر. فلا يزال ريال مدريد النادي الأغنى في العالم، وقد عاد إلى مستواه في الوقت المناسب ليُسقط مانشستر سيتي 3–0 في «سانتياغو برنابيو»، و2–1 في «الاتحاد». كما استعاد سان جيرمان حامل اللقب إيقاعه ليفوز على تشلسي 5–2 في باريس و3–0 في لندن، فيما خرج برشلونة سعيدا بالنتيجة أمام نيوكاسل بعدما انتزع لامين جمال التعادل من ركلة جزاء متأخرة، لكنه سحقه في كتالونيا 7–2. أما هزيمة توتنهام أمام أتلتيكو 2–5، فلم تكن مفاجئة نظرا لسوء نتائجه المحلية وصراعه من أجل البقاء في الدوري الممتاز، رغم أنه حقق نصرا معنويا في الإياب 3–2 في شمال لندن. الكثير من السيطرة. إنها لعبة ركض. الأمر يتعلق بالمواجهات الفردية». وقال سلوت هذا الشهر إن كرة القدم الإنكليزية لم تعد «ممتعة للمشاهدة» بسبب التركيز المفرط على الكرات الثابتة. وأضاف المدرب الهولندي: «هنا، يمكن أن تضرب الحارس في وجهه تقريبا، وسيقول الحكم واصلوا اللعب». والمفارقة أن سلوت نفسه أبدى غضبه تجاه الحكم الإسباني فيديريكو فالفيردي في الشوط الأول.

اختلاف الأساليب

أصبح الدوري الممتاز أكثر خشونة هذا الموسم، مع مباريات مليئة بالكرات الطويلة والالتحامات البدنية في الكرات الثابتة. وقال جناح نيوكاسل أنتوني غوردن في وقت سابق من الموسم إن «الإيقاع بدني بشدة. لا يوجد خيسوس خيل مانسانو الذي رفض السماح بأي احتكاك بدني داخل منطقة الجزاء والغى نتيجة ذلك هدف التعادل لليفربول في خسارته 0–1 في إسطنبول. ورد غواردیولا على التوجه البدني السائد في الدوري الإنكليزي عبر تعزيز القوة البدنية لفريقه، لكن ذلك جاء على حساب السيطرة والهدوء في الاستحواذ، فبدا السيتي عاجزا عن فرض نسقه وتعرض للاختراق مرارا، على غرار ما حصل في مدريد ذهابا حين اهتزت شباكه بثلاثية الأوروغواني فيديريكو فالفيردي في الشوط الأول.

هكذا اجتازت فورمولا – 1 «صواريخ» حرب الشرق الأوسط حتى إشعار آخر!

ملبورن – «القدس العربي»:

قبل أسبوع من انطلاق الموسم الجديد من منافسات سباقات فورمولا–1، أجبر اندلاع الحرب في الشرق الأوسط، الفرق والأفراد على التحرك بسرعة لضمان وصول الطواقم والمعدات إلى مدينة ملبورن الاسترالية في الوقت المحدد، ونجحت المهمة ممهّدة الطريق لانطلاقة سلسة للموسم الجديد.

وسجلت الجولة الأولى من بطولة العالم نجاحا جماهيريا كبيرا، حيث توافد نحو 484 ألف متفرج على حلبة «ألبرت بارك» محققين رقما قياسيا في الحضور. كذلك، شهدت عطلة نهاية الأسبوع أيضا نجاحا رياضيا بارزا، مع العديد من التقلبات واللحظات المثيرة، حيث تميّز السباق الافتتاحي بأداء مشوّق خصوصا خلال اللفات الأولى. وجاء ذلك بفضل تعبئة شاملة من جميع المسؤولين على الحلبة، ولا سيما إدارة الـ«فورمولا–1» التي تكيفت بسرعة مع الظروف الدولية، بما في ذلك إغلاق عدد من المطارات الحيوية مثل الدوحة ودبي وأبوظبي والبحرين.

وكان يتعيّن على العديد من أعضاء الفرق الـ11 المشاركة، العبور عبر هذه المطارات، إلى جانب شحنات ضخمة من المعدات واللوازم، لكن الحرب الدائرة في المنطقة حالت دون ذلك. وأوضح أحد مسؤولي الفرق الذي فضّل عدم الكشف عن هويته: «تدخل ستيفانو دومينيكالي، الرئيس التنفيذي للفورمولا–1، شخصيا لمساعدة الفرق. بدون جهود المنظمين لما كان من الممكن إقامة السباق. لقد أنجزوا عملا مذهلا، لا سيما من خلال تنظيم رحلات شحن خاصة». وأضاف المصدر: «من بين نحو 110 أشخاص يسافرون لكل سباق، كان علينا إيجاد حل لحوالي 40 منهم يمرون عبر الشرق الأوسط. وصل آخر الأعضاء إلى ملبورن مساء الأربعاء الذي سبق الحرب، وتمكنا بذلك من الالتزام بالجدول الزمني». وغداة اندلاع النزاع يوم السبت، تم إلغاء العديد من الرحلات، ما استدعى ردّ فعل سريع. وبحلول يوم الأحد، كانت معظم الرحلات التجارية المارة عبر آسيا ممتلئة، فاضطرت إدارة الفورمولا–1 التي كانت على اتصال مستمر مع الفرق والاتحاد الدولي للسيارات (فيا)، لتولي الأمور مباشرة.

رياضة الفورمولا–1 تتطلب نقل الافراد ومعدات ضخمة

أربع رحلات شحن خاصة

وأفاد مصدر مقرب من إدارة الفورمولا–1، بأنه تم في النهاية تنظيم «أربع رحلات شحن خاصة لنقل أكثر من 400 شخص»، مرّت بعضها عبر سنغافورة وأخرى عبر دار السلام في تنزانيا. وكان فريقا مرسيدس ومكلارين، إلى جانب مزود الإطارات بيريلي، في مقدمة المتأثرين بالنزاع، إذ كان من المقرر أن يشاركوا في اختبارات الإطارات في 28 شباط/فبراير في البحرين التي تعرضت لإطلاق صواريخ إيرانية مع اندلاع النزاع العسكري في ذلك اليوم. وقال المصدر: «اضطررنا لإجلاء الجميع بسرعة. فقد توجه بعضهم برا نحو السعودية، واضطر آخرون لقضاء ليلة في المطار قبل تمكنهم من السفر إلى لندن عبر مصر. ولحسن الحظ، تم وضع الجميع في أمان سريعا».

وتم تحويل شحن المعدات المتجهة عبر الشرق الأوسط إلى آسيا، ووصل كل شيء إلى ملبورن يوم الأربعاء. ومع ذلك، اضطر الاتحاد الدولي للسيارات أيضا للتكيف وإظهار مرونة للسماح للفرق بتجميع السيارات وتجهيزها للتجارب الحرة المقررة يوم الجمعة. وأوضح أحد أعضاء «فيا»: «عادةً ما يُفرض حظر على العمل ليلا يومي الأربعاء والخميس حتى لا تعمل الفرق على السيارات بعد ساعات العمل الرسمية، لكن بما أن معظم القطع وصلت متأخرة عما كان مقررا، قررنا تعليق هذا الحظر للسماح للفرق بالعمل حتى وقت متأخر من الليل».

وأظهرت الفورمولا–1 هذا الأسبوع قدرتها الاستثنائية على التكيف، والتضامن القوي الذي يسود بين جميع عناصر الحلبة. وقال مسؤول في أحد الفرق: «نحن منافسون على الحلبة، لكن خارجها نتعاون كثيرا، وخصوصا في هذا السباق. لقد عملت الفرق، مع فيا والفورمولا–1 معا بشكل وثيق خلال الأيام الماضية، ما أبرز الوحدة والتلاحم الذي يسود الفورمولا–1». لكن ثمة سمّ يأمل المسؤولون على رياضة السرعة عدم تجرعه، وهو وصول الروزنامة إلى سباقات الشرق الاوسط، والأوضاع لا تزال غير مستقرة، إذ يقام سباق البحرين في 12 نيسان/ابريل، وسباق السعودية بعد أسبوع منه.

كيف خرج مانشستر يونايتد من النفق المظلم؟

لندن – «القدس العربي»:

حين زفت إدارة مانشستر يونايتد البشرى السارة لجماهير النادي، بإعلان خبر رحيل المدرب البرتغالي السابق روبن أموريم، وتعيين نجم الفريق السابق مايكل كاريك على رأس الجهاز الفني حتى نهاية الموسم الجاري على أقل تقدير، كان الفريق يحتل المرتبة السابعة في جدول ترتيب أندية الدوري الإنكليزي الممتاز برصيد 32 نقطة، متأخرا بثلاث نقاط عن رابع الترتيب العام آنذاك ليفربول (بعد انتهاء الأسبوع الـ21)، لكن الآن وبعد مرور تسعة أسابيع كروية من لحظة توليه القيادة الفنية لأصحاب «أولد ترافورد»، قفز برونو فرنانديز ورفاقه إلى المركز الثالث في الجدول، بعد وصولهم إلى النقطة الـ54، وحدث ذلك بعد تحقيق الفوز في 7 مباريات مقابل تعادل وحيد أمام وستهام يونايتد وهزيمة للنسيان أمام نيوكاسل يونايتد، ولعل أبرز الانتصارات تلك التي تحققت في بداية مغامرة ملك التكتيك مع الشياطين الحمر، مثل تجاوز غريم المدينة مانشستر سيتي بثنائية نظيفة، وقهر المتصدر آرسنال على ملعبه «الإمارات» وأمام جماهيره بثلاثية مقابل اثنين، وغيرها من العروض المقنعة التي ساهمت في خروج الفريق من النفق المظلم وبسرعة فاقت كل التوقعات، والسؤال الذي يفرض نفسه في الأيام والأسابيع القليلة الماضية: كيف تمكن المدرب الأرجنتيني الشاب من إعادة اليونايتد إلى الطريق الصحيح؟ وهل يستحق الحصول على مكافأة كبيرة في نهاية الموسم؟ هذا وأكثر سيجيب عليه التقرير الآتي:

التأثير والشوائب

لا شك أبدا، أن وجود مدرب بنجومية وشعبية كاريك (كلاعب) داخل النادي، ساهم بشكل أو آخر في عودة الروح والثقة والشخصية للاعبين، لكن الشيء الأكثر أهمية ما يوصف على نطاق واسع بالانقلاب التكتيكي والفني الذي أحدثه داخل الفريق، والذي استهله بنسف وحرق كل مراكب أموريم القديمة، وبلغة كرة القدم، بدأ بالعمل على التخلص من جرائم سلفه الكروية، أبرزها التركيز على إستراتيجية تتماشى وتتناسب مع إمكانيات لاعبيه، وليس العكس كما كان يفعل المدرب السابق، الذي ظل يراهن على أفكاره حتى بعدما أثبتت التجارب على مدار أكثر من عام أنها لا تتلاءم ولا تتماشى مع قدراتهم، في القلب منها إصراره على بثلاثة مدافعين في محور قلب الدفاع، الأمر الذي كان يجعل الدفاع الأحمر يبدو وكأنه صيدا سهلا للمنافسين، بتلك المساحات الشاغرة التي كانت تُستغل في ظهر المدافعين المتقدمين إلى الأمام، بينما في حقبة تلميذ السير اليكس فيرغسون، فمن الواضح أن هذا الانتحار الكروي بات من الماضي، مع عودة الفريق إلى الأساسيات باللعب بأربعة مدافعين بالشكل المتعارف عليه، بواقع اثنين في محور قلب الدفاع واثنين بأدوار متوازنة بين الدفاع والهجوم في مركزي الظهير الأيمن والأيسر، وذلك بكتلة منظمة تعرف جيدا متى تبادر بالضغط المتقدم من الأمام ومتى تفعل خاصية «الانكماش»، وهذا يفسر سر التحول الجذري في شكل الدفاع ومعدل استقباله للأهداف، من منظومة شبه مستباحة لكل الخصوم إلى منظومة دفاعية متكاملة لا تقل صلابة عن نسخة ليفربول في أوج سنوات فيرجيل فان دايك، ونسخة مانشستر سيتي بدفاعه القوي في موسم الثلاثية التاريخية 2022–2023، ونفس الأمر ينطبق على منظومة خط الوسط، التي تحولت من نقطة ضعف وحلقة فارغة أمام ثلاثي الدفاع، إلى صمام الأمان وحائط الصد الحقيقي أمام المنافسين لحرمانهم من رفاهية التمرير بأريحية بمجرد أن تعبر الكرة دائرة المنتصف، معتمدا على الثلاثي المتناغم برونو فرناندیز وكوبي ماينو وكاسيميرو، بتوظيف الأول في مركز لاعب الوسط المهاجم أو صانع الألعاب الوهمي وخلفه ثنائي الارتكاز ماينو وكاسيميرو، وهذا ما يسهل من عملية الخروج بالكرة، وتنويع الأفكار من خلال الرهان على الحلول الفردية للقائد البرتغالي، الذي تحرر أكثر من أي وقت مضى، بعد إعفائه من جزء كبير من المهام والأدوار الدفاعية التي كانت تستنزف طاقته في حقبة مواطنه أموريم.

الحدة والهيبة

بمجرد أن تحسن الفريق دفاعيا وأصبح أفضل من حيث الانتشار والتنظيم على مستوى خط الوسط، ظهرت على الفور أنياب الشياطين الحمر في الثلث الأخير من الملعب، فبعد اعتماد أموريم على الومضات الفردية لماتياس كونيا وأماد ديالو وبرايان مبومو، تغير المشهد تماما تحت قيادة كاريك، برؤية ثلاثي الهجوم على مسافة قريبة، بدعم لا ينقطع أبدا من كاسيميرو وبرونو، تارة باختراقات من العمق، وتارة أخرى بالبحث عن حلول من على الأطراف، ولهذا ارتفعت نسبة الأهداف المحققة للفريق، وهذا الأمر احتاج للتخلص من السذاجة التكتيكية التي كانت تظهر في اندفاع وتسرع اللاعبين في اللمسة الأخيرة أمام مرمى المنافسين، والأسوأ كانت عدم الاستفادة دائما من رأس الحربة رقم (9) الذي كان عادة ما يعاني من العزلة بين أحضان المدافعين، لكن الآن، تحول هذا الدور إلى سلاح ردع للشياطين الحمر، كما يثبت الوافد الجديد بنيامين سيسكو، بأهدافه الحاسمة في الأسابيع الماضية التي عكست جودته وشراسته كمهاجم، على عكس الانطباع الذي أخذ عنه في بداية مشواره مع اليونايتد، كمهاجم خجول أو كسول تحت قيادة أموريم، هذا ولم نتحدث عن بصمة كاريك على أماد ديالو، الذي كان يبدل مضاعفا في مركز الظهير الجناح في طريقة 3–5–2 ومشتقاتها مع المدرب السابق، بينما الآن عاد إلى مكانه الطبيعي كجناح مهاجم بتعليمات هجومية تزيد على 70% لتوفير طاقته في اشتباكاته الفردية مع المدافعين، والرابح الأكبر هو الفريق الذي يستفيد من موهبته في المراوغة وصناعة الأهداف والفرص لرفاقه في الثلث الأخير من الملعب، حتى الدولي الكاميروني مبومو، عاد إلى مركزه الطبيعي كمهاجم ثان، شأنه شأن باقي الأسماء التي عادت لتتنفس كرة قدم في مركزها، مثل لوك شو، الذي ودع مركزه السابق كقلب دفاع ثالث، وعاد إلى مركزه المفضل كظهير أيسر، ونفس الأمر بالنسبة لهاري ماغواير، الذي عاد هو الآخر ليقود الدفاع في طريقة 4–3–2–1. باختصار، كاريك اكتفى بوضع اللاعبين المناسبين في مراكزهم المناسبة، وترك لهم حرية الأداء، فكانت النتيجة جمع 22 نقطة من أصل 27 نقطة كانت متاحة لليونايتد في الأسابيع التسعة الأخيرة، أو قبل مواجهة بورنموث على ملعبه في افتتاح مباريات الأسبوع الـ31.

هدوء وكاريزما

على النقيض من الصورة التي رسمها أموريم لنفسه، كمدرب مثير للجدل أمام الصحافيين، وأيضا كمدرب من النوع الصدامي سواء مع اللاعبين أو مجلس الإدارة، بتلك الطريقة التي عجلت بطرده من «مسرح الأحلام»، يبدو كاريك مختلفا بطريقة لا تقارن بسلفه، إذ تشعر وكأن وصوله لاقى ترحيبا من اللاعبين الذين يقدرون ويحترمون ما قدمه للنادي في مسيرته كلاعب، والأهم أنهم مدركون أن مدربهم الجديد يعرف كيف تدار الأمور داخل النادي، بما لديه من هدوء واتزان «النجوم الكبار» أمام وسائل الإعلام، وتعبير وجهه بنظراته المشعة خلف لحيته الخفيفة وهو يقف خلف الخطوط مرتديا معطفه الأنيق، وغيرها من التفاصيل البسيطة التي عززت الثقة بين اللاعبين ومدربهم الذي يجمع بين النجومية والاحترافية من جانب وبين تواضع الكبار من جانب آخر، وبالتبعية بدأ يتخلص الفريق من الطاقة السلبية وروح الكآبة التي كانت تسطير على غرفة خلع الملابس، كأفضل بداية لكاريك في مرحلة وضع الأساس الصحيح لعودة اليونايتد كما كان في عهد اليكس فيرغسون، فقط يحتاج الماضي قدما بنفس الطريقة حتى نهاية الجولة الأخيرة، وحال ضمن عودة الشياطين الحمر إلى دوري أبطال أوروبا، سيكون من الصعب تخيل أو انتظار قرار رحيله في فصل الصيف، بل على العكس، وفي الغالب سيتم تدعيمه بصفقات من الوزن الثقيل، أبرزها لاعب وسط ارتكاز مستقبلي لتعويض رحيل كاسيميرو، وذلك بعد ظهور أكثر من أمارة أو علامة على كفاءة وشخصية كاريك كمشروع مدرب من فئة الصفوة على المدى القريب أو المتوسط، لعل أهمها بالنسبة للجماهير، حفاظ اللاعبين على هدوئهم وتركيزهم بعد استقبال أهداف في أوقات صعبة، تلك المشكلة التي كانت شائعة أكثر من أي وقت مضى في عهد أموريم، بينما الآن بدأ الفريق يعتاد على العودة في الأوقات المتأخرة، كما حدث في البداية أمام آرسنال، واستمرت في عدة مناسبات أبرزها أمام فولهام، ووستهام وكريستال بالاس قبل أن يأتي الدور على أستون فيلا، الذي عاقبه اليونايتد بتسجيل هدفين في الدقائق الأخيرة، ردا على هدف التعديل الذي سجله روس باركلي في منتصف الشوط الثاني، فهل يا ترى سيحافظ كاريك على سلسلة انتصارات وعروض اليونايتد المقنعة؟ أم سيكون مجرد شهر عسل كما حدث من قبل مع أولي غونار سولشاير؟ دعونا ننتظر لنرى ما سيحدث.

مايكل كاريك يقود مانشستر يونايتد بهدوء وثبات

إعادة نهائي المغرب والسنغال... أو كلاهما خاسر!

خلدون الشيخ

لطالما اتهمت الكرة الافريقية على مر السنوات بانها عشوائية وغير منظمة، بل مليئة بشبهات الفساد والمحسوبيات، وانها أبعد ما يكون عن الاحترافية، وللذين يؤمنون بهذه الادعاءات فان ما حصل في الأيام الماضية قد يؤكد فرضياتهم.

الاتحاد الافريقي للعبة (كاف) متهم اليوم بأنه مهيمن عليه من الاتحاد المغربي للعبة، وأن للأخير نفوذا كبيرا عليه، ولهذا السبب كان سهلاً على الأول اتخاذ قرار تجريد السنغال من لقب كأس الأمم الافريقية الذي أحرزته قبل شهرين، واحتفلت به وصعد لاعبوها على قمة حافلة مفتوحة واستعرضوا الكأس الثانية في تاريخهم وسط حشد ضخم في العاصمة دكار. واعتمد الاتحاد الإفريقي في تجريده المنتخب السنغالي من اللقب لصالح المغرب المضيف على المادتين 82 و84 من اللوائح. وجاء في المادة 82 انه إذا انسحب فريق ما من المسابقة لأي سبب كان، أو لم يحضر لخوض مباراة، أو رفض اللعب، أو غادر الملعب قبل النهاية القانونية للمباراة من دون الحصول على إذن من الحكم، يُعتبر خاسرا ويُقصى نهائيا من المسابقة الحالية. وقالت المادة 84 أن الفريق الذي يخالف أحكام المادتين 82 و83 يُستبعد نهائيا من المسابقة. ويُعتبر خاسرا بنتيجة 0–3، ما لم يكن الخصم قد سجّل نتيجة أفضل في اللحظة التي توقفت فيها المباراة، وفي هذه الحالة تُعتمَد تلك النتيجة. ويجوز للجنة التنظيمية اتخاذ تدابير إضافية.

أي أن الذين يرون أحقية منح اللقب الى المغرب، فان السنغاليين ارتكبوا أخطاء "قاتلة" بالانسحاب قبل انتهاء وقت المباراة، رغم ان المدافعين عن اللقب السنغالي يجادلون بأن حكم المباراة، صاحب القرار النهائي في الملعب، لم يعلن انسحاب الفريق السنغالي، والدليل عودة اللاعبين واستكمال المباراة، حتى نهايتها، ومع ذلك، قالت لجنة الاستئناف في «الكاف» إن السنغال، بانسحابها من الملعب، خالفت لوائح البطولة وخسرت المباراة.

طبعا الاتحاد السنغالي وصف القرار بأنه «ظالم وغير مسبوق وغير مقبول»، وأكد أنه سيطعن على هذا القرار أمام محكمة التحكيم الرياضية في لوزان. وطبعاً المؤيدون للقرار ذكروا بحادثة مشابهة في السابق عندما تدخلت المحكمة الرياضية، التي تتخذ من سويسرا مقرا لها، عام 2019 عندما انسحب الوداد المغربي من إياب نهائي دوري أبطال أفريقيا احتجاجا أيضا على تقنية حكم الفيديو المساعد (فار). وفي هذه الحالة، رفض الفريق مواصلة اللعب وأعلن الحكم فوز منافسه الترجي التونسي، لكن اللجنة التنفيذية للكاف أمرت بشكل مفاجئ بإعادة المباراة. وهو ما قد يقود الى اقتراح وسطي بين السنغال والمغرب باعادة مباراتهما النهائية، وربما في بلد محايد.

ورغم أن الترجي رفع القضية إلى المحكمة الرياضية وتم إعلانه بطلا للقارة، بينما تعرض الكاف لانتقادات محرجة لمحاولته تجاوز قرار الحكم، وهو أيضا ما يقود في حالة السنغال، أن يتم تجاوز قرار «الكاف» والعودة الى قرار الحكم الرئيسي يوم المباراة. ومن المرجح أن يكون قرار الحكم الكونغولي جان–جاك ندالا بمواصلة المباراة في يناير/كانون الثاني الماضي بدلا من إيقافها وإعلان فوز المغرب بعد انسحاب السنغال، حجة قوية في أي نقاش لإعادة اللقب إلى السنغال. وتنص قوانين اللعبة على أن قرار الحكم نهائي.

اذا ستكون الاحتمالات الثلاثة قائمة خلال الأسابيع وربما الشهور المقبلة، أي بعد نظر محكمة «كاس» في القضية، والاحتمال الأول انه سيتم اعتماد قرار «الكاف»، أي بخسارة السنغال اللقب، لكن هذا لا يعني احتفالات عارمة في المغرب، التي فقدت بريق الفرحة في لحظتها، فلن تطلق السيارات أبواقها ولن يخرج الآلاف الى شوارع المدن المغربية احتفالا، أي أنه لقب بلا أي نكهة، حتى أنه لن يعيد مدربه الرائع وليد الركراكي الى سدة القيادة، علما أنه استقال على خلفية فشله في احراز كأس الأمم الافريقية. أما الاحتمال الثاني هو اعتبار قرار «الكاف» باطلا، ويعود اللقب الى السنغال، لكن مع ترك بصمة عار في جبين الاتحاد الافريقي، وفتح باب شبهات بالفساد والمحسوبية. وللتذكير بما حصل في يناير الماضي فان منتخب السنغال فاز على المغرب بهدف في النهائي، لكن لاعبي السنغال غادروا الملعب احتجاجا عندما احتسبت ركلة جزاء في الوقت بدل الضائع لصالح المغرب. وعاد اللاعبون السنغاليون بعد تأخير دام أكثر من 14 دقيقة، وتم التصدي لركلة جزاء «بانينكا» سددها المغربي إبراهيم دياز، قبل أن يسجل بابي غاي هدف الفوز في الوقت الإضافي لصالح السنغال، في دقائق ربما هي الأكثر اثارة وغرابة في تاريخ المسابقة.

لكن الاحتمال الثالث، هو إعادة المباراة النهائية، وقد تكون في بلد محايد، وهو قرار قد يرحب به المغاربة ويرفضه السنغاليون، لكنه قد يمنح الفرصة الى الجميع لتحقيق عدالة ظلت مفقودة حتى اليوم، وعدا عن ذلك فان الاحتمالين الأولين هما عبارة عن خسارة للقب لكلا المنتخبين المغربي والسنغالي.

@khaldounElcheik

مجتمع

جدل «الساعة الإضافية» وإيقاع الحياة اليومية للمغاربة

الرباط ـ «القدس العربي»:
ماجدة أيت لكتاوي

قبيل انتهاء شهر رمضان، تجدد في المغرب نقاش سنوي لا يخفُت صداه، يتعلق باعتماد الساعة الإضافية (غرينيتش +1)، في جدل يتجاوز كونه مسألة تقنية مرتبطة بضبط التوقيت، ليطرح أسئلة أعمق حول نمط عيش المغاربة، وحدود تدخل القرار العمومي في تفاصيل الحياة اليومية، ومدى قدرة السياسات العامة على تحقيق التوازن بين متطلبات الاقتصاد وحقوق الإنسان في الراحة والصحة.

فمنذ اعتماد الحكومة المغربية هذا التوقيت بشكل دائم سنة 2018، مع استثناء شهر رمضان الذي يتم خلاله الرجوع مؤقتا إلى «الساعة القانونية»، لم يتوقف النقاش حول جدواه وآثاره. وبينما تعتبره الحكومة خيارا يخدم المصلحة الاقتصادية، يرى جزء واسع من المغاربة أنه قرار مفروض لا ينسجم مع إيقاع حياتهم اليومية، خاصة خلال فصل الشتاء حيث يبدأ اليوم ويتوجه المواطنون وأطفالهم إلى العمل والمدارس تحت جنح الظلام.

ويجد هذا الجدل جذوره في تأثير هذا التوقيت على تفاصيل الحياة اليومية للمواطنين، من مواعيد الاستيقاظ المبكر، إلى ظروف الدراسة والعمل، مرورا بالإحساس العام بالإرهاق وعدم التوازن.

وفي كل مرة، يتكرر نفس المشهد، عبر موجة من التدوينات الغاضبة على مواقع التواصل الاجتماعي، ونقاشات إعلامية متصاعدة، وتساؤلات حول مدى جدوى هذا الاختيار، وما إذا كان قد بُني على تقييم علمي شامل يأخذ بعين الاعتبار مختلف الأبعاد الاجتماعية والنفسية والصحية.

في خضم هذا الجدل، برزت «الحملة الوطنية من أجل العودة إلى الساعة القانونية» كأحد أبرز الفاعلين المدنيين في هذا الملف، حيث أعلنت عن تسجيل إقبال لافت على العريضة الإلكترونية التي أطلقتها، وتجاوز عدد الموقعين 27 ألفا في ظرف زمني وجيز، في مؤشر واضح على تنامي الوعي المجتمعي بتداعيات هذا القرار.

وترى الحملة، في بيان لها، أن العودة إلى الساعة الإضافية بعد رمضان تستدعي مواصلة الترافع المدني، خاصة مع اقتراب فصل الصيف، الذي قد يفاقم من الآثار النفسية والاجتماعية لهذا التوقيت. كما أعلنت عزمها الانتقال إلى خطوات أكثر تنظيما، من خلال إعداد عريضة رسمية وفق المقتضيات القانونية، ومراسلة المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي من أجل فتح نقاش مؤسساتي قائم على معطيات علمية.

بل إن الحملة ذهبت أبعد من ذلك، حين دعت المواطنين إلى اعتماد «التصويت المشروط» خلال الاستحقاقات الانتخابية، عبر دعم الأحزاب التي تتبنى صراحة مطلب العودة إلى التوقيت القانوني، في محاولة لتحويل هذا الملف إلى قضية سياسية ذات وزن انتخابي.

عبد الإله الخضري، رئيس «المركز المغربي لحقوق الإنسان»، أكد بدوره على أن مسألة اعتماد الساعة الإضافية لا ينبغي اختزالها في بعدها التقني أو التنظيمي، بل يجب مقاربتها باعتبارها سياسة عمومية تمس بشكل مباشر جملة من الحقوق الأساسية، وعلى رأسها الحق في الصحة والراحة والحياة الأسرية المتوازنة. وأوضح أن المقاربة الحقوقية تفرض على الدولة احترام مبادئ الحوْكمة الجيدة، وفي مقدمتها الشفافية والمشاركة وربط المسؤولية بالمحاسبة.

وأضاف الخضري لـ«القدس العربي»، أن اعتماد إجراء يؤثر يوميا على الإيقاع الزمني للمجتمع، بدون استشارة واسعة وفعالة لمختلف الفاعلين والمتأثرين، يطرح إشكالا ديمقراطيا حقيقيا، خاصة في ظل تنامي المطالب بتكريس حق المواطنين في المشاركة في صياغة السياسات العمومية. كما أشار إلى أن الحق في الصحة والراحة لا يقتصر على الولوج إلى العلاج، بل يشمل أيضا شروط العيش السليم، بما في ذلك التوازن البيولوجي والنفسي المرتبط بالنوم والإيقاع اليومي.

ولفت إلى أن بعض الدراسات العلمية تشير إلى آثار محتملة للتوقيت الصيفي الدائم على اضطرابات النوم والإجهاد، خصوصا لدى الأطفال والعمال، معتبرا أن الاستمرار في العمل بهذا النظام دون تقييم علمي شفاف ومعلن قد يُطرح كإخلال بواجب الدولة في حماية هذا الحق.

بين الاقتصاد والطاقة

مقابل هذه المعطيات، تتمسك الحكومة بمبرراتها لاعتماد الساعة الإضافية، والتي ترتكز أساسا على تقليص استهلاك الطاقة وتحسين التوافق الزمني مع الشركاء الاقتصاديين، خاصة في أوروبا.

غير أن هذه المبررات أصبحت محل تشكيك، إذ تشير تجارب دولية، مثل تركيا، إلى عدم تحقيق نتائج ملموسة في استهلاك الطاقة، بل تسجيل زيادات طفيفة في بعض الحالات. كما يرى بعض الخبراء أن المكاسب الاقتصادية لهذا التوقيت تبقى محدودة، إذ يوفر ساعة إضافية للتعامل مع الاتحاد الأوروبي، لكنه يقلص التداخل الزمني مع أسواق أخرى مهمة، مثل بريطانيا والولايات المتحد الأمريكية.

بالنسبة للحقوقي عبد الإله الخضري، فالإشكال لا يكمن في تحرك الدولة ضمن منطق تحقيق المصلحة العامة، التي تشمل اعتبارات اقتصادية، مثل ترشيد استهلاك الطاقة أو تحسين التنافسية، وإنما في كيفية الموازنة بينها وبين الحقوق الاجتماعية، مؤكدا أن الدولة ليست مخيّرة بين الاقتصاد والحقوق، بل ملزمة بإيجاد توازن عادل يحفظ الكرامة الإنسانية وجودة الحياة.

وشدد المتحدث على أن جوهر الإشكال لا يتعلق فقط بالساعة الإضافية في حد ذاتها، بل بطريقة تدبير هذا الملف، متسائلا عما إذا كان اعتماد هذا التوقيت تم بناء على دراسات علمية مستقلة ومعلنة، وما إذا تم إشراك الفاعلين الاجتماعيين والتربويين والصحيين، وأخذ الرفض المجتمعي بعين الاعتبار. واعتبر أن غياب أجوبة واضحة يعزز الطابع الإشكالي للقرار، ويدفع نحو المطالبة بمقاربة أكثر ديمقراطية وتشاركية، قد تتجسد في فتح نقاش عمومي أو تنظيم مناظرة وطنية حول تدبير الزمن في المغرب.

البرلمان يدخل على الخط

وفي امتداد لهذا النقاش الحقوقي والمؤسساتي، دخل البرلمان بدوره على خط الجدل المتصاعد حول الساعة الإضافية، حيث طالب المستشار البرلماني خالد السطي عن «الاتحاد الوطني للشغل بالمغرب» رئيس الحكومة عزيز أخنوش بالكشف عن الحصيلة الاقتصادية والطاقية الحقيقية لاعتماد التوقيت الإضافي (غرينيتش +1) طيلة السنة، مع إعادة تقييم مدى نجاعة الدراسات التي استندت إليها الحكومة منذ سنة 2018 لتبرير هذا القرار.

وأوضح المستشار البرلماني في سؤال كتابي، أن العودة المؤقتة إلى التوقيت القانوني خلال شهر رمضان خلفت موجة ارتياح واسعة لدى المواطنين، الذين عبّروا عبر منصات التواصل الاجتماعي عن استعادة «راحة البال ووفرة الوقت»، ما يعكس التباين بين التوقيت الصيفي الدائم وإيقاع الحياة اليومية للأسر المغربية.

وأكد السطي أن استمرار العمل بالساعة الإضافية لا ينسجم مع تطلعات فئات واسعة من المجتمع، ولا يأخذ بعين الاعتبار انعكاساته الاجتماعية والنفسية والصحية العميقة. كما تساءل عن مدى قيام الحكومة بتقييم رسمي ومحايد يرصد آثار هذا القرار على الإنتاجية وجودة الحياة، خاصة بالنسبة للفئات الأكثر تضررا، مثل الأطفال والتلاميذ والنساء العاملات، مستفسرا عما إذا كانت المكاسب الطاقية المفترضة تعادل الكلفة الاجتماعية والنفسية التي يتحملها المواطنون.

ودعا الحكومة إلى مراجعة شاملة لهذا القرار، والعودة إلى العمل بتوقيت غرينيتش (GMT) بشكل دائم، أو على الأقل فتح نقاش وطني موسع يضم الخبراء والقطاعات المعنية والمجتمع المدني، بهدف التوصل إلى صيغة توازن بين المصالح الاقتصادية والاستقرار النفسي والجسدي للمواطنين.

من جهتها، أكدت البرلمانية عائشة الكوط، عن حزب «العدالة والتنمية»، أن التقارير والدراسات الحديثة، من بينها مذكرة «المركز الأفريقي للدراسات الاستراتيجية والرقمنة»، تشير إلى أن اعتماد التوقيت الصيفي بشكل دائم أدى إلى اضطراب مستمر لدى فئات واسعة من المغاربة.

وكشفت ورقة تحليلية صادرة عن المركز أن «الصباح المظلم»، ترفع من مخاطر حوادث السير، إلى جانب تقليص مدة النوم اليومية بما يصل إلى 32 دقيقة، خاصة لدى المراهقين، وهو ما ينعكس سلبا على التحصيل الدراسي والصحة النفسية.

كما أظهرت الدراسة أن هذا التوقيت قد يرتبط بزيادة مخاطر الإصابة بأمراض مزمنة، مثل السمنة والسكري وأمراض القلب، نتيجة اختلال الساعة البيولوجية، خصوصا في الدول الواقعة غرب المناطق الزمنية، مثل المغرب.

كما اعتبرت النائبة البرلمانية أن المبررات الاقتصادية والطاقية لم تعد مدعومة بأدلة واضحة في ظل التحول الرقمي، متسائلة عن الإجراءات التي ستتخذها الحكومة لمراجعة هذا النظام، وعن إمكانية نشر نتائج الدراسات التقييمية منذ 2018 لفتح نقاش عمومي شفاف ومسؤول حول هذا الملف.

قضية صحة عامة

وفي السياق ذاته، خلصت دراسة منشورة في المجلة الطبية البريطانية إلى أن التوقيت الصيفي يؤدي إلى اضطراب إيقاعات الجسم اليومية، ويؤثر على جودة النوم، ويرتبط بزيادة أخطار الحوادث والانتحار، فضلا عن تأثيره الأكبر على الفئات الهشة، مثل الأطفال والعمال الذين يباشرون عملهم في ساعات مبكرة.

كما تشير هذه الدراسات إلى أن تأخر التعرض للضوء الصباحي، مقابل زيادة التعرض للضوء المسائي، يربك الساعة البيولوجية، ويصعّب عملية النوم، ما يؤدي إلى تراكم التعب والإجهاد.

ما أثاره البرلمانيان المغربيان علاقة بالتأثيرات النفسية، سار إلى تأكيده محمد حبيب، أخصائي اجتماعي وباحث في علم النفس، مؤكدًا أن الساعة الإضافية لا يمكن اعتبارها مجرد خيار تقني محايد، بل هي قرار عمومي يعيد تشكيل إيقاع الحياة اليومية للمغاربة، بدون أن يواكبه نقاش مجتمعي كاف حول كلفته الإنسانية. وأوضح أن اختزال هذا الملف في أبعاده الاقتصادية فقط يتجاهل معطى أساسيا، يتمثل في أن الإنسان ليس آلة يمكن ضبطها بضغطة زر، بل كائن تحكمه توازنات بيولوجية ونفسية دقيقة.

وأبرز المتحدث لـ«القدس العربي»، أن فرض تغيير التوقيت بشكل متكرر يؤدي إلى إرباك الساعة البيولوجية، ما ينعكس مباشرة على جودة النوم، وبالتالي على التركيز والإنتاجية والمزاج العام. وأضاف أن الأدبيات العلمية تؤكد أن اضطرابات النوم، حتى وإن كانت طفيفة، ترتبط بارتفاع مستويات التوتر والقلق، وتراجع القدرة على التكيف، خاصة لدى الأطفال والفئات المهنية التي تعاني أصلا من ضغط يومي مرتفع.

أما على المستوى الاجتماعي، فقد أشار حبيب إلى أن هذا القرار يكشف عن فجوة في فهم واقع الأسر المغربية، حيث لا تتوفر جميع الفئات على نفس شروط التكيف. فهناك أطفال يضطرون إلى الذهاب إلى المدارس في ظلام الصباح، وأسر تعيد ترتيب يومها بصعوبة، ومستخدمون يواجهون اختلالا واضحا بين الزمن المهني والزمن الأسري. واعتبر أن الأمر لا يتعلق بانزعاج عابر، بل بخلل يمس جودة الحياة بشكل مباشر. وأضاف أن الإشكال الأعمق يكمن في أن هذا النقاش يُدار غالبا بمنطق أحادي، تُقدَّم فيه المبررات الاقتصادية كحقيقة مطلقة، في مقابل تهميش البعدين النفسي والاجتماعي، رغم كونهما عنصرين حاسمين في أي سياسة عمومية ناجحة. وخلص إلى أن الاستمرار في فرض الساعة الإضافية بدون تقييم علمي شفاف، وإشراك فعلي للخبرات النفسية والاجتماعية، يعكس اختلالا في ترتيب الأولويات، مؤكدا أن التنمية لا تُقاس فقط بمؤشرات الاقتصاد، بل أيضا بجودة حياة الإنسان وقدرته على العيش في توازن نفسي واجتماعي.

كعك العيد

المكونات

3 أكواب دقيق
كوب سميد ناعم
كوب سكر
كوب حليب دافئ
كوب سمن بلدي
2 ملعقة كبيرة سمسم
ملعقة كبيرة شمر
ملعقة كبيرة محلب مطحون
ملعقة كبيرة يانسون
ملعقة كبيرة حبة البركة
ملعقة صغيرة خميرة فورية
نصف ملعقة صغيرة بيكنغ باودر
رشة ملح

طريقة التحضير

نسخن الفرن عند درجة حرارة 180 درجة مئوية.

في وعاء كبير، نضع ربع كوب من الحليب، ثم نضيف الخميرة وملعقة كبيرة من السكر، ونقلب جيدًا. نغط الوعاء، ونتركه في مكان دافئ لمدة 15 دقيقة. نضيف الدقيق والسميد وباقي السكر والسمسم والشمر والحلب واليانسون وحبة البركة والبيكنغ باودر والملح، ونعجن جيدًا. نضيف السمن والزيت، ونعجن جيدًا حتى نحصل على عجينة طرية ومتماسكة.

نغطي العجين بغوطة نظيفة، ونتركه في مكان دافئ لمدة 30 دقيقة. نشكل العجين على شكل دوائر رفيعة السُّمك، ثم نرصها في صينية مدهونة بالزيت. نضع الصينية في الفرن لمدة 20 – 25 دقيقة حتى يُصبح الكعك ذهبي اللون. نضع الكعك في أطباق التقديم، ونتركه حتى يبرد، ثم نقدمه مع المشروبات الساخنة.

يمكنكم المساهمة في طبق الأسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى إيميل:
recipe@alquds.co.uk

ما تفعله في الثلاثينات يحدد شكل شيخوختك

قد لا تعرف أن أولى علامات الشيخوخة والتقدّم بالعمر تظهر في مرحلة الشباب، وخاصة في الثلاثينات. وهو ما يجعل هذه الفترة العمرية الأفضل للاستثمار في صحتك للمستقبل، لتشيخ بقوة أكبر ولياقة أعلى ودماغ أكثر صحة.

الشيخوخة قادمة لا محالة، ولكن بإمكانك بواسطة بعض الإجراءات والتغييرات أن تتقدّم بالعمر بصحة أفضل وتحسّن جودة حياتك وتتجنّب الكثير من الأمراض المزمنة.

تبدأ الشيخوخة منذ لحظة تكوّن الخلايا، وتبدأ أولى آثارها بالظهور في الثلاثينات من العمر بحسب دراسة في جامعة هارفارد الأمريكية، وهو ما يجعل هذه الفترة العمرية الفترة الذهبية والأهم للاستثمار في صحتك للمستقبل.

تتأثر الشيخوخة بعوامل عديدة، منها تدهور الخلايا والأعضاء، وطبيعة الأنسجة، والطفرات الجينية، ونمط الحياة، والمرض. وتتمثل بسمات جسدية وعقلية معينة، منها انخفاض كفاءة بعض أجهزة الجسم، مثل القلب، وضعف المفاصل والعضلات ووظائف الجسم الأخرى.

أما الأعراض الأكثر شهرة للشيخوخة فتتمثل بانخفاض الطاقة، وضعف الحركة، وهشاشة العظام وتغييرات في الذاكرة وتجاعيد الجلد الظاهرة، وفق جامعة هارفارد.

ماذا تأكل في الثلاثينات من عمرك؟

في فترة الثلاثينات تبدأ العديد من الأنظمة الفسيولوجية، سواءً كانت كتلة العضلات وقوتها، أو كثافة العظام، أو تنظيم عمليات الأيض، بإظهار أولى التغيرات الطفيفة المرتبطة بالتقدم في السن وفق شبكة «بي بي سي» البريطانية.

وأشارت دراسات سابقة أن الأشخاص الذين يتبعون نظاماً غذائياً صحياً في منتصف العمر كانوا أقل عرضة للإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية والتدهور المعرفي.

وعلى وجه التحديد، عليكَ تناول المزيد من الخضروات والفواكه وتجنّب الأطعمة المعالجة، إذ تحتوي أطعمة مثل البطاطا الحلوة والجزر، والمانغو والمشمش على مركبات كيميائية تلعب دوراً حيوياً في حماية خلايا جسمك من الإجهاد التأكسدي، وهو نوع من أنواع التلف الذي يصيب الخلايا.

كما يوصي الأطباء وأخصائيو التغذية بحسب «بي بي سي» بالصيام المتقطع، سواء صمت 16 ساعة وتناولت الطعام في الثماني ساعات المتبقية من اليوم، أو حتى اتبعت النظام الأسهل وهو صيام 12 ساعة وتناول الطعام 12 ساعة، سيكون لذلك تأثير إيجابي على صحتك.

يقول إريك فيردين، رئيس ومدير تنفيذي لمعهد باك لأبحاث الشيخوخة في كاليفورنيا: «عندما تصوم، فإن جسمك يركز على الترميم بدلاً من الهضم. أقول للناس: عندما تأكل، فأنت تبني. وعندما تصوم، فأنت تُرمم».

ويعدّ التعثر والسقوط وازدياد خطر الكسور من أبرز المخاطر التي تواجه كبار السن، والحل الأمثل لتقوية العضلات وزيادة مرونة الجسم هو ممارسة الرياضة. يقول بول مورغان، المحاضر الأول في التغذية والأيض بجامعة مانشستر متروبوليتان، إن الرياضيين يُظهرون لياقة بدنية أعلى وقوة عضلات أفضل في مرحلة الشيخوخة، وبالتالي يحافظون على قدرة أعلى على الحركة والاستقلالية لفترة أطول من غيرهم ممن لم يمارسوا الرياضة خلال شبابهم.

لا داعي للرياضات الصعبة أو العنيفة، قد يكفي ركوب الدراجة الهوائية أو ممارسة رياضة التنس والريشة الطائرة، حتى أن خمس دقائق من النشاط البدني يومياً كفيلة بزيادة قوة عضلاتك ولياقتك البدنية.

كما يُفضل الامتناع عن شرب الكحول أو حتى التخفيف منه في منتصف العمر؛ لأن الكحول يضرّ بوظائف الكبد ويسرّع الشيخوخة، ويؤثر سلباً على النوم. ولا شكّ أن للنوم الكافي والمنتظم دور مهم في صحة الدماغ، إذ يساهم في تجنّب ضمور الدماغ المرتبط بالعمر وتقليل خطر الإصابة بالخرف لاحقاً.

الحمل

لا تتردي الشريك من أجل هدفك

الثور

أنت سريعة التأثر بأي شيء اليوم

الجوزاء

تسعد للتغيير العاطفي الذي تمر به

السرطان

لا يمكنك التهرب من المسؤولية

الاسد

مسار حياتك على وشك أن يتحول بالكامل

العذراء

يحمل لك اليوم الكثير من المسرات

الميزان

له يتركك الشريك وحيداً

العقرب

كُفي تحركاتك ولا تتباطأ

القوس

تتمتع بحيوية فائقة

الجدي

غير أسلوب حياتك المعتاد اليوم

الدلو

لا تقلق فالحظ يدعمك

الحوت

تحقق الإنجازات نتيجة عملك المستمر

جديد الطب

دراسة: شبكات التواصل التي تعتمد المقاطع القصيرة خطيرة على الصحة النفسية

لندن – «القدس العربي»:

خلص تقرير دولي متخصص إلى أن التطبيقات الخاصة بمقاطع الفيديو القصيرة والتي تشجع على التصفح المستمر وتسبب الإدمان، مثل «تيك توك» و«إنستغرام»، تشكل خطراً بالغاً على الصحة النفسية، وهي أسوأ من برامج التواصل الاجتماعي الأخرى.

وقال تقرير السعادة العالمي إن تطبيقات مثل «تيك توك» و«إنستغرام» أسوأ على الصحة النفسية من تلك التي تعطي أولوية أكبر للتواصل مثل «فيسبوك» و«واتساب».

وقال تقرير نشرته جريدة «الغارديان» البريطانية إن معدي التقرير السنوي الذي يصدره مركز أبحاث الرفاه في جامعة أكسفورد، وجدوا أن نوع وسائل التواصل الاجتماعي المستخدمة ومدة استخدامها لهما تأثير كبير في رفاه المستخدمين. وبيّنت دراسة شملت 17 دولة في أمريكا اللاتينية أن استخدام «واتساب» و«فيسبوك» ارتبط بارتفاع مستوى الرضا عن الحياة، في حين أن استعمال منصات إكس وإنستغرام وتيك توك التي تتحكم بها الخوارزميات ومحتوى المؤثرين أدى إلى تراجع في السعادة، وإلى مشكلات في الصحة النفسية.

وتقول «الغارديان» إن هذه النتائج قريبة من دراسة أخرى أجريت في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وأفادت بأن التطبيقات الأكثر اعتماداً على المحتوى البصري والمؤثرين كانت أكثر إشكالية. وقال يان إيمانويل دو نيف، وهو أحد معدي التقرير، أن النتائج تشير إلى «الحاجة لإعادة الجانب الاجتماعي لمنصات التواصل»، مركزاً على ضرورة «تشجيع الشركات والمستخدمين على توظيفها لأغراض اجتماعية وللتواصل مع أشخاص حقيقيين».

وبيّنت النتائج أن الاستخدام المحدود لوسائل التواصل الاجتماعي لمدة ساعة أو أقل يومياً يؤدي إلى رضا أعلى عن الحياة، مقارنةً بعدم استعمالها تماماً. وأشار دو نيف إلى أنّ ذلك يجب أن يدفع الحكومات حول العالم إلى التريّث قبل السير على خطى أستراليا التي صارت أوّل دولة في العام تحظر منصات التواصل الاجتماعي على القاصرين تحت سن 16 عاماً في كانون الأول/ديسمبر الماضي. وأكد ضرورة إيجاد توازن، فلا الإفراط مفيد، ولا الانقطاع التام هو الخيار الأفضل دائماً.

وخلص الباحثون إلى أن استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بشكل مفرط يؤدي إلى تعاسة الشباب حول العالم، لكنّهم نبّهوا إلى أنّ مستويات سعادة الشباب تختلف من دولة إلى أخرى، بناءً على عدة عوامل، مثل تكاليف المعيشة والمستقبل المهني وغيرها من الأمور.

وتضمّن التقرير قائمة ترتّيب الدول حسب مستوى السعادة، وحلت فنلندا في المركز الأوّل للعام التاسع على التوالي، تلتها أيسلندا والدنمارك وكوستاريكا والسويد. فيما حلّت أفغانستان في ذيل القائمة، برفقة سيراليون ومالاوي.

بين الشوق والغلاء: الفسيخ يغيب عن موائد الغزيين في عيد الفطر

إسماعيل عبدالهادي

كان عيد الفطر في قطاع غزة يحمل نكهة خاصة، تمتزج فيها فرحة العيد برائحة الفسيخ التي تعبق في الأزقة والأسواق، إلا أن هذا العام يبدو مختلفاً، فارتفاع الأسعار وتدهور الأوضاع الاقتصادية، جعلا هذا الطبق الشعبي يغيب عن كثير من موائد الغزيين، تاركا خلفه شعورا بالحسرة والحنين إلى عادات طالما رافقت العيد.

ويعد تناول وجبة الفسيخ في أول أيام عيد الفطر، من العادات الشعبية المتجذرة لدى كثير من عائلات غزة، وأصبحت جزءا من التراث الاجتماعي، الذي يعبر عن الفرح بانتهاء شهر رمضان وبداية أيام العيد، وينظر إلى الفسيخ بوصفه وجبة رمزية تجمع العائلة وتعكس ارتباط المجتمع الساحلي بالبحر والأسماك منذ القدم.

ولطالما ارتبط تناول الفسيخ بأيام عيد الفطر، إذ اعتاد الناس شراءه من الأسواق الشعبية قبل العيد بيوم أو يومين، ليكون حاضرا على المائدة إلى جانب الخبز والبصل والليمون، وهذه العادة توارثتها الأجيال وباتت تمثل جزءا من الطقوس الاجتماعية التي تمنح العيد طابع خاصا.

وتعكس العادات الغذائية في الأعياد غالبا الهوية الثقافية للمجتمع، وهناك أطباق خاصة بالعيد في كل مناطق العالم الإسلامي.

وتشكل تجارة الفسيخ في موسم العيد مصدر دخل مهم لبعض التجار والصيادين في غزة، إذ تزداد حركة البيع والشراء قبل العيد بأيام حيث يقبل الناس على شراء الفسيخ، وبذلك تساهم هذه العادة في تنشيط الأسواق المحلية ودعم الاقتصاد الشعبي، ويعزو تجار تراجع الإقبال إلى الارتفاع الكبير في الأسعار، نتيجة زيادة تكاليف جانب تكاليف إضافية للحفظ والتخزين.

ويشير لـ«القدس العربي» أن سكان المناطق الساحلية من غزة هم الأكثر شهرة في بيعه، كمنطقة مخيم الشاطئ المطل على البحر، حيث اعتمد السكان تاريخيا على صيد الأسماك كمصدر أساسي للغذاء والرزق، ومع مرور الزمن تطورت طرق حفظ الأسماك، ومن تمليحها وتجفيفها، وهي الطريقة التي يحضر بها الفسيخ.

ولفت إلى أن حرب الإبادة على غزة، أفسدت طقوسا عديدة كان يحتفل بها الغزيون، فقد دمر الاحتلال مراكب الصيد، وما زال يمنع الصيادين من الإبحار بقوارب بدائية للصيد، وباتت غزة تعتمد على الأسماك المجمدة التي يتم استيرادها من الخارج بأسعار مرتفعة، ونتيجة لشح الاستيراد بسبب تعقيدات الاحتلال على المعابر، تشهد الأسواق شحا كبيرا وغلاء في أسعار ما هو متوفر من كميات قليلة.

يقول المواطن محمود أبو ناصر لا يمكن يأتي عيد الفطر بدون وجبة الفسيخ صباح أول يوم العيد، لما في هذه الوجبة من طقوس ممتعة مرتبطة بالعيد، وتحتفل الأسرة صباح العيد في تحضيره، إلى جانب قلاية البندورة مع البصل والليمون، واستمرار هذه العادة عبر الأجيال يعبر عن حرص المجتمع الغزي على الحفاظ على تقاليده الثقافية والهوية المحلية.

وبين لـ«القدس العربي» أن تناول الفسيخ في أول أيام عيد الفطر، يعد مثالا واضحا على تداخل الغذاء مع الثقافة والهوية الاجتماعية، فهي ليست مجرد وجبة، بل تقليد يحمل معاني الفرح والتواصل العائلي، والحفاظ على التراث الشعبي.

ويضيف: وجبة الفسيخ في غزة تضم مجموعة من العادات الاجتماعية، ومنها تحضير الخبز الطازج والسلطات، إلى جانب تبادل الأطباق بين الجيران والأقارب، هذه الممارسات تعزز روح المشاركة والتكافل الاجتماعي التي تميز أيام العيد، لكن من المهم تناوله باعتدال، بسبب احتوائه على نسبة عالية من الملح، ولذلك غالبا ما تقدم مع الخضروات الطازجة مثل البصل والطماطم والليمون، لتقليل أثر الملوحة وتحسين الهضم.

ورغم غياب الفسيخ عن موائد هذا العام، إلا أن الحنين إلى هذه العادة لا يزال حاضرا في أحاديث الغزيين، فبالنسبة لكثيرين يرتبط الفسيخ بذكريات العائلة ولمة العيد التي تمنح المناسبة طابعها الخاص. وبين الشوق إلى تلك التقاليد والواقع الاقتصادي الصعب، يبقى الأمل لدى كثير من السكان، بأن تعود الأيام التي يستطيعون فيها استقبال العيد بطقوسه الكاملة، حيث تتشارك العائلات فرحة المناسبة بدون أن تعيقها حسابات الغلاء.

منوعات

فيلم «هيدا»: لا جدوى من الحرية حين تُمنح لإنسانٍ لا يعرف كيف يستخدمها

مروان ياسين الدليمي

لا شيء يُغري السينما مثل العودة إلى المسرح. فالمسرح يمنحها عظام الفكرة، والسينما تُكسر تلك العظام لتعيد تشكيلها بلحم الضوء والظل. هذا بالضبط ما فعلته المخرجة نيا داكوستا في الفيلم الأمريكي «هيدا»، إنتاج 2025 حين أعادت إخراج النص الإبسني القديم من ركام القرن التاسع عشر، لتقدّمه في زمنٍ آخر لا يخصّ أحداً سوى الحاضر، حيث لا تزال الأسئلةُ نفسها تُطرَح عن الحرية، والهوية، والقدرة على ترويض الذات داخل أقفاص أنيقة. وابتداءً من اللقطة الأولى، ندرك أن الفيلم لا يريدُ أن يُجسّد نص بنية ذكورية فقط، بل بوصفها ضحية وعيها ذاته. هذا الانحراف عن الرؤية النسوية التقليدية لا يلغي بعدها التحرّري، لكنه يضيف إليه بعدًا أكثر عمقًا: التمرّد الذي يفقد مبرّره حين لا يجد من يوجّهه سوى الفراغ. هيدا لا تثور على زوجها أو على مجتمعها بقدر ما تثور على ذاتها التي تعجز عن الشعور. هي تعرف أنّ ما يقتلها ليس القيد، بل الملل. ولهذا فإنّ لحظة حملها للمسدّس لا تُقرأ بوصفها انتحارًا بل استعادةً لحقّها الأخير في الفعل. إنّها اللحظة التي يتحوّل فيها السلاح إلى أداة جمالية، والدم إلى توقيع نهائيّ على سيرة حياةٍ لم تجد معنى في أيّ شيء سوى نهايتها.

تتعامل المخرجة مع هيدا بوصفها مشروعًا فلسفيًا أكثر منها شخصية درامية. فهي لا تسأل: لماذا فعلت ما فعلت؟ بل: من تكون وهي تفعل؟ كأنّها تسحب الشخصية من فضاء الحبكة لتضعها في فضاء الفكرة. ومن هنا يكتسب الفيلم لغته الخاصة: لغة القلق. كلّ مشهد لهيدا يبدو كأنه مسرحٌ نفسيّ أكثر منه سلوك سردي. في نظرتها إلى المرآة، في طريقتها في لمس الستائر، في لحظات صمتها الطويلة حين يواصل الآخرون الكلام، هناك ما يشبه حوارًا داخليًا بين المرأة وصورتها، بين الإنسان ودوره الاجتماعي، بين الكينونة وما يتطلبه الآخرون منها لتكون.

من أبرز قراءات الفيلم أنّه لم يقدّم هيدا بوصفها ضحية بنية ذكورية فقط، بل بوصفها ضحية وعيها ذاته. هذا الانحراف عن الرؤية النسوية التقليدية لا يلغي بعدها التحرّري، لكنه يضيف إليه بعدًا أكثر عمقًا: التمرّد الذي يفقد مبرّره حين لا يجد من يوجّهه سوى الفراغ. هيدا لا تثور على زوجها أو على مجتمعها بقدر ما تثور على ذاتها التي تعجز عن الشعور. هي تعرف أنّ ما يقتلها ليس القيد، بل الملل. ولهذا فإنّ لحظة حملها للمسدّس لا تُقرأ بوصفها انتحارًا بل استعادةً لحقّها الأخير في الفعل. إنّها اللحظة التي يتحوّل فيها السلاح إلى أداة جمالية، والدم إلى توقيع نهائيّ على سيرة حياةٍ لم تجد معنى في أيّ شيء سوى نهايتها.

البنية الزمنية والمكانية

من اللقطة الأولى، يُعلن الفيلم أنه لا يريد السير في طريق إبسن المستقيم. فالزمن لا يتقدّم فيه كما يتقدّم في المسرح، بل يلتفّ على نفسه مثل حبل يُشدّ شيئًا فشيئًا حول عنق الشخصية. يبدأ الفيلم من حيث ينتهي عادة كل شيء: استجوابٌ بوليسيّ في غرفة معتمة، امرأة تواجه صدى رصاصة لم ترها بعد. بهذا الاختيار، لا تضعنا المخرجة في قلب الحدث فحسب، بل في قلب المأزق الزمني ذاته. فكل ما سيأتي لاحقًا ليس إلا ارتدادًا لتلك اللحظة الأولى، محاولة لاستعادة ما حدث، أو بالأحرى، ما لم يكن ممكنًا منعه.

في المسرح، الزمن كان خطيًا، مقيدًا بجغرافيا بيت واحد وليلٍ واحد. أما في الفيلم، فالزمن يتشظى، والمكان يَتوسعُ حتى يغدو مرآة لهيدا، لا جدرانًا تحاصرها. تنتقل الكاميرا بين القصر وحديقته، بين البحيرة التي تبتلع انعكاس السماء والمتاهة التي تبتلع خطوات البشر. كل مشهد هنا ليس موقعًا، بل حالة ذهنية. المتاهة ليست مجرد خلفية أنيقة، بل استعارة عن وعي لا يجد طريقه، والبحيرة ليست ديكورًا، بل مرآة للخطر الكامن في الداخل، أما القصر، بطلاته الفاخر وأبوابه الثقيلة، فيبدو كجسد امرأة جميلة تخفي تحت جلدها الخوف والعجز والرغبة في الهرب.

لكن هذا الانفتاح البصري، رغم جماله الأسر، يطرح سؤالًا لا يمكن تجاهله: هل يمكن للاتساع أن يُقنع بما كان يوجعه ضيّق المكان؟ المسرح منحنا انغلاقًا ضروريًا لفهم اختناق هيدا، بينما الفيلم يفتح الأبواب على مصاريعها، فيفقد أحيانًا ذلك الإحساس بالضغط النفسي الذي جعل النص الأصلي كغرفة بلا هواء. إنّ الحركة الدائمة للكاميرا تمنح الإغراء البصري، لكنها تنتزع التركيز عن جوهر الشخصية: امرأة تلتهمها رغبتها في السيطرة حتى على مصيرها الخاص.

التغييرات لا تتوقف عند الصورة. فإيلرت لوفبورغ، الذي كان في المسرحية رمزًا للرجل المفكر والمنافس الغامض، يتحوّل في الفيلم إلى إيلين لوفبورغ – امرأة، ومجازٌ جديد للرغبة والغيرة والتوق المكبوت. هذا التحوير لا يُحدث تغييرًا شكليًا فحسب، بل يُعيد رسم شبكة العلاقات من الداخل: لم تعد هيدا تواجه رجلًا يمثل خطرًا فكريًا، بل امرأة تُجسّد مرآة رغباتها غير المعلنة. هنا يصبح السؤال عن السلطة أكثر التباسًا: هل تكره هيدا خصمها أم تحسدها؟ هل تدمرها بدافع الغيرة أم بدافع الخوف من ذاتٍ أخرى تطلّ من داخلها؟

إذن الفيلم لا يقتبس النص، بل يعيد بناءه كما لو أنه يريد محاكمته في حاضر آخر. نحن في خمسينات بريطانيا لا في أوروبا القرن التاسع عشر، في زمن تتبدّل فيه لغة السلطة والجنس والطبقة. هذا النقل الزمني لا يبدو مجرد تحديثٍ إنتاجي، بل موقف فكري من النص نفسه، محاولة لإخراج هيدا من قيدها التاريخي وإدخالها في قيدٍ جديد: قيد المعاصرة. لكنها معاصرة مشروطة، متوترة، مشغولة أكثر بسطح الصورة من عمق العاطفة.

هكذا، يصبح الفيلم كمن يزرع زهرةً في مرآة: يراه جميلًا ومضيئًا، لكنه يظل بلا تربة. إنّ التحوّل من المسرح إلى السينما هنا ليس انتقالًا في اللغة، بل في الفلسفة. والنتيجة، عملٌ متألق بصريًا، لكنه مبلّل دومًا بشعور خفيّ بأنّ هيدا، مهما تغيّر شكل عالمها، لا تزال تلهث داخل قفصها الأول – قفص العقل.

الجمال والرمز

تحوّل المكان إلى استعارة كبرى عن السجن الناعم. القصر، بخطوطه الهندسية الدقيقة وأبوابه الثقيلة، يبدو مصممًا ليحتضن كل شيء إلا الحرية. لا يخرج أحد من هنا إلا عبر الخيال أو الموت. حتى الأثاث يبدو مُرتّبًا بعناية متطرفة، كأن النظام الجمالي جزء من القمع نفسه. وهنا يتقاطع البصري مع النفسي: الجمال يصبح شكلًا من أشكال التعذيب، والتنظيم يصبح وسيلة لتكريس الفوضى الداخلية. في منتصف الفيلم، تبرز المتاهة بوصفها المشهد الأكثر امتلاءً بالرمز. المتاهة الخارجية، تلك التي تتجول فيها الشخصيات في حفل ليليّ ليست سوى انعكاس للمتاهة الداخلية في عقل هيدا. المسارات الملتفّة، الشجيراتّ المتشابهة، الانعكاسات على سطح الماء، كلها تحاكي بنية التفكير الدائري لديها: كل فكرة تقود إلى فكرة أخرى، بدون مخرج. وعندما تتوه في هذا الفضاء، تبدو كأنها تتوه في دماغها الخاص، في شبكة من الأفكار المتصارعة التي لا تنتهي إلا إلى نقطة البداية.

الرمز الأشدّ قوة في الفيلم هو السلاح، تلك القطعة المعدنية الصغيرة التي ترافق هيدا منذ المشهد الأول. في المسرحية كان السلاح دلالة على التهديد والسيطرة، أما هنا فهو يتحول إلى علامة وجودية: امتدادٌ لجسد يريد أن يتحكم في مصيره، ولو عبر الفناء. السلاح ليس أداة عنف، بل تمثال صغير لإرادة مكسورة. حين تمسكه، لا تمسك الحديد بل وهم القوة، وعندما تطلقه، لا تقتل أحدًا سواها.

في النهاية الفيلم يذكّرنا بأن الفن لا يُعطي الأجوبة، بل يُحيلنا إلى المرايا، تلك التي لا تعكس وجوهنا فحسب، بل تكشف ما نحاول ألا نراه في أعماقنا.

حين يُغلق الفيلم آخر لقطاته على وجه هيدا، يتبدّى لنا أن كل ما سبق لم يكن سوى محاولة بصرية لتجسيد سؤال قديم بملامح جديدة: ما الذي تفعله الحرية حين تُمنح لإنسانٍ لا يعرف كيف يستخدمها؟ إبسن كتب عن امرأة أسيرةً المجتمع، أما الفيلم فيكتب عن امرأة أسيرة ذاتها. وبين هاتين الصورتين تمتدّ المسافة التي تفصل بين القرن التاسع عشر وعصرنا الحالي، بين القيد الخارجي والعبء الداخلي، بين السجن الذي نصنعه وبين السجن الذي نصبحه. وحين تصل القصة إلى نهايتها، لا نشعر بالموت كخاتمة درامية، بل كتعبير منطقي عن استنزاف المعنى. في هذا المعنى، يصبح الفيلم شهادة على انتقال الفن من التراجيديا إلى التأمل، من الفعل إلى الإدراك.

حضوره مستمر بمؤلفاته الـ38 والمؤسسة الرائدة التي أنشأها تزداد الحاجة لوجودها

المؤرخ وليد الخالدي «راهب القضية الفلسطينية».. شهادات في إنسانيته العالية واهتمامه بالعاملين في مؤسسة الدراسات

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

أن يكون الراحل الكبير وليد الخالدي «مؤرخاً» مكانه ومكانته الفلسطينية والعربية والدولية.. ومتميزاً بتفكيك التزييف الصهيوني ورواياته المضللة التي صاغها وألفها المشروع الكولونيالي»، كما جاء في مجلة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فهو كذلك دخل كل بيت فلسطيني وعربي عبر مؤلفين يحاكيان الطفل والشاب والكهل والشيخ وعلى مدى الأزمان. «قبل الشتات: التاريخ المصور للشعب الفلسطيني 1876 ـ 1948»، و«كي لا ننسى: قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها». وهما من إصدارات مؤسسة الدراسات الفلسطينية، والتي أودرت في عددها الخاص رقم 143 الصادر صيف 2025 مجموعة مؤلفاته، وبلغت 20 بالعربية، و18 بالإنكليزية. كان عدداً احتفائياً بالخالدي «مؤسس مؤسسة الدراسات الفلسطينية إلى جانب قسطنطين زريق وبرهان الدجاني» سنة 1963. وفي هذا العدد الذي حمل عنوان «وليد الخالدي: مئة عام من العطاء» كانت 24 تحية خاصة من الذين عملوا معه. ووصفته هيئة التحرير في مجلة المؤسسة باعتباره «حارساً أميناً على مستقبلنا».

يُذكر أن العدد 96 الذي صدر في خريف سنة 2013 بمناسبة مرور 50 عاماً على تأسيس مؤسسة الدراسات حمل تحية للمؤسس الذي «اكتشف باكراً أن مقاومة الغزو الصهيوني تحتاج لمعرفة علمية دقيقة». وفي رحيله قالت مجلة مؤسسة الدراسات إن مؤسسها رحل وهو «متيقن لمدى الحاجة الماسة إلى استمرارها... لأن أسباب تأسيسها الأولى ما زالت قائمة، بل تزداد ضراوة وتتخذ أشكالاً جديدة».

برحيل وليد الخالدي الحّ السؤال عن الإنسان داخل قامة كبيرة في تاريخنا العربي. وكانت إجابات من معاصرين وعاملين معه هم الأساتذة محمود سويد، نيرمين عباس وصقر أبو فخر.

محمود سويد المدير العام السابق: كان الخالدي نصيراً للعاملين في المؤسسة

تولى الأستاذ محمود سويد إدارة المؤسسة بدءاً من أواخر 1982 بسؤالنا له عاد إلى البدايات ليقول: خلال العام 1970 قال لي زميلي في مجلة «الأسبوع العربي» المرحوم انطوان بطرس إنه يشغل مهمة مدير مؤسسة ناشئة اسمها مؤسسة الدراسات الفلسطينية. وقد بدأت بإصدار سلاسل توثيقية وكتيبات، تتعلق بالقضية الفلسطينية، وسيهديني ما يصدر عنها، مقابل أن أكتب خبراً أو مقالاً عن كل إصدار يوزعه على الصحف. وكنت رئيساً للقسم الثقافي في مجلة «الأسبوع العربي»، وكاتب مقال سياسي من وقت لآخر، وجميعها تتناول القضايا العربية، وخاصة القضية الفلسطينية. وكانت تحتل المركز الأول من اهتماماتي منذ نشأتي طفلاً في قرية كفرحام على حدود قرى الجليل، وتُطل على سهل الحولة وبحيرتها وقد رسمت أشعة الشمس عليها خطوطاً لمَاعة وجميلة. وفي أواخر الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات من القرن الماضي تعرّفت على قوافل من الجوالة ومن قرى الجليل يتبادلون شتى منتوجاتهم، مع منتوجات قرى العروقوب وخاصة قريتي كفرشوبا وكفرحمام. وفي سنواتي الأولى ألفت وسمعت ورأيت رجالا من الجليل والجولان أكثر بكثير مما عرفت من لبنان. وفي الحادية عشرة من عمري انتقلت إلى مدرسة فيصل الأول التابعة لكلية المقاصد في صيدا، وانشغلت كغيري من التلاميذ بفلسطين التي صارت قضية، بسبب الحرب التي شرّدت أهلها إلى ضواحي المدن اللبنانية. وأول قصيدة كتبتها ونشرت في مجلة طلاب المقاصد دعت في الأول لـ«أكوم ضيوفك يا لبنان مكرمة...» هذه كانت علاقتي بفلسطين وقضيتها، التي لم أعرف أني سأنتمي إليها لنحو نصف قرن من حياتي.

ويتابع: بدأت عملي في مؤسسة الدراسات الفلسطينية في الربع الأخير من العام 1970، عندما طلب مني تحرير نشرة هي الأولى في البلاد العربية آنذاك، تضمّ ترجمات عن الصحافة الإسرائيلية. تعرّفت إلى مجموعة من الزملاء، وأكثرهم يُلمّ بالعبرية أثناء دراستهم الثانوية في مدارس فلسطين تحت الاحتلال. وكان أول من التقيتهم في الفصل الأخير من العام 1970 الأستاذ وليد الخالدي، وكان يشغل منصب أمين سر مجلس الأمناء واللجنة التنفيذية، منذ تأسيس المؤسسة وحتى استقالته، واختياره بإجماع مجلس الأمناء رئيساً فخرياً للمؤسسة. وفي هذا اللقاء شرح لي الهدف من إقامة مؤسسة عربية للدراسات الفلسطينية، وأن الصراع لا يقتصر على السلاح، بل الأهم مقارعة الصهيونية بالفكر والبحث والرد على ما أشاعته عن فلسطين وتاريخها.

وأضاف: في المرحلة الأولى من عملي كنت ألتقي الأستاذ وليد في اجتماعات هيئات المؤسسة، مرحلة امتدّت من 1971 إلى 1982. وعندما تمّ اختياري مديراً للمؤسسة في خريف عام 1982 خلفاً للحكم دروزة، الذي أقام في القاهرة بعد رحيل معظم الفلسطينيين من لبنان بعد الاجتياح الإسرائيلي. كنت مع الدكتور هشام نشّابه في وداع الأستاذ وليد الخالدي وهو يغادر إلى الولايات المتحدة فقال لنا: ستتحملان مسؤولية المؤسسة ما دام ذلك ممكناً. وإذا ساءت الأحوال واضطررتما إلى إقفالها، نحن في مجلس الأمناء واللجنة التنفيذية نتفهم ذلك.

وتابع: لم يكن وليد الخالدي ثرياً وكان يعيش مما يتلقاه كأستاذ جامعي متقاعد من مخصصات تكفي لحياة متواضعة. وكان من بين كبار المسؤولين في المؤسسة ونصير العاملين. وكنت أعدّ في آخر كل سنة موازنة مكتب المؤسسة في بيروت، وموازنات فروع في رام الله، وباريس ولندن. وكانت المؤسسة تتعاقد مع شركة تأمين لمساعدة العاملين على مصاريف الطبابة. وتُقدّم لهم مساعدات مدرسية تأخذ بالاعتبار تغيير الصفوف في كل عام. ولدى مناقشة الموازنة، كان الأستاذ الخالدي يتولى الرد على أسئلة اللجنة، ويدافع عن الزيادات الممنوحة عندما يتطلب الأمر ذلك.

ويضيف سويد: كأمين سر كان الأستاذ الخالدي يزور مكتب بيروت كونه المقر الرئيسي للمؤسسة مرات عدّة في السنة، ويمضي بيننا من أسبوعين لشهر. يحضر في الصباح ويغادر في نهاية الدوام. خلال هذه الإقامة كان يزور الموظفين في مكاتبهم. ويهتم بمكتبة المؤسسة ويطلع من أمينتها على نشاطاتها، ومن يستفيد منها، وما هي مقتنياتها بمختلف اللغات. ويهتم بمظهر المؤسسة ونظافتها بدءاً من المدخل إلى آخر الطبقات. وفي صلته الوثيقة مع العاملين في المؤسسة أذكر أننا كنا في فصل الشتاء حين دخل إلى مكتبي عامل في قسم الخدمات، وكان يرتدي قميصاً. فطلب مني أن أضمّن الموازنات المقبلة مبلغاً يمنح للمراسلين والحرّاس والعاملين في قسم الخدمات، بدل ملابس كاملة للشتاء بما فيها الحذاء وواقي المطر، إلى أخرى للابس الصيف.

وخلُص سويد للقول: أذكر في الختام أني كنت مزّة اتمشّى مع الراحل منح الصلح، فسألني عن أوضاع مؤسسة الدراسات، كما سألني عن «راهب القضية الفلسطينية»، وكان يعني وليد الخالدي.

نيرمين عبّاس: رجل مهيب بتواضع مخيف

تقول نيرمين عبّاس المحررة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية منذ سنوات طويلة لـ«القدس العربي» عن معرفتها بالدكتور وليد الخالدي: كان حضوره دائما في المؤسسة، رجل ذو حضور مهيب، وتواضع مخيف. تسألين عن الجانب الإنساني في شخصيته والتي أجدها تنبع من أعماق أعماقه. تلك الإنسانية التي تمتّع بها، جعلته على صلة وثيقة بالعاملين في المؤسسة جميعهم، وكان يعرف بكل مشكلة تواجه أياً منهم، ويعمل على حلها. كان رجلاً لا مثيل له لا ماضياً ولا حاضراً. ميزاته لا حصر لها من تواضع ونبل ورقي، وحسن كلام مع الآخرين. لم يحدث يوماً أن ارتفع صوته على أي من العاملين في المؤسسة. وفي سعيه لحل مشاكل الموظفين كان ينحاز إلى الذين يحملون بطاقة لاجئ فلسطيني، ويسأل الموظفين اللبنانيين «وهم كُثُر» البحث عن حل، قائلاً «لن أترك فلسطينيا لاجئاً دون عمل حيث أتمكن».

وتخلص نيرمين عبّاس للقول: كان وليد الخالدي أستاذاً يحق لنا تقديسه إذا كان هذا الفعل متاحاً. ترك لبنان سنة 1982 إلى الولايات المتحدة، وكان يزور بيروت دورياً للوقوف على أحوال المؤسسة والعاملين فيها.

صقر أبو فخر: وقصة مؤثرة عن «كي لا ننسى»

وسألنا الكاتب الفلسطيني صقر أبو فخر عن معرفته الخاصة بالخالدي؟ فقال: عملت في مؤسسة الدراسات الفلسطينية 25 سنة متواصلة، وكنت على معرفة بمؤسسيه وفي طليعتهم وليد الخالدي، وبرهان الدجاني

ومثنى في المئة.

○ وماذا عن حضوره في اجتماعات العمل؟

● كما سبق القول شديد الصراحة. وصاحب رأي مسموع، ولديه القول الحاسم خلال النقاشات. احترامه خاص جداً بعيداً من فرض الهيبة، بل غالباً ما كان يميل إلى الفكاهة. كمثال على ذلك عندما كانت مجموعة من الفلسطينيين بصدد إعداد خطاب أبو عمّار في الأمم المتحدة سنة 1974 وكان وليد الخالدي من بينهم، ومعه الدكتور محجوب عُمر، وإدوارد سعيد، ومحمود درويش وربما آخرون. تعدّل وتبدّل الخطاب لحوالي خمس مرّات. كان اللقاء الأخير من أجل الخطاب في منزل المحامي صلاح الدبّاغ، حضر أبو عمّار، والمساهمون بكتابة الخطاب. ووضعت اللمسات الأخيرة، وأحاله أبو عمّار للترجمة وقام بها إدوارد سعيد ورندة الخالدي شقيقة الدكتور وليد. عندها قال الدكتور وليد لأبو عمّار: مطلوب أمر واحد بعد. رد أبو عمّار: «هلكتوني شو بعد»؟ أجابه الخالدي أن تحلق لحيتك فأنت ستكون أمام الأمم المتحدة؟ رد أبو عمّار: والله لن يحصل. ورأى الخالدي استفتاء السيدات الموجودات قائلاً لأبو عمّار: وتلتزم بقولهن؟ وما أن جئن حتى توافقن على ضرورة أن يظهر أبو عمّار في الأمم المتحدة حليق الذقن.

○ شغلتك إقامة وليد الخالدي الطويلة في بوسطن واستفسرت منه عن السبب. فماذا قال؟

● نظر لي بحنو وقال: ألا تعرف أن ابنتي كرمة في بوسطن؟ وكرمة من ذوات الاحتياجات الخاصة. كانت في معهد مختص ساعدها جداً بحيث باتت تعتمد على نفسها، وهذا لم يكن متيسراً في لبنان. حافظ استمرار وليد الخالدي في الولايات المتحدة كان العناية بابنته ودعمها نفسياً ومعنوياً، فيما كان المعهد يساعدها عبر التدريب. لم يكن ليتخلّى عن دعمها، وكرّس نفسه لها. من جهة أخرى لم يكن وليد الخالدي يتقاضى راتباً من المؤسسة على الإطلاق. وكونه أمين السر كان يقترض أن يتقاضى أعلى راتب. وكذلك جميع كتبه التي صدرت عن المؤسسة عاد ريعها لصالحها.

○ حتى «كي لا ننسى» و«قبل الشتات» الأكثر شهرة وانتشاراً عن قضية الشعب الفلسطيني؟

● بكل تأكيد. ولكتاب «كي لا ننسى» قصة مؤثرة. ففي أحد معارض طهران للكتاب دُعينا للمشاركة في الجناح العربي ولبيننا الدعوة. طلب مني القائمون على المعرض ترشيح كتاب لجائزة الكتاب العربي. وكان اختياري «كي لا ننسى». ورفدته بمقالة حول الكتاب بناء لطلب المنظمين. كنت بالطبع في المعرض، حيث فاز «كي لا ننسى» بالجائزة الأولى للكتاب العربي، ولم يتمكن وليد الخالدي من الحضور، وتسلمت براءة الجائزة بدلاً منه، وأُبلغت أن وفداً سيصل إلى بيروت لتسليم الجائزة المادية لوليد الخالدي تكريماً له. لم يطل الزمن

وكان اللقاء بين وفد معرض الكتاب الإيراني والدكتور الخالدي في المؤسسة، وكانت الجائزة عبارة عن لوحة جمعت 100 ليرة ذهب. غادر الوفد الإيراني، وإذ بمساعدته الإدارية تقول بدون قصد معين «الله ع هالذهبات». وسريعاً «كمش» وليد الخالدي ليرات غير محددة من الذهب وقدّمها لها.

نعم كان كريم النفس، لا يعنيه من هذه الدنيا سوى الإنجاز الفكري من أجل قضية فلسطين. إنسان من طينة نادرة.

○ هل تظن أن بيتاً فلسطينياً يخلو من كتابي «كي لا ننسى وقبل الشتات»؟

● أظن أن ذلك نادر. أعرف فلسطينيين محدودي الدخل والكتابان موجودان لديهم. فهم معنيون بهويتهم وبتاريخهم. سيعمل من يقتني كتاب «كي لا ننسى» للبحث عن ماضي قريته أو مدينته. «كي لا ننسى» كتاب في غاية الذكاء. و«قبل الشتات» هو عبارة عن 500 صورة عن فلسطين قبل سنة 1948، اختارها وليد الخالدي بنفسه من بين 10 آلاف صورة موجودة في مكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية. وصور الكتاب برهان لا يمكن دحضه عن الحداثة في فلسطين، وعن التقدم الكبير في الحياة اليومية، والاقتصاد والتعليم والثقافة والفنون، وهو تفنيد نزيه للمقولة الصهيونية «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». وصدر الكتاب بالفرنسية والإنكليزية والإسبانية.

كوميديا على المزاج الشعبي مع «بيبو» و«النص التاني» و«فخر الدلتا»

كمال القاضي

ربما التركيز على إنتاج أعمال درامية جادة تُناقش قضايا اجتماعية على قدر من الأهمية، فرض نمطاً واقعياً يتصل بالاحتياجات الحقيقية للجمهور بعيداً عن النوعيات الكوميدية الخفيفة، ما أدى إلى تقليص المساحات الترفيهية بشكل مُلاحظ، والاكتفاء ببعض النماذج القليلة المُغلفة بالكوميديا والمُتضمنة أحداثاً لا تخرج أيضاً عن المُشكلات المُغلقة.

يأتي ذلك في إطار حرص الكُتاب والمُخرجين على الالتزام بما تمت التوصية به رسمياً، ليكون كل نوع درامي حاملاً لرسالة ما حتى وإن اتسمت الأحداث بالخفة والفكاهة.

ويبدو أن التوصيات وصلت بالفعل للمعنيين بها فأحجموا عن تكرار الثيمات المُكررة للإيهام بالكوميديا وخفة الظل، وعمدوا إلى التجديد والتحديث لتُصبح الصورة ملائمة قدر الإمكان ومُتفقة مع المضمون الهادف والبناء لمعنى الترفيه والتسرية.

كلهم بيحبوا مودي

تحت عنوان «كلهم بيحبوا مودي»، جاءت الرؤية الكوميدية الإنسانية بطولة ميرفت أمين وياسر جلال، لتضع النقاط على الحروف فيما هو مُتعلق بالشكل والنوع والتوظيف الكوميدي الاجتماعي المُعتمد على المواقف والمُفارقات بدون افتعال أو تطرف.

فالبطل يُمثل الشاب المرغوب من الجنس اللطيف، والذي يمر بعدة تجارب عاطفية ومغامرات مُختلفة تُشعره بالتميز وتُزيد من ثقته في نفسه، فيُصبح في نظر البعض نموذجاً للرومانسية، بينما يراه الآخرون على عكس هذه الافتراضية، باعتباره فوضويا ومُستهترا ويعتمد على وسامته ومظهرة الأنيق فقط كمقومات أساسية للجذب.

المُسلسل قدمت فيه الفنانة والنجمة الكبيرة ميرفت أمين دوراً جديداً ومُختلفاً، وبالطبع حققت من خلاله تأثيراً قوياً على المُشاهدين بأثر رجعي لما يتوافر لها من تاريخ فني طويل ورصيد كبير في السينما والدراما التلفزيونية.

فخر الدلتا

كما يأتي مسلسل «فخر الدلتا» للمُمثل الشاب أحمد رمزي، كحالة فريدة من نوعها لا تعتمد على قُدرات البطل التمثيلية والإبداعية بقدر اعتمادها على نشاطه الترويجي كصانع مُحتوى على وسائل التواصل الاجتماعي، وهي ميزة سمحت له بالانتشار والوصول إلى صدارة الموسم الرمضاني الأكبر والأكثر مُشاهدة وفق قياسات المتابعة والرصد.

وللاتساق الفني مع الحكاية الكوميدية شبه الواقعية، دارت الأحداث حول شخصية البطل الريفي الذي نزح إلى القاهرة بحثاً عن الشهرة والأضواء، فانبهر بأجواء الدعاية والإعلان، واحترف العمل في هذا المجال كونه الطريق الأقصر والمتاح لتحقيق أحلامه.

وهنا يرصد المُسلسل واقع الكثير من الحالمين الباحثين عن فرصة بين جمهور السوشيال ميديا الداعم لمثل هذه الأفكار، والمُتسبب في تعدد النماذج المشابهة لشخصية فخر الذي أصبح بين عشية وضحاها وبدون مناسبة نجماً يُشار إليه بالبنان.

وعلى الرغم من الاستغلال الكوميدي للظاهرة إلا أن الرؤية الدرامية بتفاصيلها تُمثل نقداً صريحاً لما آلت إليه أحوال الشباب من مُستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي والمُرتبطين بها على النحو المثير للدهشة والغرابة والمؤكد للتحولات الجذرية التي طرأت على المجتمع المصري في السنوات الأخيرة.

هي كيميا؟

وبالاستمرار في التناول الخفيف وصناعة الصور الدرامية الكاريكاتيرية بإيقاعاتها الكوميدية السريعة، يبرز مسلسل «هي كيميا» كمُصنف فني تقوم فكرته على تفاصيل ومواقف ساخرة بين البطلين الصديقين سلطان وحجاج، تبعث على الضحك والتسلية بأداء تلقائي مرح للبطلين مصطفى غريب ودياب، بعيداً عن الغوص في عمق الأفكار والنظريات الأكاديمية.

المترسمير

«المترسمير» عنوان مُسلسل آخر بطولة كريم محمود عبد العزيز، نجل الفنان الراحل محمود عبد العزيز ومحمد عبد الرحمن وإسلام إبراهيم، ويشكل الثلاثي هارمونيو إبداعيا كوميديا من حيث الأداء وحالة الانسجام المتوافرة بينهم، وربما لعبت الأحداث والوقائع دوراً مهماً في لفت النظر إلى القيمة الضمنية، فالمسلسل يُناقش في إطار كوميدي مُشكلات الزواج والطلاق والخلع التي تملأ ملفاتها أرشيف محكمة الأسرة.

ويُشير المُسلسل بسخرية إلى قرارات حديثي الزواج المتسرعة فيما يتعلق بالانفصال وإنهاء العلاقة الأسرية بدون النظر إلى العواقب والأضرار المُترتبة على التهور والانفعالات والتصرفات غير المسؤولة من الزوجين.

النُص التاني

ومن أهم المُسلسلات التي حظيت بالمُشاركة في السباق الدرامي القوي، الجزء الثاني من مُسلسل «النُص التاني» الذي قدمه أحمد أمين مع أسماء أبو اليزيد، في محاولة لإعادة قراءة الأحداث التاريخية بعناوينها ووقائعها المؤثرة بشكل غير تقليدي، يعتمد على الحس الساخر كعنصر داعم للفكرة ومُحفز على مُتابعة مُغامرات اللص السابق التي تم تدوينها في كتاب «مُذكرات نشال» للكاتب والباحث أيمن عثمان.

المُسلسل يعمل على استحضار الحدث التاريخي وتجسيده بطريقة كوميدية تهدف إلى إعادة النظر في الوقائع المذكورة والمُسجلة تاريخيا في ضوء الرؤية العصرية الجديدة لما سبق قراءته عن ذلك النشال الفكاهي المُحترف وما تم تدوينه عن التضحيات والانتصارات والمقاومة، والعلاقة بين الواجب الوطني والماضي القديم بما يحمله من أسئلة وأجوبه خاصة وتجارب ذاتية وعامة.

يبقى هناك مُسلسل أخير هو «بيبو» بطولة نجم أغاني المهرجانات الشعبية، أحمد بحر الشهير بكزبرة الذي انضم إلى قائمة نجوم الدراما في قفزة دفعت به إلى الصفوف الأولى كعُنصر مؤثر في دورة الدراما السنوية ليتبوأ مكانته تحت الأضواء بجوار هالة صدقي وسيد رجب وإسلام إبراهيم وولد فواز، مُجسداً شخصية شاب فقير مُكافح من عامة الشعب يكتشف سرا خطيرا فيتحول من شخصية هامشية إلى إنسان آخر صاحب مسيرة في رحلته التراجيدية الباحث فيها عن والده الغائب سيد رجب والدالة على نُضجه وخبراته كبطل شعبي نموذجي.

القدس العربي
الاسبوعي
تأسست عام ١٩٨٩
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 1000 جنيه استرليني في عموم بريطانيا و1200 دولار أمريكي للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE. LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 37 - Issue 11114 Sunday 22 March 2026
السنة السابعة والثلاثون العدد 11114 الأحد 22 آذار (مارس) 2026 – 03 شوال 1447 هـ

4 ملايين نسخة من ألبوم «بي تي إس» الجديد بيعت في اليوم الأول لطرحه

حقق الألبوم الجديد لفرقة «بي تي إس» الكورية الجنوبية في اليوم الأول لطرحه مبيعات بلغت نحو أربعة ملايين نسخة، عشية حفلة ضخمة تُحييها مساء السبت في سيول هي الأولى لها منذ أربع سنوات، ويُتوقّع أن تستقطب نحو 260 ألف شخص.

وستكون الحفلة أوّل إطلالة لفرقة الكاي بوب على المسرح بعد توقف نشاطها منذ 2022 لتمكين أعضائها السبعة من إتمام خدمتهم العسكرية الإلزامية في كوريا الجنوبية.

واستبقت الفرقة التي تستقطب أكبر عدد من المستمعين في العالم حفلتها بإصدارها الجمعة ألبوما بعنوان «أريرانغ»، هو الأول لها منذ 2020.

وأعلنت شركة «بيغ هيت ميوزيك» المنتجة لأعمال الفرقة السبت أن 3.98 ملايين نسخة من هذا الألبوم بيعت في اليوم الأول لصدوره، استنادا إلى ترتيب المبيعات المحلية للألبومات «هانتيو تشارت».

واستوحيَ عنوان الألبوم من نشيد فولكلوري واسع الانتشار في كوريا الجنوبية مفعم بمشاعر الحنين وألم الانفصال، ويعكس تاليا جذور الفرقة الراسخة في الثقافة الكورية الجنوبية.

ويتضمّن «أريرانغ» 14 أغنية تعاونت فيها الفرقة مع عدد كبير من الفنانين والمنتجين الغربيين، وتتنوع بين الراب والإيقاعات القوية والتجريب الموسيقي.

وتشكّل عودة الفرقة حدثا يتعدى حدود كوريا الجنوبية ويكتسي بُعدا عالميا. ويُتوقع أن يتابع ملايين الأشخاص في نحو 190 دولة الحفلة التي تتولى منصة «نتفليكس» نقلها مباشرة.

وتَلي الحفلة جولة عالمية للفرقة تُحيي خلالها 82 حفلة أخرى على الأقلّ في 34 مدينة.

وبدأ مئات الآلاف من المعجبين بالفرقة المعروفين باسم «آرمي» يتقاطرون منذ الصباح إلى موقع الحفلة في سيول، فيما يقدّر عدد الذين سيحضرونها بنحو 260 ألفا.

وازدانت شوارع العاصمة الكورية بلافتات ترحّب بعودة الفرقة وأعلنت الفنادق عن حجوزات كاملة فيها في ظلّ توافد المعجبين من الخارج، في دليل على الشهرة الدولية التي تتمتّع بها الفرقة، مع أن معظم أغنياتها هي باللغة الكورية.

ونشرت السلطات نحو 6700 شرطي و8200 عنصر أمن مولجين تنظيم الحشود خلال الحفلة.

ويُتوقع أن تكون مشاركة المغني وقائد الفرقة آر إم محدودة بسبب ألم في كاحله أثناء التمارين. وقد طلب منه الأطبّاء الحدّ من نشاطه البدني، لكنه أصرّ على المشاركة في هذه الإطلالة الأولى، على ما جاء في بيان لشركة الإنتاج الموسيقي «بيغ هيت ميوزيك».

ومن المرتقب أن تؤدّي «بي تي اس» أغنيات ألبومها الجديد الذي سجّل في لوس أنجليس، حسب ما أفادت عدّة مصادر.

وأدّى أربعة من أعضاء الفرقة خدمتهم العسكرية على الحدود مع كوريا الشمالية الخاضعة لحماية مشدّدة وحيث التدريبات مكثّفة وأيّام الشتاء قاسية.

وكانت «بي تي إس» التي تأسست عام 2010 من أوائل فرق الكاي بوب التي برزت عالميا، إذ تصدّرت قائمة «بيلبورد 200» الأمريكية بأغنيات من بينها «داينمايت» و«باتر».

وفي ذروة شهرتها قبل توقفها، كانت «بي تي إس» من بين الأكثر جذبا للمستمعين على منصة «سبوتيفاي»، إلى جانب تايلور سويفت وجاستن بيبر. (أ ف ب)

عرض كأس العالم في موقع تشيتشين إيتسا الأثري في المكسيك

عُرضت كأس العالم لكرة القدم الجمعة في موقع المايا الأثري الشهير تشيتشين إيتسا في المكسيك، مهد واحد من أقدم أشكال ألعاب الكرة، ضمن جولتها الترويجية قبل انطلاق البطولة بين 11حزيران/يونيو و19 تموز/يوليو.

ووصلت الكأس المصنوعة من ذهب عيار 18 قيراطا وسط إجراءات أمنية مشددة إلى تشيتشين إيتسا، إحدى عجائب الدنيا السبع الحديثة، بعدما زارت ثماني مدن مكسيكية ضمن جولتها.

وستتابع الكأس رحلتها حتى منتصف نيسان/أبريل في نحو 12 مدينة أخرى في الولايات المتحدة وكندا، الشريكتين مع المكسيك في تنظيم النسخة المقبلة من مونديال كرة القدم.

وقال النجم المكسيكي السابق أوغو سانشيس خلال تقديم الكأس أمام هرم كوكولكان «هذا الرمز رائع للمكسيك»، مضيفا أنه «صورة ستجوب العالم» – علما بأن لمس الكأس يقتصر على أبطال العالم فقط.

وقد تولّى الإسباني فرناندو يورنتي، المتوّج مع لا روخا بلقب 2010، مهمة إخراج الكأس من علبتها خلال مراسم خاصة أمام ضيوف وصحافيين وشركاء، قبل فتح الموقع أمام الزوار.

وتضم تشيتشين إيتسا أكبر ملعب في العالم للعبة كرة المايا، وهو طقس ديني ظهر نحو 900 قبل الميلاد، ويعدّ سلفا ثقافيا للألعاب الجماعية الحديثة مثل كرة القدم، رغم عدم وجود صلة مباشرة بينهما. (أ ف ب)

الشرطة الفرنسية تعتقل سجينا مثيرا للجدل بعد 13 يوما من فراره بمساعدة أمنيين مزيفين

نجحت قوات الشرطة الفرنسية في اعتقال السجين المثير للجدل الياس خربوش، بعد 13 يوما من فراره من سجن «فيلبينت» في «سين سان دوني»، بمساعدة ثلاثة ضباط شرطة مزيفين.

واعتقل خربوش 21/ عاما/ الملاحق في عدة جرائم سطو وسرقة من بينها السطو على منزل حارس باريس سان جرمان السابق جيانلويجي دوناروما في عام 2023، الجمعة، في مدينة «كانيه أون روسيون» بمقاطعة «بيرينيه أوريونتال» جنوب شرق فرنسا، وفق ما نقلت قناة «فرانس انفو».

وأفاد الوزير الفرنسي لوران نونيز عبر حسابه على في موقع «إكس»: «ألقي القبض على السجين الهارب من سجن فيلبينت من قبل ضباط من فرق البحث والتدخل بدون وقوع أي حادث».

وأثارت طريقة هروب خربوش الملقب بـ«جانيتو»، من السجن في السابع من آذار/مارس الجاري بمساعدة ثلاثة رجال تنكروا بزي ضباط شرطة، ردود فعل قوية في وسائل الإعلام الفرنسية. (د ب أ)